

المرجعية الدينية الإسلامية الإمامية

علي إبراهيمي

١٤٤٥ هـ □ ٢٠٢٤ م

مقدمة

الانتماء الى مدرسة فكرية في عالم الثقافة لا يُعد عيباً او نقصاً , بقدر ما يعني التخلي عن ذلك الانتماء ضياعاً وانهماكاً داخلياً , خصوصاً ان ذلك الانتماء جاء من خلال الثقافة الموسوعية للإنسان واعمال العقل عليها , لتتبين عندها خيوط كل مدرسة وفكر , فيختار الانسان حينها مَنْ هو , وَمِنْ اين , والى اين .

والثقافة هي التحصيل الموسوعي للمعلومات , وتنقيح ذلك التحصيل من خلال التواصل الفكري والحوار العقلي الانساني , بالاستناد الى جذر حضاري ثابت ومستقر يتم الانطلاق من خلاله لغرض الارتقاء بالإنسان دون النظر الى انتمائه .

ان الانتماء الى منهج ديني او سياسي او فكري معين ومحدد لا يعني ايقاف العمل العقلي في التفكير , بل توجد في كل ذلك مساحات فراغ لخلق نظريات وآراء تخدم البشرية جمعاء , وكذلك يوجد دائماً في فكر الآخر ما ينفع المفكر والمثقف ويرتقي بتجربته , وفي خضم كل هذا توجد مناطق للحوار والتواصل مع الاخرين باتجاه الاقتناع او الاقتناع .

والعلم جعله الإسلام عبادة , لأنّ به يُعرف الله من خلال آياته , وهو كذلك ما به يرقى الانسان في عالم الدنيا ويسخر محيطه الطبيعي , لكن بشرط ان يهذبه بالصلاح والمعرفة الربانية , وكذلك لفت ذهن الانسان الى ان هناك من الخلق المخفي ما لا يعلمه الانسان الى ساعة نزول القران سواءً بتكرار ((سيعلمون)) او بالإخبار المباشر , وقد أنشأ منظومة

طقسية نفسية وروحية فردية وجماعية للسير نحو الله , كما أسس لمنظومة أخلاقية جديدة ومتممة للمنظومة الأخلاقية العربية الآرامية التي تمثلت بأخلاق رسول الله ذاته , كما بين الغاية الكبرى من الخلق , مثلما أعاد صياغة المعتقدات السومرية في الولاية التكوينية وبعثها من جديد , ليتوج معارف هذه الأجيال بعقيدة "الإمامة" ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))^١.

فالشريعة الإمامية من مذهب أهل البيت قد اتفقوا على أن المرجعية الدينية في صدر الإسلام تمثلت برسول الله (محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي) , يحيط به بنو هاشم وأصحابه من المهاجرين والانصار , وعلى رأسهم وصيه (علي بن ابي طالب) , ثم كانت بعده للإمام أمير المؤمنين (علي بن ابي طالب) , يحيط به أولاده الحسن والحسين والعباس ومحمد بن الحنفية وبنو هاشم وصحابة رسول الله مثل سلمان الفارسي وعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وقيس بن سعد بن عبادة وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن العباس وأبي أيوب الأنصاري وأبي سعيد الخدري وسهل بن حنيف الانصاري والاصبغ بن نباتة واويس القرني وحبیب بن مظاهر الاسدي وحجر بن عدي ورشيد الهجري وصعصعة بن صوحان وسيحان بن صوحان العبدی وسليمان بن سرد الخزاعي وسعيد بن قيس الهمداني وشقيق بن ثور وعبد الله بن بديل وعمرو بن الحمق وعدي بن حاتم

^١ سورة البقرة ١٢٤

الطائي وكميل بن زياد النخعي ومالك الاشتهر النخعي وميثم التمار ومحمد بن ابي بكر
وهاشم بن عتبة المرقال وابي الهيثم بن التيهان وابي الأسود الدؤلي وغيرهم الكثير .

ثم كانت لولده الإمام الحسن , يحيط به اخوته وبنو هاشم وبعض صحابة رسول الله
واصحابه , واكثرهم من أصحاب ابيه , ثم صارت لأخيه الإمام الحسين , يحيط به اخوته
وبنوه وبنو هاشم وبعض أصحاب رسول الله وأصحاب ابيه .

ثم الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد , يحيط به العلويون وجملة من التابعين
مثل أبان بن تغلب وبشر بن غالب وابي حمزة ثابت بن دينار الثمالي وجابر بن عبد الله
الأنصاري والحسن بن محمد بن الحنفية ورشيد الهجري وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب
وسليم بن قيس الهلالي .

ثم الإمام محمد بن علي الباقر , يحيط به العلويون وجملة من التابعين مثل محمد بن مسلم
وجابر الجعفي وزرارة بن اعين ومعروف بن خربوذ المكي وأبي بصير الأسدي وفضيل بن
يسار وبريد بن معاوية العجلي والعشرات او المئات غيرهم .

ثم الإمام جعفر بن محمد الصادق , الذي تنتسب اليه الجعفرية الإمامية لشهرته , يحيط به
العلويون وجملة من الاصحاب مثل آل اعين وابي بصير الاسدي وابي بصير المرادي وعبيد الله
بن علي الحلبي وهشام بن الحكم ونوح بن دراج النخعي وصفوان بن مهران الاسدي الجمال
وعبد الله بن مسكان وحماد بن عثمان وعبد الله بن ابي يعفور وزكريا بن ادريس الاشعري

وعلي بن رثاب ومؤمن الطاق محمد بن علي بن النعمان البجلي ومعاوية بن وهب البجلي وغيرهم العشرات والمئات .

ثم الإمام موسى بن جعفر الكاظم , يحيط به العلويون وجملة من الاصحاب مثل آل اعين وأبان بن عثمان الأحمر وإبراهيم بن محمد الجعفري وإبراهيم بن أبي محمود الخراساني وإبراهيم بن مهزم الأسدي وإبراهيم بن نعيم العبدي وإبراهيم بن أبي البلاد وأحمد بن عمر الحلبي وأحمد بن محمد البنزطي وإسحاق بن عبدالله الأشعري وإسماعيل بن جابر بن يزيد الجعفي وإسماعيل بن الفضل الهاشمي وبكر بن محمد الغامدي وأبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي الذي عاش الى زمان الإمام الكاظم وثلعة بن ميمون الكوفي وجعفر بن إبراهيم الجعفري الطيار وجميل بن درّاج النخعي وبيّاع الزطي الحارث بن المغيرة النصري وحسان بن مهران الجمال والحسن بن زياد الصيقل والحسن بن عليّ بن فضال والحسن بن محبوب والحسين بن عليّ بن يقطين والحسين بن المختار القلانسي وحماد بن عيسى بن عبيدة الجهنيّ وداود بن فرقد الأسديّ وربيعي بن عبدالله العبدي ورفاعة بن موسى الأسديّ وزيد بن محمد الشحّام وزيد النرسيّ وسالم بن أبي سلمة الأسديّ وسعدان بن مسلم العامريّ وسعيد بن جناح وعشرات غيرهم .

ثم الإمام علي بن موسى الرضا , يحيط به العلويون وجملة من الاصحاب مثل ابي الصلت الهروي واحمد بن ابي نصر البنزطي وابي هاشم الجعفري الطيار ودعبل بن علي الخزاعي ويونس بن عبد الرحمن ومحمد بن ابي عمير .

ثم الإمام محمد بن علي الجواد , يحيط به العلويون وجملة من الاصحاب مثل علي بن مهزيار وأحمد بن أبي نصر البنظي وزكريا بن آدم ومحمد بن اسماعيل بن بزيع وحسن بن سعيد الأهوازي وأحمد بن أبي عبد الله البرقي وعبد العظيم الحسيني وإبراهيم بن هاشم القمي .

ثم الإمام علي بن محمد الهادي , يحيط به العلويون وجملة من الاصحاب مثل إبراهيم بن إدريس وإبراهيم بن محمد الهمداني وإبراهيم بن هاشم القمي وأحمد بن داود بن سعيد الفزاري الجرجاني وأحمد بن محمد بن خالد البرقي وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي وأيوب بن نوح بن دراج النخعي و الحسن بن راشد ابن عليّ البغدادي والحسن بن عليّ بن زياد الوشاء البجلي والحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي وخيران مولى الإمام الرضا وداود بن أبي زيد النيسابوري وابي هاشم الجعفري الطيار وصالح بن أبي حماد الرازي وعبدالله بن جعفر الحميري القمي وعثمان بن سعيد العمري السمان وعليّ بن مهزيار الأهوازي ومحمد بن الريان بن الصلت الأشعري ومحمد بن سعيد المروزي وموسى بن عبدالله النخعي ويعقوب بن إسحاق السكيت الاهوازي وعشرات غيرهم .

ثم الإمام الحسن بن علي العسكري , يحيط به العلويون وجملة من الاصحاب مثل إبراهيم بن أبي حفص وإبراهيم بن مهزيار وأحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدان وأحمد بن إدريس بن أحمد القمي وإسحاق بن إسماعيل النيسابوري والحسن بن موسى الخشاب وداود بن القاسم الجعفري وسعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي وعبد العظيم بن عبد الله الحسيني وعبدالله بن جعفر الحميري القمي وعبدالله بن حمدويه البيهقي

وعثمان بن سعيد العمري وعلي بن جعفر الهماني والفضل بن شاذان ومحمد بن أحمد بن جعفر القمي ومحمد بن الحسن الصفار ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب ومحمد بن عثمان بن سعيد العمري .

ثم الإمام المنتظر الحجة بن الحسن المهدي , الذي له من السفراء أربعة اختصوا به وتلقوا عنه , هم عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي وولده محمد والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السَّمري .

وهي طيلة ذلك العهد وتلك العصور خاضعة لعقيدة الإمامة , ومنصبها الذي يجعله الله حيث يشاء , تعتمد على النص على كل إمام , تصديقاً لقول الله ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))^٢, فكانت الإمامة عهداً إلهياً أعلى من النبوة ولا يكون إلا بالجعل الإلهي الذي لا ينال الظالمين غير المعصومين .

ثم انتقلت المرجعية الدينية الى فقهاء الإمامية امتثالاً لأمر الإمام الحجة بن الحسن (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله)^٣, وما روي عن ابيه الحسن العسكري (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه)^٤, وما روي عن جده علي الهادي (فاصمدا في

^٢ سورة البقرة ١٢٤

^٣ الاحتجاج , الشيخ الطبرسي , دار النعمان , ج ٢ , ص ٢٨٣

^٤ وسائل الشيعة , الحر العاملي , مؤسسة آل البيت , ج ٢٧ , ص ١٣١

دينكما على كل مسن في حبنا, وكل كثير القدم في أمرنا)°, وارجاعهم شيعتهم الى وكلاتهم الفقهاء بقولهم مثلاً (العمري وابنه ثقتان , فما أديا إليك عني فعني يؤديان , وما قال لك فعني يقولان , فاسمع لهما وأطعهما , فإنهما الثقتان المأمونان)٦, وما روي عن شعيب العرقوفي عن الإمام جعفر الصادق قال (قلت لأبي عبد الله : ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء , فمن نسأل ؟ قال : عليك بالأسدي , يعني أبا بصير)٧, وما روي عن عبد الله بن أبي يعفور (قال : قلت لأبي عبد الله : إنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم , ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه؟ فقال : ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي ! , فإنه سمع من أبي وكان عنده وجيها)٨. كما أن الرجوع الى العالم المختص من أحكام العقل السليم .

ان لمنصب المرجعية اهميته , لأنه الامتداد الشرعي والعقلي لمنصب الإمامة , له ما له من حقوق , وعليه ما عليه من واجبات . الا ان الإمامة لا تجوز عند الشيعة الا المعصوم , جاء بتنصيبه نص , لذلك كانت بعيدة عن التقصير والقصور , فيما كانت المرجعية الدينية عرضة لان تنالها نفوس مخادعة او مخدوعة , لأنها كانت لغير المعصوم , وانما جعلت حلاً وسطاً عقلاً لئلا يفتقر الإمام , بشروط وضوابط , تكون الامة هي الشاهدة على تحققها فيمن تصدى لهذا المنصب العظيم المرتقى .

° وسائل الشيعة , الحر العاملي , مؤسسة آل البيت , ج ٢٧ , ص ١٥١

٦ الكافي , الشيخ الكليني , دار الكتب الإسلامية , ج ١ , ص ٣٣٠

٧ اختيار معرفة الرجال , الشيخ الطوسي , مؤسسة آل البيت , ج ١ , ص ٤٠٠

٨ بحار الأنوار , العلامة المجلسي , مؤسسة الوفاء , ج ٢ , ص ٢٤٩

ولما صارت فكرة تقليد الأعلام مدار اختيار الناس نظرياً لمرجع التقليد ، وهي مهمة مستحيلة ، أقرب الى الخداع منها إلى الواقع ، لشهادة أهل الخبرة الموثقين عند مجموعة من الناس لمرجع ديني ما بأنه أعلم ، صار من الضروري بيان حقيقة مقام ومهام منصب المرجعية الدينية ، حيث من الممكن حصر عدد محتملي الأعلمية من العلماء ، ودوران التقليد النظري في فلکهم ، مع بقاء تشتت وفرقة الناس ، وهذا ما يناسب عالم المرجعية الدينية المدرسية ، ويكون المرجع الديني فيه ليس أكثر من رئيس جامعة أكاديمية في أحسن الأحوال ، لا نائباً عن الإمام المعصوم في قيادة العالم ، والقيادة شيء آخر ، يقوم على الكفاءة والحضور في الميدان العملي ، ف (العالم من يعمل بالعلم ، وإن كان قليل العمل) ، و (العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه)^٤ ، وعندئذ يجب إضافة صفات وخصائص أخرى مهمة للعالم الديني ليكون مرجعاً قائداً ، وهذا ما يقوم عليه الكتاب .

^٤ ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، دار الحديث ، ج ٣ ، ص ٢٠٩٣

تاريخ حركة المرجعية الدينية

لقد شهدت كربلاء نشاطاً مدنياً جديداً بعد رحيل (المتوكل العباسي) , الذي كان متشدداً في منعه زيارة مشهد الحسين , حيث سمح ولده (المنتصر) للناس بالزيارة . فكانت العوائل العلوية وذرية الحسين في طليعة الوافدين إلى كربلاء منذ منتصف القرن الثالث الهجري . فبرز فيها العالم (حميد بن زياد النينوي) قائداً للمجتمع والعلم في بداية القرن الرابع الهجري . لتزدهر حركة العمران والعلم في كربلاء في نهاية القرن الرابع الهجري بتأثير الدولة البويهية التي كان قادتها يقدسون المدينة . وظلت كربلاء مزدهرة علمياً في القرون الخامس والسادس والسابع , ثم عاد الازدهار إليها في القرن التاسع الهجري بوفود الشيخ (احمد بن فهد الحلبي) عليها . فيما شهدت كربلاء في تاريخها الكثير من المجازر التي اوقعها الأعداء من الأعراب والنواصب والطائفيين والمنحرفين عليها , مثل هجمات أعراب (ضبة بن محمد الأسدي) على مشهد الحسين ومدينة كربلاء واشاعته النهب فيها في القرن الثالث الهجري , وغارة أعراب (خفاجة) عليها في القرن الخامس الهجري .

فيما تأسست مدينة (قم) جنوب طهران على يد الشيعة من أبناء قبيلة الأشعريين الهاربيين من بطش (الحجاج بن يوسف الثقفي) والي الأمويين على العراق في الربع الأخير من القرن

الأول الهجري . وبقيت قرية فترة من الزمن , حتى اجتمعت إليها القرى الأخرى , فنمت كمدينة لا سيما بعد مدفن (فاطمة المعصومة بنت موسى بن جعفر الكاظم) فيها . وقد أقام الأشعريون مدرستهم الفقهية فيها , حيث أنها كانت على حدود بلاد الديلم الشيعة , ومنهم (بنو بويه) . ثم اختفى تأثيرها نسبياً بغلبة الإمارات السنية على بلاد المسلمين^{١١} .

لقد كان فقه المسلمين الشيعة الإمامية يقوم على المنهج الأخباري , من خلال نقل الروايات عن اهل بيت النبوة , من خلال السماع مباشرة او من خلال النقل عن أصحاب الائمة . وكان ذلك هو منهج صاحب كتاب "الكافي" واشهر محدثي الإمامية الشيخ (محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني) , الذي ادرك زمان الغيبة الصغرى في القرن الثالث الهجري . كذلك كانت جهود الشيخ (محمد بن علي الصدوق) وأبيه (علي بن الحسين بن موسى بن بابويه) في النصف الأول من القرن الرابع الهجري تلتزم المنهج الاخباري في نقل الفتوى عن اهل البيت النبوي من نقل الروايات , فكان كتابه "من لا يحضره الفقيه" احد الكتب الأربعة الرئيسية بعد "الكافي" .

^{١١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣١١

وكان هناك جملة فقهاء متفرقين على مذهب أهل البيت أقل انتشاراً وتأثيراً ، مثل (الحسين بن علي بن ابراهيم العلوي) من فقهاء الإمامية في القرن الرابع الهجري ، كان يعظّمه وزير البويهيين (الصاحب بن عبّاد)^{١١}.

وكان المشايخ (محمد بن مسعود العيّاشي) وتلميذه (ابو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشّي) المعاصر للشيخ (الكليني) في القرنين الثالث والرابع الهجريين وجملة من مشايخ الحديث والرواية من الشيعة من بلاد قريبة على (سمرقند) في ما وراء النهر^{١٢}.

وبعد انقطاع فترة الإمامة المباشرة لدى الشيعة الجعفرية ، وفي امتداد لجهود وتعليم الإمامين (محمد بن علي الباقر) و (جعفر بن محمد الصادق) السابقة على ذلك العصر بقرنين ، ثم جهود الإمام (موسى بن جعفر الكاظم) ، التي نقلها تلامذتهم المتكلم (هشام بن الحكم) ثم (يونس بن عبد الرحمن) ، وترجع اولى المحاولات الاجتهادية المستقلة لاستنباط الفقه من متون الروايات المعصومة من خلال تطبيق اصول الاستنباط الى فترة (الحسن بن علي بن ابي عقيل العُماني) و (محمد بن احمد بن الجنيد الاسكافي) في القرن الرابع الهجري . ثم كانت خطوات تلميذ (ابن الجنيد) الشيخ (محمد بن محمد بن النعمان المفيد) الأصولية

^{١١} تكملة طبقات أعلام الشيعة ، السيد محمد علي الروضاتي ، إعداد: محمد بركت ، مكتبة متحف ومركز وثائق مجلس الشورى الإسلامي

، ط ١٣٩١ □ ١٤٣٣ هجرية ، ص ١٧

^{١٢} الرواشح السماوية ، ص ١٢٦

والفقهية ، لتتوسع على يد تلميذ (المفيد) الشريف (المرتضى علم الهدى) ، ثم تلميذ (المرتضى) شيخ الطائفة (محمد بن الحسن الطوسي)^{١٣}.

وكان الشيخ (المفيد محمد بن محمد بن النعمان) ، الذي توفي في ٤١٣ هـ ، محور ومدار البلاد الإسلامية في العصر العباسي البويهري لما امتاز به من حنكة ومستوى معرفي وادارة اجتماعية وغلبة عقائدية ، وكانت ترجع اليه معظم الامصار الإسلامية. وكان البويهيون يحترمونه ويجلونهم ، لا سيما بعد أن واجه بنجاح أفكار المعتزلة والأشاعرة والزيدية والإسماعيلية ، حيث كان يحضر مجالس الملوك والقضاة والنخب الاجتماعية ويخاصم ويجادل رؤوس الفرق والمثاليين بأحسن لسان وبيان . وكان مجلسه في بغداد قد بدأ في تخريج اولى المرجعيات الدينية الإسلامية الإمامية لعصر الغيبة الكبرى ، مثل تلامذته (الشريف المرتضى بن الحسين بن طاهر) ، واخيه (الشريف الرضي) ، والشيخ (ابي الفتح الكراجكي) ، والشيخ (الطوسي) الذي توفي في ٤٦٠ هـ ، والشيخ (ابي العباس النجاشي) ، والشيخ (سالار الديلمي) . وتم نفي الشيخ (المفيد) من بغداد للمرة الثانية ، نتيجة الفتن المذهبية وحرق بيوت الشيعة ، رغم كونها تحت حكم الشيعة البويهيين ، ولم يعد اليها الا بعد تدخل (علي بن مزيد الأسدي) جد الاسرة الزيدية الحليّة^{١٤}.

^{١٣} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ٢٦ - ٢٧ و ٣٢ - ٣٣ و ٥٨ - ٥٩ و ٦٦

^{١٤} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ١٧ □ ٢٥

وقد حقق الشيخ (المفيد) ما كان ضرورياً من لم شمل علوم آل محمد واخبارهم , وبيان الطرق الموصلة الى مرادهم , وأسس لمن جاء بعده ما يعجز عنه غيره , لكفاءته واستعداده , ولما وفرته الفترة البويهية من حرية فكرية في بغداد والعالم الإسلامي. لذلك كان تلامذة (المفيد) من اعظم الشخصيات مثل الشريف (المرتضى) والشريف (الرضي) والشيخ (الطوسي)^{١٥}.

وحيث وفاته , صلى على الشيخ (المفيد) خلف الشريف (المرتضى) من طوائف المسلمين ما يقرب من خمسين ألف نفس^{١٦}.

وكان الشيخ (الحسين بن عبيد الله بن ابراهيم الغضائري) من شيوخ وعلماء الشيعة الكبار , وأساتذة أعمدة المذهب في الفقه والرجال , مثل الشيخ (الطوسي) والشيخ (احمد بن علي النجاشي) . وهو من معاصري الشيخ (المفيد) , وكان عليه من الاعتماد الكثير , وابنه (احمد) صاحب كتاب رجال كثير التضعيف^{١٧}.

وإذا كانت مرحلة الشيخ (المفيد) تمثل الجمع والترتيب والتأصيل لعلوم (آل محمد) وتمييز ما هو مقبول عندهم عما هو عند المذاهب والتيارات الإسلامية المختلفة , فقد كانت مرحلة تلميذه الشريف (المرتضى) مؤسسة للمذهب الشيعي الإمامي الجعفري بروحه المعاصرة والنقية , حيث ارتبطت اصول المذهب بما كتبه وأسس له , ومن رسالته "جمل العلم والعمل"

^{١٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٣٤ - ٥٥ و ٧٩ و ٨٧ و ١٠٢

^{١٦} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , محمد باقر الموسوي الخوانساري , مكتبة اسماعيليان - قم - ١٣٩٢ هجرية , ج ٧ , ص

^{١٧} الرواشح السماوية , ص ١٨٠ □ ١٨١

ربما كانت فكرة "الرسالة العملية" عند فقهاء الشيعة , ومن كتابه "الذريعة الى اصول الشريعة" اخذ الفقهاء اصول الفقه , كما انتصر لفقه الإمامية من خلال غزارة إطلاعه على فقه المذاهب الإسلامية وتمكنه من الفقه المقارن , وكان تقييد الشريف (المرتضى) للعمل بأخبار الآحاد منطلقاً لتباين المدرسة الإسلامية الشيعية الإمامية عن المدرسة الإسلامية الشيعية الاخبارية التي ترى بعض مصادرها حجية كل الأخبار الواردة في الكتب الحديثية الشيعية الأربعة , واسس الشريف (المرتضى) لمباحث الاجتهاد والتقليد . وكان ذلك العصر مميزاً لمفهوم زعامة ورياسة المذهب الشيعي الإمامي بصورته غير المعصومة . فيما كان فقهاء كبار آخرون نواب عن الشريف (المرتضى) في بلدان اخرى , مثل (سالار الديلمي) في (حلب)^{١٨}.

ومن تعظيم الشريف (المرتضى) للعلم والعلماء أنه كان يترجل ماشياً إذا مر بقبر (ابي اسحاق الصابي) لشدة علمه , رغم أنه لم يكن مسلماً^{١٩}. وكانت ام الشريفين (المرتضى علم الهدى) , مؤسس قواعد المذهب الإمامي , والشريف (الرضي) صاحب كتاب "نهج البلاغة" والشاعر الكبير , هي (فاطمة) زوجة الامير الشريف (الحسين الطاهر) احد الاقطاب الاجتماعية في الدولتين العباسية والبويهية , وابنة (الحسين بن أحمد بن الحسن) , وجدها (الحسن الاطروش) هو الداعية العلوي الذي ادخل (الديلم) و (الجيل) و (البويهيين) والكثير من بلاد إيران في الإسلام حين لجأ اليهم هارباً

^{١٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٣٤ - ٥٥ و ٧٩ و ٨٧ و ١٠٢

^{١٩} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ٦٦

في خلافة (المقتدر) العباسي . مما يكشف عن عظمة اسرة (الاطروش) واستمرار أثرها التاريخي إسلامياً واجتماعياً^{٢٠}.

والملفت أن جامعي الكتب الحديثية الاربعة لدى الشيعة الإمامية (الكليني, الصدوق, الطوسي) كانوا جميعهم من العنصر الفارسي أو الديلمي , كما هو الحال لدى اغلب جامعي الكتب الحديثية في المذاهب الإسلامية السنية أنهم من الفرس او شعوب ما وراء النهر . ربما لسببين , أن الفرس اصحاب حضارة مكتوبة ومعتادون على الطرق المنهجية , والثاني أن العنصر الفارسي كان بحاجة الى توثيق ودراسة ما يتناقله العنصر العربي حفظاً وما تتناوله المجالس العلمية والأدبية العربية بسليقة لغوية عربية تامة معتادة . رغم أن هذه الموسوعات الحديثية في جميع المذاهب الإسلامية كانت موثقة مكتوبة بشكل جزئي متفرق قبل وبعد هذه الموسوعات , وتم الاستغناء عن تلك الكتب الجزئية بظهور هذه الموسوعات الوافية^{٢١}.

وقد كان الفقيه (ابو الفتح الكراچكي) مرجعاً عاماً للشيعة الإمامية في الشام و(جبل عامل) في النصف الأول من القرن الخامس الهجري , وكان من تلامذة مؤسس قواعد المذهب

^{٢٠} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٣٧

^{٢١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٧١

الأصولية والعلمية (الشريف المرتضى) , وكان اللسان الناطق بمعتقدات الشيعة الإمامية أمام دعاة المذاهب الأخرى السنية والإسماعيلية المحيطة بجبل عامل^{٢٢}.

بينما ازدهرت الحركة العلمية في النجف الاشرف بانتقال الشيخ (محمد بن الحسن الطوسي) قادماً من بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري^{٢٣}.

لقد جاء شيخ الطائفة (محمد بن الحسن الطوسي) مهاجراً هارباً من ضغوطات (محمود الغزنوي) على المذاهب الإسلامية العقلية في بلاد إيران اختار بغداد , والتحق بدرس الشيخ (المفيد) اربعة سنوات , ثم بدرس استاذة الشريف (المرتضى) , فكان بسبب استعداداته النفسية والعلمية وبسبب ما ورثه من هذين العلمين المؤسسين الفطحيين وبسبب نمو ثقافة ومجتمع الشيعة حائزاً أعلى مراتب العلم في الدولة العباسية في القرن الخامس الهجري , وصارت تنهال اليه المسائل من بلاد الإسلام ويحضر درسه مئات المشايخ من مختلف المذاهب الإسلامية , بل بلغ عدد المجتهدين في درسه ما يقارب الثلاثمائة. وصارت كتبه "التهذيب" و "الاستبصار" من مصادر الإمامية الرئيسية . ومن اهم مصنفات الشيخ (الطوسي) ما كتبه في علم الرجال , الذي نقحه وحفظ ما كتبه من كانوا قبله , مثل (الكشي) و(النجاشي) و(الغضائري) , ونقله الى من بعده , واستدرك ما نقص فيه علماء معاصرون له مثل (ابن بابويه الرازي) و(ابن شهرآشوب) . لكنّ دخول السلاجقة القبليين الاميين الى بغداد سنة ٤٤٧ هجرية بسلفيتهم المتعصبة ادى الى احراق مكتبة الشيخ (الطوسي) وكبس داره من

^{٢٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٢٧

^{٢٣} معجم رجال الفكر في كربلاء , سلمان آل طعمة , دار المحجة البيضاء , ط ١ , ص ٥ □ ٨

قبل العامة تحت مرأى السلاجقة , فهرب شيخ الطائفة (الطوسي) الى النجف الاشرف حين كانت قرية , وكانت تراث بقايا ما تركته جهود (الداعي الصغير العلوي) لإنشاء مدارس دينية فيها في القرن الثالث الهجري , وكذلك ما انفقته (عضد الدولة البويهية) على فقهاءها وفقرائها , فنظم (الطوسي) احوالها ومدارسها طيلة اثنتي عشرة سنة , ثم خلفه ولده (ابو علي الطوسي) و(ابن شهريار الخازن) في القرن السادس الهجري , دون تميّز نوعي^{٢٤} .

لقد تلفت الكثير من كتب الشيعة الإمامية بسقوط دولة البويهيين ودخول السلاجقة الاتراك بغداد سنة ٤٤٧ هجرية , بعد ان استغل (طغرل بك) زيارته الودية الى بغداد بدعوة من الخليفة لينقض عليها . وكان السلاجقة سلفيين متعصبين , عدوانيين , بسبب بداوتهم وتفشي الامية فيهم , فانتشرت البيروقراطية المتشددة في السياسة وفي الثقافة , وتوسع اهل الحديث على حساب اهل العقل . ونشأ في فترة الوزير (نظام الملك) الصراع بين الشافعية والحنابلة , فيما نشر السلاجقة الفوضى شعبياً لإشغال الناس واطالة حكمهم , فدخل اهل السنة منطقة الكرخ الشيعية بالأناشيد وصلبوا شيخ البزازين البغداديين (ابا عبد الله الجلاب) على باب دكانه , وتم إحراق مكتبات بغداد التي كانت في الغالب ملكاً للشيعة وكانت تحتوي على امهات الكتب واصول العلوم ونوادير المخطوطات , منها مكتبة الوزير (سابور) , ومكتبة شيخ الطائفة (الطوسي) التي أحرقت في ميدان عام , وحرقوا محال واسواق الشيعة . وتوقف تأليف الكتب العقلية . فيما لعن وزير السلاجقة (عميد الملك

^{٢٤} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٥٥ - ٧٤ و ٧٦ - ٧٧

الكندري) الشافعي الشيعة الإمامية في المساجد وفتك بهم , كما أنه لعن المنتمين الى مذهب (ابي الحسن الأشعري) في العقيدة الاصولية من اهل السنة . فكانت مرحلة السيف هذه مرحلة ذهبية لنمو التيار السلفي ومدرسة اهل الحديث , التي هي بحسب تلك التجربة والتجارب اللاحقة ومنها المعاصرة لا يمكن أن تنمو وتنتشر الا بحد السيف , لذلك هي تجيزه وتنشر دعاية أن الإسلام نفسه انتشر به لتبرر ظروف وجودها , لكنها تمنح لا شك فرصة سانحة لأعداء الاسلام الخارجيين لانتقاده وتصويب سهامهم نحوه . وعذرها أنها لا تستطيع مقاومة المذاهب الاخرى بالعقل , لا سيما أن جمهورها الغالب في كل عصر كان الأعراب والاميين . ولم تعد المدارس العقلية وتنمو من جديد الا بعد ظهور خليفة عباسي قوي هو (الناصر لدين الله) في نهاية القرن السادس الهجري , الذي اسقط الحكم السلجوقي واستعان بالشيعة واهل العقل في وزارته^{٢٥}.

وكان (ابن الشريف اكمل البحراني) من العلماء الاقدمين في بلاد البحرين , حيث يروي بواسطة واحدة عن (الشريف المرتضى) , وبذلك يكون في زمان الشيخ (الطوسي) في النصف الأول من القرن الخامس الهجري^{٢٦}.

وشهدت فترة القرن السادس الهجري التقليدية بعد رحيل الشيخ (الطوسي) ظهور عدة فقهاء تقليديين , مثل (ابي علي الطبرسي) و (سعيد بن هبة الله الراوندي) و (قطب الدين

^{٢٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٧٤ - ٧٦ و ٨٨ □ ٨٩

^{٢٦} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ٥٠

محمد بن الحسن الكيدري) و (رشيد الدين محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني) . و كان الفقيه (حمزة بن علي بن زهرة الحلبي) المرحلة الانتقالية بين زمان الركود العلمي لتلك الفترة وبين انطلاق مدرسة (الحلة) العلمية الكبيرة على يد معاصره (ابن ادريس الحلبي) , تماشياً مع النهوض العلمي الذي تسبب به سقوط دولة الأميين السلاجقة^{٢٧} . ومن تلامذة (الشريف المرتضى) وتلميذه الشيخ (الطوسي) كان (تقي الدين بن نجم الحلبي) في النصف الأول من القرن الخامس الهجري^{٢٨} .

ويبدو أن الخلفاء العباسيين الثلاثة الأخيرين ادركوا سوء ما صنعتها مذهبية وعصبية وسلفية وبدعوة الأتراك السلاجقة من اثر في إضعاف وانهاك الدولة العباسية , اذ تسببت بسقوطها العلمي والحضاري اثناء تلك المرحلة التي دخلوا فيها بغداد , وتسببوا بسقوطها العسكري والسياسي بعد ٧٥ سنة من رحيلهم , حيث لم يدم آخر خلفاء بني العباس الثلاثة سوى تلك المدة قبل دخول المغول . حيث التزم الخليفة (الناصر لدين الله) الذي قضى على نفوذ السلاجقة بتقريب الشيعة وعلمائهم واعتماد مدنيتهم , فيما كان خليفته (المستنصر بالله) متسامحاً مع جميع المذاهب , معمراً لمراقدة الشيعة , بينما كان الخليفة الاخير (المستعصم بالله) منشغلاً باللهو عن السياسة والمذاهب^{٢٩} . كما تسببت الفترة التركية

^{٢٧} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٨٦ □ ٩٤

^{٢٨} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ٥٠

^{٢٩} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٠٥ □ ١٠٦

السلجوقية بتمدد القبائل الأعرابية حينذاك , ان اصطدمت قبيلة (خفاجة) مع السلطة العباسية في ٥٧٥ هجرية , كقبائل أعرابية . وربما كانت هذه الظواهر الأعرابية العنيفة من أسباب سقوط الدولة العباسية أيضا^{٣١}. فقد كانت تحركات قبيلة (خفاجة) إحدى أهم مشاكل الدولة والمدن العلمية المتحضرة , لا سيما الشيعية , في القرن السادس الهجري , ومنها مدينة (الحلة السيفية) , بالإضافة لخطر السلاجقة والصليبيين^{٣١}.

وقد حظيت النجف الاشرف في القرن الحادي عشر الميلادي بالقيادة العلمية للمسلمين الشيعة , بعدما انتقل إليها الشيخ (الطوسي) . ثم انتقلت تلك القيادة إلى مدينة الحلة الأُسدية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي . ثم انتقل المركز العلمي إلى مدينة كربلاء منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي . ثم عادت القيادة الدينية العامة والعلمية إلى النجف الاشرف في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وبدايات القرن التاسع عشر الميلادي , بفعل وجود مرجعيات كبيرة مثل (محمد مهدي بحر العلوم) ت ١٧٩٧ م , و (جعفر كاشف الغطاء) ت ١٨١٢ م^{٣٢}.

وأسس شيخ الطائفة (محمد بن الحسن الطوسي ٣٨٥ □ ٤٦٠ هج) بعد انتقاله من بغداد الى مدينة النجف الاشرف مدرسة علمية ضخمة , كانت ميزتها وعيبتها هو الشيخ نفسه , إذ

^{٣١} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٧٤

^{٣١} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٢٨

^{٣٢} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٣

أنه ترك من العلوم الضخمة والعميقة ما جعل هذه المدرسة بحراً زاخر العباب , لكنه لم يترك من شدة هيبتته لمن بعده الفرصة أو الجرأة لنقد آراءه , حتى كاد يضيع جو الاجتهاد في الأصول والفقه , بل إن زعماء تلك المدرسة بعده كانوا ولده (الحسن) وحفيده (محمد) , إذ استمر الحال الجامد ذلك أكثر من قرن من الزمان . وكان (ابو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي) من أكثر المسلمين عبادة في زمانه واكثرهم ورعا , وكان محترماً عن الخاصة والعامّة , ومن أكثر الفقهاء علماً , يقصده الخاص والعام من أهل العراق ومن غيره , وكان خشناً في ذات الله^{٣٣} . حتى تحرك زعيم مدرسة الحلة العلمية الشيخ (ابن ادريس العجلي الحلبي) , ووجه نقداً كبيراً لآراء الشيخ الطوسي , تسبب في هجوم جملة من العلماء الأعلام عليه , بل وقدحه باشد العبارات , وقد كانت بعض آرائه واضحة الانفراد ربما , لكنه على الأرجح حقق ما كان يصبو إليه من تحريك الدم الجامد في الجسد الشيعي . إذ لولاه لما تجرأ ربما أحد على تجاوز ما قاله الشيخ الطوسي , لقرنين آخرين على الأقل ربما . بل ربما ظلت زعامة الحوزة العلمية النجفية كرامة لأولاده فقط . وهذا ما جعله يتجاوز اسلوب الشيخ الصدوق في نقد آراء الشيخ الكليني , أو اسلوب الشيخ الطوسي في نقد آراء الشيخين الكليني والصدوق . وربما يكون نقل (ابن ادريس) الإجماع في مسألة يعلم عدم الإجماع عليها , ليثير حفيظة العلماء المعاصرين له بزلزال يجعلهم يحركون أقلامهم ويردون عليه , وقد نجح في ذلك ايما نجاح^{٣٤} .

^{٣٣} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ٨٦ □ ٨٧

^{٣٤} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٣٨ □ ٤٥

وقد كان علماء المذاهب في القرون المتقدمة في الإسلام يدرس بعضهم في حلقات البعض الآخر ، بل حتى مع نهاية دولة بني العباس ، كما في دراسة السيد (جمال الدين احمد بن موسى آل طاووس) عند الفقيه الحنفي (رضي الدين الحسن بن محمد العدوي العمري الصغاني) الذي اجازه بكل ما يروي في القرن السابع الهجري ، ودراسة السيد (غياث الدين عبد الكريم آل طاووس) على (عبد الرحمن بن احمد الحربي الحنبلي) وإمام الحنابلة في بغداد (عبد الصمد بن احمد الحربي الحنبلي) ، وتتلّمذ (العلامة الحلبي) على الشيخ (عز الدين احمد الفاروثي الواسطي) والشيخ (احمد بن ابراهيم بن عمر الشافعي الواسطي) . كذلك انتشرت المدارس الصوفية في بعض المدن الشيعية مثل كربلاء والنجف^{٣٥} .

لكن بدأ الشيخ (نجيب الدين محمد بن جعفر بن نما الربيعي الحلبي) في عصر الخليفة العباسي قبل الاخير (المستنصر بالله) في ادراك خطورة الوضع السياسي في بغداد على المدارس العلمية الشيعية ، فاتجه الى تشييد وانماء الحركة العلمية في مدينة (الحلة) ، بعيداً عن المدارس (المستنصرية) الرسمية للمذاهب الإسلامية^{٣٦} .

^{٣٥} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي ، ص ١٥١ و ١٦٤ و ١٨٦ و ٢٥٧

^{٣٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ١٠٦

ومنذ القرن الخامس الهجري كانت مدينة (الحلة) مركزاً للعلم والعلماء والعمران تحت رعاية الدولة المزيديّة ، فكانت تقطنها عوائل علمية كبيرة مثل (ابن ادريس) و(المحقق الحلي) وعموم أسرة (ال سعيد) و(ال طاووس) و(ال المطهر)^{٣٧}.

واصبحت الحلة السيفية محطة العلم والعلماء الأعلام ، لما أولاه بنو مزيد للعلم من مكانة منذ مؤسس المدينة (سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي) ، الذي نال لقب (ملك العرب) ، وله أهدى العديد من العلماء مؤلفاتهم ، بعد أن استغل انشغال السلاجقة بحروبهم وانتقل إليها . فكانت حين زارها الرحالة (ابن جبير) في العام ٥٨٠ هجرية ، أي بعد خمسة وثمانين سنة من تأسيسها ، مدينة كبيرة وعامرة وقوية ومتصلة الحدائق ولها اسواق عامرة بالصناعات والخدمات المدنية ، يسكنها خلق كثير ، وصفهم (ابن بطوطة) حين زار المدينة في العام ٧٢٧ هجرية بأنهم كلهم شيعة إمامية اثني عشرية ، سواء كانوا من العرب أو الأكراد . ترفدها مدن علمية محيطة بها ، مثل (سورا) ، و (النيل) التي كان منها وزير العباسيين (شرف الدين علي بن مؤيد الدين العلقمي) ، و (برس) التي منها الشيخ الحكيم (رجب البرسي) ، و (هرقل) ، و (المزيدية) ، و (مطر اباد) التي ينتسب إليها الشيخ (النجاشي احمد بن علي الأسدي) ، و (نرس) ، و(السيب) التي كان يسكنها (سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي) قبل بنائه الحلة بعام ، والتي انتقل منها إلى (الجامعين) وأسس

^{٣٧} معجم رجال الفكر في كربلاء ، سلمان آل طعمة ، دار المحجة البيضاء ، ط ١ ، ص ٥ □ ٨

فيها مدينته , وبقيت محلة (الجامعين) من أهم مراكز العلم في الحلة كلها , بالإضافة لكونها إحدى محلتها إلى جانب محلة (الأكراد)^{٣٨}.

وقد انتقل السادة العلويون الحسنيون من أسرة (آل طاووس) من المدينة المنورة إلى بغداد ثم الحلة , فأصبحوا نقباء وعلماء وقادة وموجهين للتشيع منذ العصر العباسي , لكن دورهم ظهر جلياً في زمان الدول المغولية , ولثلاثة قرون . وكان قبلهم على النقابة العلوية منذ زمان (الناصر لدين الله العباسي) السادة (آل معية) الحسنيون أيضاً , و (معية) جدتهم من الأنصار , بها اشتهروا^{٣٩}. وتولت عدة أسرة حسنية وحسينية نقابة العلويين والقضاء وإمارة الحاج والحكم منذ نهاية الدولة العباسية , وفترات المغول الايلخانية والجلاليرية , مثل السادة (آل الفقيه) و (آل طباطبا) و (آل مهنا) و (آل العميدي) و (آل الآوي) و (آل الاعرجي)^{٤٠}.

وكان يقيم في مدينة (الحلة السيفية) فقهاء وعلماء وأدباء من مختلف القبائل , تجمعهم رابطة العلم والعقيدة . وربما اندمجت بعض قبائلهم السالفة بقبيلة (بني أسد) الكبيرة , لا سيما في القرون المتأخرة حيث أخذت الاوبئة أكثر تلك القبائل . واهمها قبيلة (عجل)

^{٣٨} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , د. حسن عيسى الحكيم , منشورات المكتبة الحيدرية , ط ١ , ص ٧ □ ١٩

^{٣٩} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٥٤ و ٥٩

^{٤٠} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٦٣ □ ٦٤

الشيعة المعروفة , التي ينتسب إليها مؤسس مدرسة (الحلة) العلمية الشيخ (فخر الدين محمد بن منصور بن احمد بن ادريس العجلي) الذي ولد بحدود ٥٤٣ هجرية^{٤١}.

وكان (بنو زهرة) , نقباء العلويين والعلم في مدينة (حلب) , إمامية , ينتهي نسبهم إلى (اسحاق بن الإمام جعفر بن محمد الصادق)^{٤٢} , على علاقة وثيقة بمدرسة العلم في مدينة (الحلة السيفية) .

كذلك كانت مدينة (الحلة السيفية) تضم فقهاء من العامة , مثل (احمد بن عمر بن الحسين القطيعي) الحنبلي , رغم أنها مدينة شيعية خالصة^{٤٣}.

وظل الشيعة على مجالس العلم حتى بعد سقوط بغداد , فيها , كما كان الأمر في مجلس السيد (رضي الدين بن طاووس) العلمي في العام ٦٥٨ هجرية^{٤٤} . وقد رفض السيد (ابن طاووس) تسلم الوزارة في زمان (المستنصر بالله العباسي) , رغم أنه حبي السيد (ابن طاووس) بدار في بغداد . لكن علاقته ظلت جيدة بالوزير (مؤيد الدين العلقمي) وولده (محمد بن محمد) صاحب المخزن , كما أنه تزوج بنت الوزير (ناصر بن مهدي العلوي) الذي تولاه في عهد (الناصر لدين الله العباسي) . وقد رفض السيد (ابن طاووس) تسلم أي منصب ديني أو

^{٤١} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٢١ □ ٢٥

^{٤٢} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٣٠

^{٤٣} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٢١

^{٤٤} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٢٢

دنيوي في دولة بني العباس , كذلك رفض التوسط بينهم وبين سلطان المغول^{٤٥}. وكان اول من خلع السواد وارتدى الاخضر من العلويين السيد (رضي الدين بن طاووس) بسقوط دولة بني العباس . وكان قد رفض نقابة العلويين في زمانهم وتقلدها بعد ذلك^{٤٦}. وقد وضع السيد (ابن طاووس) خطه على سؤال (هولاكو) عن الأفضل بين السلطان الكافر العادل وبين السلطان المسلم الجائر , فرأى أن الكافر العادل افضل , فوضع العلماء خطهم بعده , وقد كانوا احجموا عن الجواب من قبل^{٤٧}. كان علماء الإمامية المجتهدون الكبار يزورون مناطق العراق البعيدة , فقد زار السيد (ابن طاووس) منطقة (البطائح) في أهوار الجنوب مع كتبه في القرن السابع الهجري^{٤٨}.

وقد كانت هناك مصاهرة واضحة بين (النخع) من خلال (آل ورام) الشيخ الزاهد والأمير العسكري وبين شيخ الطائفة (الطوسي) , تلتقي برئيس المذهب (ابن ادريس العجلي الحلبي) والفقيه الكبير السيد (رضي الدين بن طاووس)^{٤٩}. الامر الذي يكشف شكل العلاقات المترابطة بين العوائل القائدة للمجتمع حينذاك . حيث كانت دور البيوتات العلمية والقبلية في مدينة (الحلة) مجلساً مفتوحاً للعلم والتدريس لعدة قرون , ولم تشهد المدينة ظاهرة المدارس الخارجية إلا نادراً . ولم تكد تخلو عائلة من سلسلة معرفية علمية ومجلس للدرس

^{٤٥} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١١٨

^{٤٦} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٠٨

^{٤٧} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١١٧

^{٤٨} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١١٦

^{٤٩} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٥٢

, حين كانت مدن العالم الإسلامي تشهد الافول وبداية الظلام^{٥٠}. وحضر الشيخ (ورّام) حفيد الشيخ الأمير (ورّام بن أبي النجم) دروس الشيخ (ابن ادريس الحلبي) في القرن السادس الهجري , مما يشير إلى استمرار تعزيز عشيرة (النخع) لدورها المعرفي الريادي في التاريخ الشيعي حينذاك باستمرار^{٥١}.

وكان أسلاف وأحفاد (آل ورّام) النخعيون منشغلين بالعلم والامارة معا , وكان يغلب على أكثرهم الزهد والتدين^{٥٢}. وكان الأمير الفقيه الشيخ (ورّام بن ابي فراس النخعي) ملتفتاً إلى غياب المجتهدين الحقيقيين بعد الشيخ (الطوسي) , وأن من ظلوا مقلدين له , وهذا ما حكاه لحفيده السيد (رضي الدين بن طاووس)^{٥٣}, اذ كانت (خديجة) ابنة الشيخ الزاهد (ورّام النخعي) ام السيد (رضي الدين بن طاووس الحسنبي)^{٥٤}.

. وقد ذكر (المنتجب) صاحب كتاب "الفهرست" عن الشيخ (ورّام بن ابي فراس النخعي) في النصف الأخير من القرن السادس الهجري وبداية السابع أنه التقاه وشاهده فوافق الخبر عنه ما رأى من علم وفقاهة^{٥٥}. وكان أمير الحاج في خلافة (الناصر لدين الله) العباسي هو

^{٥٠} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٦٢

^{٥١} تراجم الرجال , احمد الحسيني , دليل ماه - قم - ١٤٢٢ هجرية , ج ٤ , ص ٣٥

^{٥٢} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ١٣٠

^{٥٣} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١١٥

^{٥٤} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ١٦٦

^{٥٥} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ١٠٤

الأمير (ابو فراس بن جعفر بن فراس الورّامي النخعي) ، وهو ابن اخ الشيخ الزاهد صاحب مجموعة (ورّام) الذي يصفه (ابن الأثير)^{٥٦} بأنه من صالحى المسلمين وخيارهم^{٥٧}.

وكان للمرأة دور مهم ومحترم وقبول علمي في الوسط الشيعي في كل العصور ، فضلاً عن تقديس السيدة (فاطمة الزهراء) بنت رسول الله ، أجاز مراجع الشيعة الكبار بناتهم علمياً ، مثل الشيخ (الطوسي) الذي أجاز ابنتيه ، والسيد (ابن طاووس) الذي أجاز ابنته (فاطمة) ، وكانت اختها العلوية (شرف الأشراف) من تلامذته . وهي المكانة التي ظلت الى زمان السيد (محمد باقر الصدر) في العصر الحديث ، الذي منح أخته العلوية (آمنة بنت الهدى) مساحة علمية واجتماعية واسعة^{٥٨}.

كما كان اهتمامهم واسعاً بتربية الناشئة ، كما في زمان السيد (ابن طاووس) حيث اهتم الشيعة بمعارف تربية الأولاد ، فكان كتابه "البهجة لثمرة المهجة في مهمات الاولاد " من الدورات المهمة في ذلك ، حين كان العالم يعج أو يؤول إلى الدخول في الظلام^{٥٩}.

ويبدو أن ضعف ، ثم سقوط العباسيين ، كان منطلقاً لعرض علوم ومعارف امير المؤمنين (علي بن ابي طالب) ، بعد زهاب التشدد الحكومي ضده ، حيث ألف ثلاثة من المعاصرين لتلك

^{٥٦} الكامل ، ط تورنبيرغ ١٨٥١م ، ج ١٢ ، ص ٢٩٢

^{٥٧} اعيان الشيعة ، ط دار التعارف □ بيروت ، ج ٢ ، ص ٢٩٤

^{٥٨} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي ، ص ١٢٠

^{٥٩} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي ، ص ١٣٢

الفترة شروحهم في كتاب (نهج البلاغة) ل(الشريف الرضي) , هم (ابن أبي الحديد) و(ميثم البحراني) و(ابن طاووس) . ولولا الطلب على مثل تلك المعرفة العَلَوِيَّة لم يهتم ثلاثة كبار مثلهم بتلك الناحية^{٦٠} .

كما اهتم علماء الإمامية بالعقائد المقارنة وعلم مقارنة الأديان في وقت مبكر , كما في تناول السيد (ابن طاووس) لنصوص مجموعة من الأناجيل في كتابه "سعد السعود" , وكذلك كتابه "الطرائف في معرفة الطوائف"^{٦١} . ولم يتوقف الشيعة عن دراسة ومقارنة الأديان المختلفة , حتى في العصور الصعبة التي اختلطت فيها مادة المذاهب والأديان^{٦٢} , فكان الميرزا (محمد باقر الخاتون آبادي) ممن ترجم ودرس الأناجيل الأربعة في القرن الثاني عشر الهجري^{٦٣} , أي بعد السيد (ابن طاووس) بعدة قرون .

ولسعة الجامعة العلمية الشيعية وحرية التعبير فيها عند نهاية الدولة العباسية , كان بعض علماء اليهود مثل (عفيف الدين فرج بن حزقيال اليعقوبي) يتردد على السيد (رضي الدين بن طاووس) ويسأله في العلم^{٦٤} . فيما لجأ العالم اليهودي (عز الدولة بن كمونة) إلى مدينة (الحلة) في العام ٦٨٣ هجرية , بعد تأليف كتابه "الأبحاث عن الملل الثلاث" الذي

^{٦٠} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٣٧

^{٦١} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٣٨

^{٦٢} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٥٩ و ١٠٩ و ٢١٧

^{٦٣} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٧٣

^{٦٤} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٢٤

تعرّض فيه للأديان , خوفاً من غوغاء المدن الأخرى , لما وجد في تلك المدينة من حرية فكرية في زمان (العلامة الحلي) . وقد كشفت حادثة تهريبه من قبل سلطات بغداد وقبول إقامته في مدينة (الحلة) حتى وفاته عن مدى التسامح الديني الإسلامي حينذاك , ويناقض كلياً ما يروجه بعض المستشرقين عن الإسلام , بل وما عليه اليهود من سوء صنيع في الماضي والحاضر تجاه أمة الإسلام^{٦٥}.

وكان الكثير من أمراء الأقاليم وزعماء القبائل والمناطق من رجال الدين والدارسين الباحثين والأعلام المجتهدين , لذلك كان زمانهم أكثر وعياً ممن اتى بعدهم , إذ كان أولئك جدار صد حكيم بوجه المستعمرين والدخلاء , وليس كما صار من الزعماء حين فشا الجهل واستبدت الحكومات بتربية الأبناء^{٦٦}.

وكان استيزار (الخواجة نصير الدين الطوسي) سنة ٦٦٢ هجرية من قبل المغول قد عنى بشكل مباشر الحفاظ على المؤسسات العلمية والدينية في بلاد الإسلام , فهو الرجل الذي مزج بين الفلسفة وعلم الكلام , ورعى المعاهد العلمية وانفق عليها , لا سيما في مدينة (الحلة) , بوجود تلميذه (العلامة الحلي)^{٦٧}.

^{٦٥} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٨٠ و ٢٢٦

^{٦٦} تراجم الرجال , احمد الحسيني , نشر : دليل ما - قم - م : ناشر ١٤٢٢ هجرية , ج ٣ , ص ١٢ □ ١٤

^{٦٧} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٠٧

وقد لعب سقوط بغداد بيد المغول وانحسار الحكم الطائفي المضائق للشيعة , كذلك تبني المغول للمذهب الشيعي او التقرب منه , دوراً محورياً في تصدي فقهاء الإمامية للعمل السياسي^{٦٨} .

وكان الشيخ (سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيزة بن وشاح السوراوي) أحد الذين انتهت إليهم زعامة الطائفة الشيعية في العراق عند دخول المغول , وأحد الذين قابلوا (هولاكو) وأخذوا منه الأمان لمدينة (الحلة) , وكانت تنتهي إليه علوم الدين والكلام والفلسفة^{٦٩} .

كما التقى نقيب العلويين في البلاد الفراتية السيد (مجد الدين محمد آل طاووس) ووالد (العلامة الحلبي) الشيخ (يوسف بن علي بن المطهر الأسدي الحلبي) والشيخ (ابن أبي المعز الحلبي) بسُلطان المغول (هولاكو) , وأخذوا الامان لمدينة (الحلة) , فعادت جموع الأهالي التي هربت إلى بطائح الاهوار . ولجأ إلى (الحلة) مختلف علماء الأمة , وازدهرت الحركة العلمية فيها كثيرا , لاسيما بوجود (المحقق الحلبي) الشيخ (نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي ٦٠٢ □ ٦٧٦ هجرية)^{٧٠} .

وكان استبدال (المحقق الحلبي) الشيخ (نجم الدين جعفر بن الحسن) لكتاب "النهاية" للشيخ (الطوسي) في الفقه بكتابه "شرائع الإسلام" بداية لدورة جديدة موسعة منشطة لعملية الاستنباط في المدرسة الفقهية الإمامية . كما أنه اعطى لمصطلح "الاجتهاد" في الفكر

^{٦٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٠٩ □ ١١٠

^{٦٩} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٨٠

^{٧٠} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٥٣

الشيعة الإمامية معنى ايجابياً غير المعنى السلبي الذي كان يقابل القول بالرأي والقياس عند الماضين^{٧١} . وتمم (المحقق الحلبي) وابن اخته وتلميذه (العلامة الحلبي) ما بدأه (الشريف المرتضى) من مباحث الاجتهاد والتقليد وأرسوا معالمها الرئيسية^{٧٢} . فيما كان الشيخ (شرف الدين علي بن مؤيد الدين العلقمي الحلبي) ممن تتلمذ على (المحقق الحلبي) , وهو ابن وزير (المستعصم العباسي) آخر ملوك بني العباس^{٧٣} . اذ كان درس (المحقق الحلبي) في القرن السابع الهجري يضم أربعمئة مجتهد , وهو ما لم يتفق لغيره^{٧٤} .

وكان أبناء (جبل عامل) في لبنان يدرسون في مدرسة (الحلة) العلمية في القرن السابع الهجري , مثل الشيخين (جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي العاملي) و (نجم الدين طمان بن احمد العاملي الشامي)^{٧٥} . اذ خلال فترة قرنين بعد رحيل زعيم الشيعة في جبل عامل (ابي الفتح الكراجكي) في القرن الخامس الهجري التحق عدة فقهاء بالمدرسة العلمية للشيعة الامامية في (الحلة السيفية) , مثل (اسماعيل بن الحسين العودي الجزيني) في القرن السادس , و (طومان المناري) وجد (الشهيد الثاني) الشيخ (صالح بن مشرف العاملي) و

^{٧١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٩٨ و ١٠١

^{٧٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٠٣ □ ١٠٤

^{٧٣} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٨٥

^{٧٤} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٧٧

^{٧٥} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٩١ □ ٩٢

(جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي العاملي) و (ابن الحسام العاملي) في القرن الثامن الهجري , فخلق كل ذلك حركة علمية معتد بها في جبل عامل وكل الشام^{٧٦}.

بينما كان الشيخ (مفيد الدين محمد بن جهيم الاسدي) أحد أهم فقيهين في مدرسة (الحلة) العلمية في نهاية القرن السابع الهجري . مما يكشف عن استمرار عطاء قبيلة (بني أسد) العلمي طويلاً . كما كان الشيخ (محفوظ بن وشاح الأسدي) كذلك , حيث كان أحد فقهاء زمانه ومن مشايخ الإجازات في نهاية القرن السابع^{٧٧} . وصار الفقيه (محمد بن محفوظ بن وشاح الحلبي) قاضياً على (الحلة) في العام ٦٨٤ هجري^{٧٨}.

فيما كان تحول السلطان المغولي (غازان) إلى الإسلام نهاية القرن السابع ٦٩٤ هجرية , بجهود الخواجة (نصير الدين الطوسي) الذي بذل جهوداً لنشر التشيع في البلاد الإيرانية , وزيارة السلطان إلى العراق بعد سنتين , ثم دخول سلطان المغول (محمد خدا بنده) في التشيع على المذهب الجعفري في الفترة ٧٠٨ □ ٧١٦ هجرية , بعد مروره بالمذهبين الحنفي والشافعي , واعتباره المذهب الرسمي للدولة وسك العملة بأسماء الأئمة الإثني عشر , فرصة كبيرة لانطلاق فكر الإمامية في العالم , في زمان المدرسة الحلية وعصر (العلامة الحلبي) وولده

^{٧٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٢٧

^{٧٧} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٨٨ □ ٨٩

^{٧٨} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٧٦

(فخر المحققين) . وقد كتب (العلامة الحلي) موسوعة "تذكرة الفقهاء" في الفقه المقارن في (السلطانية) عاصمة السلطان المغولي (محمد خدابنده) في إيران في محضر جملة كبيرة من فقهاء المذاهب الإسلامية , مما ساهم في توسعة أفق المسلمين تجاه مذهب الإمامية . وكان مكث (العلامة الحلي) في إيران المغولية واجابته أسئلة سلاطينها ووزرائها ومسؤوليها دافعاً جديداً لا شك في انتشار التشيع الإمامي في بلاد إيران وغيرها . وكان (العلامة الحلي) قد كتب كتابه "منهاج الكرامة في إثبات الإمامة" لسلطان المغول , مثبتاً من خلاله وجوب الإمامة وأنها من اللطف , فرد عليه (ابن تيمية) الحنبلي بتعصب وتجاوز لفظي في كتاب "منهاج السنة النبوية" . كذلك كتب (العلامة الحلي) كتاباً للسلطان المغولي (محمد خدا بنده) في اصول الدين والكلام بعنوان "نهج الحق وكشف الصدق" , رد عليه (الفضل بن الروزبهان) بكتاب , مما سمح بحركة فكرية ضخمة في الفترة المغولية الإسلامية , نتجت عن قلم (العلامة الحلي) بدءاً . فيما كان كتاب (العلامة الحلي) "الألفين الفارق بين الصدق والمين" موسوعة في إثبات الإمامة والرد على جميع آراء المذاهب الإسلامية المخالفة للإمامية في مسائلها , كتبه في إيران للسلطان المغولي (محمد خدا بنده) , مما وسّع من قبول مذهب أمير المؤمنين (علي بن ابي طالب) . لا سيما أن مدرسة (العلامة الحلي) كانت تسير مع مسير السلطان المغولي , الذي أعجب ب(العلامة الحلي) وأقطعه بلاداً كثيرة لم يرثها احد عنه , مما أغضب أهل باقي المذاهب عليه^{٧٩} .

^{٧٩} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٢٢٥ □ ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٥٨ □ ٢٥٩ و ٢٦٣ و ٢٧١ □ ٢٧٤ و ٣٩٢ □

وكانت كتب الشيعة الإمامية ابتداءً من العصر المغولي تستفز خصومهم , الذين كانوا يعتمدون على السلطان في كبح بينات الشيعة , وحين غاب السلطان السني كانت الفرصة مواتية لانطلاق المذهب الشيعي بفكره وكتبه الكبيرة , لا سيما مؤلفات (العلامة الحلي) , فكان كتاب "منهاج السنة النبوية" ل(ابن تيمية) رداً على كتاب "منهاج الكرامة في باب الإمامة" ل(العلامة الحلي) في الربع الأول من القرن الثامن الهجري , فيما كان كتاب "إبطال نهج الباطل" ل(فضل الله بن روزبهان الأصفهاني) في القرن العاشر الهجري رداً على كتاب "نهج الحق وكشف الصدق" للعلامة أيضاً المكتوب في القرن الثامن , والذي رده القاضي (نور الله التستري) في القرن الحادي عشر بكتابه "إحقاق الحق وازهاق الباطل" , فلم يجد العامة حينها من رد سوى قتل القاضي (التستري) بصورة بشعة في الهند , بعدما ورثه العامة من سلفية وتعصب وبدعوة المرحلة التركية السلجوقية التي كانت هي الفترة الأخيرة من ممالك خلافة العباسيين , حيث كان (ابن تيمية) اقرب إلى ديار وزمان السلاجقة وكانت آثارهم واضحة في كتاباته المتطرفة^{٨٦}. فقد خالف (ابن تيمية) في الربع الأول من القرن الثامن الهجري إجماع السلف السني بطلاق الزوجة ثلاثاً إذا قيلت في مجلس واحد , وأفتى باعتبارها طليقة واحدة , لكسب ود سلطان المغول (خدابنده) وإبعاده عن الشيعة الإمامية الذين كانت تلك فتواهم قبل (ابن تيمية) الذي كان يعيش في دولة المماليك في الشام وهم خصوم المغول , رغم أن تشييع هذه العائلة المغولية اقدم من تلك الحادثة , فقد كان السلطان السابق (غازان) شيعياً بلا إعلان رسمي في نهاية القرن السابع الهجري , لكن عقل (ابن

^{٨٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١١٢ □ ١١٣

تيمية) كان أقل من إدراك ذلك فعلا , كما هو عقل من نسب تشييع هذه الأسرة المغولية إلى حاجتها للمسلمين الشيعة في نصره دولتها أمام خصومها من المماليك , بعد أن فشلت برأيهم في اجتذاب أهل السنة , غافلين عن أن جيش المغول الذي اسقط الخلافة الإسلامية العباسية نفسها كان يضم أهل السنة , كما أن دولة المغول كانت حاكمة على كل آسيا لا تنتظر الانتصار بكتلة بشرية اوهنتها وانهكتها فترة السلاجقة الأتراك , ولم تشهد جيوش المغول المقاتلة ضد المماليك أي حضور فعلي للشيعة .

وهذه التصورات السنية مبنية على إيمانهم الفعلي بنشر الاسلام بالسيف , الموروث عن الفكر الأموي والسلجوقي , حيث ينسبون دخول الناس في التشيع إلى حادثة بعينها , في لحظة ما سريعة , دون النظر إلى مقدمات ذلك التشيع أو أبعاده العلمية , ليختصروا فكرة المناقشة التي ربما لا يملكون ادوات إتمامها , أو أنهم حين لا يجدون التشيع قد انتشر أو سيطر على الآخرين بالسيف وانما بالكلمة فإنهم يفترضون أن ذلك كاد أن يحصل وتوقف في آخر ثواني بسبب القدر , كما في اتهامهم للسلطان (خدا بنده) بمحاولة ادخال (الحجاز) في التشييع لولا موته , كما أن هذا الموت نفسه هو من منعه من نبش قبور الخليفين الأولين في دعايتهم المتهافئة , ومن نبش ونقل قبوري (علي) و(الحسين) أيضا , فيما أنه لم يفرض هذا التشييع على من حوله من أهل السنة , وهم اقرب ولم يؤذهم قط , أو أنهم يفترضون بلا دليل خاص أن التشييع انتشر بقوة السيف ما دام السلطان قد دخل فيه رسميا , ويتركون ذلك

للتوقعات , فيما أن السلطان المغولي (خدا بنده) لم يقيم سوى بإنشاء مدرسة سيارة ل(العلامة الحلي) تتحرك بين أذربيجان وبغداد برفقته للرد على المناقشات العلمية^{٨١}.

وكان زمان العلامة (جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلي) قمة النضوج الفكري لمدرسة الحلة العلمية , وقمة الاشتهار لمدرسة الإمامية. وهو ثمرة ثلاثة عوامل , انحسار الضغط السلطوي الطائفي العباسي عن مدارس الشيعة بدخول المغول وحيادهم الفكري , وجهود من كان قبل العلامة الحلي من مجتهدين وعلماء , ونبوغ وسعة اطلاع وحركة العلامة الحلي. فكان يدرس في مدارس المذاهب الأخرى , ويدرس بعض علمائها , ويحاجج ويناقش آخرين . حتى بلغ النقاش بينه وبين السلفي (ابن تيمية) أن يسميه الاخير (ابن المنجس) تعصبا , ويطلق عليه بعض السلفيين لقب "شيخ الروافض" , رغم أن (العلامة الحلي) التقى (ابن تيمية) في موسم الحج وكسر بعض تعصبه وهدأ غلواء نفسه . إلا أن مراسلاته تلك أثمرت لا شك اطلاع المذاهب الأخرى على معارف وعلوم الإمامية وجذبتهم إليها . وقد أنتجت مدرسته ما يقارب الخمسمائة مجتهد . فكانت حرية الفكر في مدرسة الحلة العلمية والمدارس النجفية والبغدادية ووجود العالم الوزير الخواجة (نصير الدين الطوسي) وتصدي العلماء للوجاهة والامارة الاجتماعية وحياد المغول الفكري وانحسار دور الأتراك الطائفيين سقفاً لتوفير الظل المناسب للحفاظ على الإرث المعرفي

^{٨١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١١٦ □ ١١٨

والعقائدي الإسلامي , ومنع تسبب سقوط دولة الإسلام في سقوط علوم الإسلام. فلم تكن لتلك الأسباب تلك القرون عصور ظلام في العراق , بل هي عصور معارف وتعارف^{٨٢}.

ولقد كان تقسيم درجات الأحاديث النبوية إلى صحيح وحسن وموثق وضعيف من قبل السيد (ابن طاووس) و(العلامة الحلي) سبباً مباشراً لانقسام الشيعة الإمامية إلى "أصولية" عقلية و"أخبارية" سلفية , حيث يرى الاخرون صحة ما في كتب الحديث الشيعية الأربعة (الكافي , من لا يحضره الفقيه , التهذيب , الاستبصار) في الجملة , وحرمة تقسيم درجة الأحاديث^{٨٣}.

وكان من تداخل مدارس العلماء في المذاهب الإسلامية أن يتوهم بعض المؤرخين مثل (السبكي) فينسب أحد علماء الإمامية الاجلاء كالشيخ (قطب الدين محمد بن محمد الرازي البويهني) حفيد الشيخ (الصدوق) إلى المذهب الشافعي , رغم كونه إمامياً من تلامذة مدرسة (العلامة الحلي) , ويصرّح الشهيد الاول بإماميته رغم وجوده ودفنه بدمشق^{٨٤}.

وقد نال (فخر المحققين) ابن (العلامة الحلي) درجة الاجتهاد وهو في العاشرة من عمره , مما يكشف عن نبوغ ذلك الجيل وإمكانية رعاية الأطفال في ظل تربية الإسلام الحرة^{٨٥}.

^{٨٢} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٨٠ □ ١٩٨

^{٨٣} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٢٣١

^{٨٤} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٢١٩

^{٨٥} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٢٢٤

فيما لم يعد يُذكر أي نشاط سياسي واضح للمرجعيات الدينية بعد رحيل (العلامة الحلبي) ، الذي تزامن مع سقوط دولة المغول الايلخانيين مع نهاية الثلث الأول من القرن الثامن الهجري ، وقيام دول التركمان البدوية التي لم يعد للعمل النخبوي فيها مقام ، ثم الدولة التركية العثمانية المتخلفة حضارياً والمتعصبة مذهبياً^{٨٦}. فصار (العلامة الحلبي) المتوفى في عام ٧٢٦ هجري هو البرزخ بين عالين ، العلماء الذين سبقوه "المتقدمين" ، والعلماء الذين جاءوا بعده "المتأخرين"^{٨٧}.

بينما حظي الشيخ (محمد بن مكي العاملي) الملقب ب"الشهيد الأول" بعناية خاصة من (فخر المحققين) ابن (العلامة الحلبي) ، فأخذ منه ما كان عليه (العلامة الحلبي) من جامعية وميدانية ونبوغ قيادي وشخصية مؤثرة في المجتمع والسلطين ، وتفاعل مع المدارس والمعاهد الشيعية والسنية ، فكان نسخة جديدة من حركة الشيخ (المفيد) و (العلامة الحلبي) ، فعمل بعد رجوعه إلى بلاد الشام في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري على جمع الشيعة الإمامية ، وأسس المعاهد العلمية ، حتى صار كتابه "اللمعة الدمشقية" من الكتب الحوزوية المنهجية بعده ، وأصل لحاكمية الفقيه الجامع لشرائط نيابة الإمام المعصوم وألزم الشيعة بدفع الحقوق إليه ، ونشر الوكلاء في مختلف القرى لأول مرة ، كذلك حاول إعادة النصيرية وشيعة الساحل المتسننين إلى العقيدة الإمامية ، فالتفتت إليه عيون سلطات الماليك ، لكنها

^{٨٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ١٢٥

^{٨٧} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ١٢٥

خشيت أتباعه أول الأمر , وكانت بحاجة إليه للقضاء على تمرد (محمد اليالوش) الذي كان من تلامذته ثم قاد على ما يبدو تنظيمًا من النصيرية اربع الممالك , فلجأوا إلى التعاون مع الشيخ العاملي , الذي انتصر على (اليالوش) في معركة النبطية , إلا أن الممالك أنفسهم غدروا بالشيخ العاملي وتعاونوا مع خلفاء (اليالوش) ضد الشيخ العاملي , الذي سجنوه , ثم حكموا بإعدامه وصلبه ورجمه وحرقه بفتوى من قضاة المالكية والشافعية ومشاركة جهلة العامة بغلٍ منقطع النظر . فظلت الشيعة في فترة اقطاعية تعتمد على زعماء العوائل المالكة سياسياً وحركة الفقهاء علمياً حتى خضوع الشام للسيطرة العثمانية في القرن العاشر الهجري^{٨٨} , بعد أن قضى الممالك على معظم حركة الشيعة في بلاد الشام^{٨٩} .

وقد ابطل الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) دعوى نبوة (محمد الجالوشي) في سلطنة الممالك , وقضى عليه بعد إبطال سحره^{٩٠} .

فيما تكشف قصة محاكمة الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) في دولة سلطان الممالك (برقوق) في دمشق في القرن الثامن الهجري عدة حقائق زمانية ومكانية حينها , مثل تحوّل جملة من شيعة لبنان الى مذاهب أخرى , تحت ضغط الممالك في بلاد الشام , وهي الضغوط ذاتها التي ساقطت رجل دين مثله إلى الإعدام , وكذلك اجتماع جميع المذاهب السنية تحت حكم الممالك على النصب والعداء والقسوة ضد شيعة أهل البيت , بعد أن كان ذلك بعيداً في زمان الحكومات العربية , كما أنها كشفت السر وراء انحسار انتشار مذهب أهل البيت في

^{٨٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٢٩ □ ١٣٣

^{٨٩} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٥٤

^{٩٠} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ٤

بلاد الشام , وتوقفه في بلدان أخرى , بعد سرعة سيره الحثيث في زمان الممالك الإسلامية العربية التي كانت تحاور في الغالب بالكتاب والكتاب المضاد , قبل ظهور الأتراك ومماليكهم , فيما كانت طريقة إعدام الرجل الأكبر في العلوم الإسلامية الشيعية , من خلال سجنه ثم ضربه بالسيف ثم رجمه ثم حرقه , تكشف عن غل وتعصب مفرط , يساوي الجهل الذي يتغلغل في نفوس خصومه . ومن الغريب أن يتم إعدام رجل مسلم بسبب كتابات فقهية^{٩١}!

وقد كتب الشهيد الأول كتابه "اللمعة الدمشقية" هدية لصديقه السلطان (علي بن المؤيد) في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري , والذي كان زعيماً للدولة (السربدارية) في خراسان المندمجة في حكومة (التتر) بعد وفاة السلطان (خدا بنده) , ليكون دستور دولته هناك^{٩٢}. وتكشف علاقة الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) ب(شمس الدين محمد الآوي) صاحب ملك خراسان (علي بن مؤيد) قبل وأثناء زمان (تيمورلنك) عن سبق انتشار مذهب في تلك البلدان على ظهور دولة الصفويين الأتراك^{٩٣}.

ودعا الشهيد الأول (محمد بن مكي) النساء إلى الرجوع إلى زوجته الفقيهة (ام علي)^{٩٤}. وكانت الفقيهة (فاطمة) بنت الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) الملقبة ب(ست المشايخ) مجتهدة , الزم ابوها النساء بالرجوع إليها^{٩٥}.

^{٩١} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ١٠ □ ١٧

^{٩٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٣٨

^{٩٣} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ١١

^{٩٤} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ٧ □ ٨

^{٩٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٣٤

وكانت سيطرة المماليك المتعصبين مذهبياً والمنفعلين سياسياً ضد المغول الايلخانيين الشيعة ,
والفقراء حضارياً , على بلاد الشام في منتصف القرن السابع الهجري قد عنت اضطرار علماء
الشيعة الإمامية إلى الانعزال في قرى نائية محصنة طبيعياً والابتعاد عن الشأن السياسي , لا
سيما أن المماليك ورثوا التعصب الطائفي العنيف للدولة التركية السنية التي اسقطوها وهي
دولة (بني أيوب) . بل قام المماليك في القرن السابع الهجري بذبح الشيعة في مجازر
اعتمدت على فتاوى المتعصب (ابن تيمية) ضدهم , فلجأ الشيعة إلى الجبال والقرى النائية ,
كما تظاهر بعضهم بانتمائه الى المذهب الشافعي طيلة القرن الثامن الهجري , رغم أن بلاد
الشام كانت في القرن الخامس الهجري تتضمن من الشيعة ما فاق عدد أهل السنة^{٩٦} .

وكانت فترة احتلال الشعوب الآسيوية المغولية , ثم التركية , ثم الغربية لحواضر العالم
الإسلامي عامة والعراق خاصة سبباً في اندثار المكتبات وضياع الكتب . إذ يصف صاحب كتب
الرجال (الحسن بن داود الحلبي) مؤلفات استاذه نقيب العلويين السيد (جمال الدين آل
طاووس) في القرن السابع الهجري بـ "اثنين وثمانين مجلداً من احسن التصانيف" , لكن لم
يصل منها إلى الحاضر سوى عناوين سبعة عشر كتاباً^{٩٧} . فيما كانت هناك كتب عظيمة فقدت
من المكتبة الشيعية بمرور الزمن , مثل كتاب (العلامة الحلبي) المسمى "استقصاء الاعتبار في
تحرير معاني الاخبار" في الحديث ودرجة صحته ومباحثه الأصولية والأدبية والرجالية ,

^{٩٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٢٨

^{٩٧} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ١٥٢ □ ١٥٣

بل ربما اهم الكتب الرجالية والحديثية التي ألفها علّامة فطحل عميق مثل (الحلي) فقدت , مثل "الكتاب الكبير" , مما تسبب في تراكمات معرفية سلبية لا شك^{٩٨}.

فيما كان أسلاف السادة المرعشيين الهاشميين الحسينيين هم ملوك طبرستان طيلة القرنين الثامن والتاسع الهجريين , وكانوا ملوكاً علماء أدباء فقهاء في الغالب^{٩٩}.

لقد استمرت مدرسة (الحلة) العلمية عدة قرون , السادس الهجري , بوجود فطاحل العلم مثل (ابن إدريس) وغيره , والسابع والثامن , بوجود واحد دهره (المحقق الحلي) , ثم ابن أخته (العلامة الحلي) , حيث توسعت المدرسة وهاجر إلى مدينة (الحلة) الباحثون عن المعرفة , ثم ولده (فخر المحققين) , بتلامذتهم الأعلام . حتى بدأت شمسها بالأفول في القرن التاسع , لتنتقل معالم العلم جميعاً إلى مدينة النجف الأشرف^{١٠٠}.

واتجه الفكر الإسلامي عموماً منذ منتصف القرن الثامن الهجري الى الاعتزال والانفراد , بمعنى ترك السياسة , بعد تشتت الأمة وغلبة العنصر غير العربي على القوى العسكرية اثر انهيار اهم الامارات الإسلامية العربية , وهي في الغالب شيعية منذ العصر العباسي الاخير

^{٩٨} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٢٣٣ و ٢٧٧

^{٩٩} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ٥٠٨

^{١٠٠} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٨٣

, ونتيجة لتفضيل العنصر الأجنبي لظاهرة التصوف التي تبقي النخب الاجتماعية بعيدة عن طلب الامارة . كما أن التصوف يوفق بين قناعة السلاطين المغول وغيرهم بما لآل محمد من مقام , بعد الحجج القوية والبراهين الساطعة التي عرضتها المرجعيات الشيعية بين أيديهم وبين ما عليه باقي الأمة من أصول مخالفة , كما في كتابات (ابي يزيد البسطامي) و (شقيق البلخي) و (معروف الكرخي) , فيتحقق بذلك القرب من الطرفين , مع الخلاص من حصر الشيعة لحق الإمامة في (بني هاشم) من آل محمد . وقد امتد هذا الحال إلى الفكر الشيعي بمجرد رحيل اخر مرجعية دينية حركية هي مرجعية (فخر المحققين بن العلامة الحلبي) , اثر البعد الزمني عن اخر إمام معصوم في منتصف القرن الثالث الهجري , وانحسار آخر اثار عالم السياسة للدول الشيعية السابقة بعد مرور عدة قرون على أهمها (المزيدية السيفية) في (الحلة) . فكانت فكرة ظهور المرجعيات المدرسية غير القيادية نسبياً بدأت بالظهور منذ زمان (بهاء الدين حيدر بن علي العبيدي ٧٩٤ هـ) في كتبه التي حاول فيها التوفيق بين الفكر الشيعي الإمامي والفكر الصوفي السني , ليكون العالم الديني مركزاً على العبادات الفردية والقضايا الباطنية أكثر من تركيزه على تربية الأمة بمجموعها , كما كانت تفعل القيادات الدينية الكبرى السابقة , والتي كانت واضحة جداً في شخصية (العلامة الحلبي) , وأقل وضوحاً في شخصية ولده (فخر المحققين) . فكان في (الحلة) بعد (فخر المحققين) أعلام هم (عبد الرحمن العتائقي) , الذي هاجر إلى مدينة النجف الأشرف وابتدأ نشاط مدرستها العلمية من جديد منذ منتصف القرن الثامن الهجري , و (المقداد السيوري الأسدي) , الذي آلت إليه المرجعية الشيعية الكبرى في (النجف) و(الحلة) لأسباب ترتبط

بغيره كما ترتبط به , و الحافظ (رجب البرسي) , الذي هاجر إلى مشهد الإمام (الرضا) في خراسان واعتكف فيه , والشيخ (احمد بن فهد الحلبي الأسدي) , الذي صاهر (محمد بن فلاح المشعشي) المتعلق بأمور السحر والذي هرب إلى قبائل (خفاجة) الأعرابية حينها مما تسبب بعدم اجتماع الناس حول الشيخ (ابن فهد) . وكان الأربعة قريبين إلى التصوف بنسبة كبيرة . الأمر الذي عنى أفول مدرسة (الحلة) عمليا , ثم حضارتها بالتدرج بعد قرون . ورغم انتقال الوالي التركماني (اسنبد) من مذهب أهل السنة إلى مذهب الشيعة الإمامية في العراق إلا أن عهد التركمان القبلي اتسم بالاضطراب الذي لا يسمح لهم بفهم حضارة (الحلة) . وكان ذلك التصوف , رغم ما ينفع من نشر البعد الأخلاقي , مدعاة لانشغال كل جماعة بنفسها , وكل فرد بما هو عليه . فكانت غلبة المرجعية الدينية المدرسية غير الحركية وغير الميدانية بعد ذلك أمراً لا مفر منه , لا سيما مع الاندثار الكلي الكارثي للحضارة المعرفية الإسلامية مع ظهور الأتراك العثمانيين , بما هم عليه من بداعة وطائفية وظلم وأنانية^{١١} .

وكان اختلاط ترسبات المعارف الإيرانية القديمة مع نور التوحيد الإسلامي , منذ القرن الإسلامي الثاني , والوضع السياسي , وزيادة معرفة الناس بمقام أهل بيت النبي , قد أفرز شخصيات تميل إلى التصوف , مثل (الجنيد البغدادي) و(الحسين بن منصور الحلاج) , تشتت وتقترب بمقدار بعدها عن درس الأئمة المعصومين من آل محمد , ثم بظهور الأتراك

^{١١} مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , ص ٣٣٣ □ ٣٣٤ و ٣٤٧ □ ٣٥٥

وميلهم إلى الدنيا , وحاجتهم إلى فقه فردي لا يتدخل في السياسة إلا بما يشاؤون , اختلطت مفاهيم العرفان والزهد والتصوف , فظهرت مدرسة (عبد القادر الجيلاني) في بغداد في القرن الخامس الهجري , وسط السيف والفوضى التركية السلجوقية , التي منعت مطلقاً الفلسفة وشردت العلماء والفقهاء وجعلتهم أضحوكة الزمان , ثم ظهر خليط غريب من المدّعين المهرجين , الذين يلبسون لباس المجانين ليقودوا به العقلاء والعالمين ! , ويرتدون ثياب الزهد ليكسبوا به مساعدات السوق وأموال السلاطين ! , ووسط تلك الفوضى ظهرت الفرق الصوفية الشاذة , التي يستحون زعمائها على الدنيا باسم الآخرة , ويعتقد جمهورها أن الرقص كالنساء هو طريق المعرفة فكانوا أجهل من (أبي جهل) , فترعرعت في البيئة التركية العثمانية . إن الصوفية بشكلها السوقي المحدث كانت الطريقة المثلى للدين في زمان الأتراك , سلاجقة كانوا , أو مماليكاً , فبدأت ظاهرة (الجيلاني) و(احمد الرفاعي) وما تفرع عنه من فرق في العراق وما جاوره في زمان السلاجقة في القرن السادس الهجري , وبدأت ظاهرة , وظاهرة (ابي الحسن الشاذلي) و(ابي العباس المرسي) و(احمد البدوي) و(ابراهيم الدسوقي) في مصر وما جاورها في زمان الأتراك (الغز) من الايوبيين والمماليك في القرنين السادس والسابع الهجري . لكنّ تلك الطرق ضعفت في العراق وهزلت بسبب الارتكاز المعرفي الشيعي الإمامي القوي , وضعف ما تركه الشيعة الفاطميون من فكر , رغم ما تركوه من حضارة في مصر و أفريقيا , كما أن المصريين والأفارقة وجدوا في الطرق الصوفية بديلاً عن ولاية أهل بيت النبي المباشرة , التي تعرّضهم لسيف الأتراك . وصار بعض قادة الصوفية اليوم من الأغنياء وزعماء الأحزاب والجماعات , بعد أن كانت بداية طرقهم الزهد في الدنيا والميل عن الناس . بالإضافة إلى (محيي الدين بن عربي) في القرن السادس الهجري , الذي قدم من بلاد المغرب إلى المشرق ناشراً طريقته , التي كانت تجمع بين فكر الإمامية وبين مظهر الصوفية وبين تسنن الأتراك في الغالب , وهو الخليط الذي كان عليه ذلك القرن بظهور

بداوة الأتراك وسيفهم . وقد وجد بعض المدعين فرصة الانتساب إلى أهل البيت متاحة بغياب المراقبين , لما علموا من اعتقاد العرب فيهم , فكان أن دخل هذا المسلك من لا يعرف أصله الا الله , فاجتمع التصوف وادعاء النسب العلوي المحمدي في ظاهرة كثرة قبور الأولياء , وهو ما وجده الأتراك ربما بديلاً موضوعياً عن مركزية مراقد ومشاهد أهل البيت . وكان بعض المتصوفين يأخذون (الحشيشة) أو (القنب) , ويدعون أنها من أسرار إلهام العرفان في العصور الوسطى^{١٢} .

ولشدة الاحتكاك المذهبي حينذاك , كان الشيخ (محمد بن أبي جمهور الأحسائي) أحد أهم الفقهاء المتكلمين في القرن التاسع الهجري , والذي انتقل من بلاده (هجر) إلى (جبل عامل) والعراق , ثم استقر في مشهد (الرضا) , وكان فيها من المتكلمين الإمامية الذين ناظروا العامة في إثبات الإمامة وإحقاق حقها^{١٣} .

وكان من أهم تلامذة الشيخ (أحمد بن فهد الحلبي) في مطلع القرن التاسع الهجري الفقيهان (علي بن هلال الجزائري) , الذي ترك أثره في بلاد الشام و(جبل عامل) , وكان من أساتذة المحقق الشيخ (علي بن عبد العالي الكركي) العاملي , و(مفلح بن حسين الصيمري) البصري , الذي كان له أثره في بلاد الأهواز وإيران , وقد امتاز الأخير وولده الفقيه الشيخ (حسين)

^{١٢} روضات الجنات ، ج ٧ ، ص ١٨٨

^{١٣} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ٢٦ □ ٣٥

بالمسلك العبادي , لا سيما الولد , تأثراً على الأرجح بمسلك الشيخ (ابن فهد) نفسه . وكان كلاهما من عرب جنوب العراق^{١٠٤} .

لكن كان دخول الأتراك العثمانيين إلى بلاد الشام في الثلث الأول من القرن العاشر الهجري إعلاناً عدائياً آخر , يحمل السيف لا الكلمة ضد الشيعة الإمامية هناك , فاضطر الكثير من فقهاءهم الى الهجرة إلى إيران للمشاركة في تثبيت المؤسسات الاعتقادية والعلمية للدولة الصفوية الناشئة هناك في القرن العاشر الهجري^{١٠٥} .

حيث وصل الشاه (إسماعيل الصفوي) إلى الحكم بفعل القبائل التركية الشيعية (قزلباش) , التي كانت تتبع جده (اسحاق) في النصف الأول من القرن الثامن الهجري في مدينة (اردبيل) . حيث قضى الشاه إسماعيل على قبائل (آق قوينلو) التركمانية في الربع الأول من القرن العاشر الهجري ودخل العراق , وقد تحول الصراع مع قائد الاوزبك السنة إلى مواجهة مذهبية في زاوية منها , بعد أن كانت سياسية , حيث تم خلال فوضى سقوط (هرات) بيد الصفويين قتل مجموعة مهمة من علماء السنة هناك مثل شيخ الإسلام (احمد بن يحيى بن سعد الدين التفتازاني) , ثم لاحقاً تم قتل (غياث الدين محمد بن يوسف الرازي) , بسبب ما ورثه الصفويون من ثقافة القتل للمخالفين السياسيين والعقائديين من أسلافهم الأتراك السنة , حيث لم يحظوا بفترة زمنية كافية للتربية في مذهب أهل البيت الفكري بعد حين قيام

^{١٠٤} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ١٦٨ □ ١٧٠

^{١٠٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٣٥

دولتهم , فكانت تلك الحوادث قد أزعجت المحقق (الكركي) كثيراً وانتقدها , وتوقع أنه لو تم محاجة هؤلاء العلماء السنة بالدليل لكان مذهب أهل البيت قد انتشر في بلاد ما وراء النهر^{١٠٦}.

اذ كان الشيخ (نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي) , الذي تخرّج على يد الفقيه العراقي (علي بن هلال الجزائري) في (كرك نوح) في النصف الأول من القرن العاشر الهجري^{١٠٧} ليبدأ عصر العلم فيها والذي كان على الأرجح من "جزائر الاهور" الجنوبية في العراق^{١٠٨} , ودرس كذلك - على عادة فقهاء الشام الشيعة - في المراكز الدينية السنية في دمشق والقدس ومصر , وهاجر إلى النجف الأشرف , ونال لقب "المحقق الثاني" تيمناً ب"المحقق الحلي" لغزارة علمه , أول فقيه عربي يدعم قيام الدولة الصفوية , حيث هاجر إلى (هرات) بعد انتصار الشاه (إسماعيل الصفوي) على خصومه التركمان والاوزبك . فكان نشاط الشيخ (الكركي) في تأسيس قواعد دولة الصفويين الدينية مشابهاً لنشاط الخواجة (نصير الدين الطوسي) في تأسيس قواعد دولة المغول الدينية , بعد أن حظي بدعم الشاه , وولده الشاه (طهماسب) , الذي منحه منصب "شيخ الإسلام" وافر أنه "نائب الإمام" لا يمكن عزل من نصبه ولا تنصيب من عزله وأن السلطان نائب عنه في الشؤون السياسية فقط , ونشر الوكلاء والقضاة في البلاد يعلمون الناس , واستقدم علماء جبل عامل إلى أصفهان مركز العلوم

^{١٠٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٤٢ □ ١٤٣

^{١٠٧} كان العلماء والفقهاء ممن يحملون لقب (الجزائري) نسبة إلى (جزائر الأهور) العراقية الجنوبية عدداً كبيراً ممتداً على القرون الطويلة في الزمان . انظر كتاب (تراجم الرجال) .

^{١٠٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٤٠

الشيعة في الدولة الصفوية , وراح يعلم الأمراء العدل إلى الرعية , ويعزل من يراه مخالفاً لذلك . ونتيجة هذا التأسيس من الشيخ (الكركي) وما تعرض له علماء جبل عامل من البطش العثماني هاجر الكثير منهم إلى ربوع الدولة الصفوية , لتتوسع مؤسساتها الدينية المتداخلة مع مؤسسة السلطة , وتفرض تأثيرها الروحي على معظم بلاد إيران وعصورها اللاحقة . وكان ممن هاجر إليها أو عمل على تنظيم مؤسساتها الدينية والدينية من العلماء الشيخ (حسين بن عبد الصمد العاملي) و (عبد العالي بن علي الكركي) في القرن العاشر الهجري , والشيخ (البهائي : بهاء الدين العاملي) والفيلسوف (المير داماد) و (سلطان العلماء) و (حسين الخونساري) بالتعاقب في القرن الحادي عشر الهجري . فكانت تلك الجهود لا تخلو من رتبة نالها (الكركي) في النفوذ , كانت سبباً أن يواجه حرباً من علماء آخرين مثل (ابراهيم القطيفي) و الأمير القاضي (نعمة الله الحلبي) , حيث وصل الأول إلى أعلى سقف العداء والتهويل ضد (الكركي) لا سيما في موضوع إقامة (الكركي) لصلاة الجمعة في ظل غياب المعصوم , فجمع ذلك كل أعداء وحسدة (الكركي) حول (القطيفي) , لا سيما أمراء بعض البلاد الصفوية الذين كانوا لا يطيقون إشراف (الكركي) على نشاطهم , فهاجر إلى العراق واستشهد فيه بالسّم ربما . وهذه السيرة للشيخ (الكركي) بشأنها السياسي وإقامته لصلاة الجمعة ووجود خصومه من داخل المؤسسة الدينية الشيعية والمؤسسة الأميرية الاجتماعية في إيران مشابهة لما جرى بعد قرون في العراق من سيرة للسيد الشهيد (محمد محمد صادق الصدر) بما يقرب من التطابق لولا اختلاف وحدة مذهب الحكومة وموقفها المؤيد في الأولى للشيخ (الكركي) ومخالفة مذهب الحكومة وموقفها المعارض في الثانية للسيد

الشهيد (الصدر) , لكنّ وجود الخصم الحاسد من داخل المؤسسة الدينية الشيعية وموقفه المعارض والمستهزئ من صلاة الجمعة والعمل السياسي . لكنّ ما أسسه الشيخ (الكركي) هو الذي ظل واستمر , ولولا هذه الخصومة لما عرف أحد اسم الشيخ (القظيفي) بعد ذلك اليوم , بمعنى أنه عُرف بفضل خصمه نفسه الذي نقده .

فخلف من بعده علماء ساروا بسيرته , وحافظوا على استقلال وتأثير المؤسسة الشيعية الدينية في إيران بعيداً عن السلطة , ولم يؤثر فيهم موقف الشاه (إسماعيل الثاني بن طهماسب) المخالف لنهج أبيه وجده , حيث كان فقيه (كركي عاملي) آخر على رأس منصب شيخ الإسلام حتى بداية القرن الحادي عشر هو السيد (حسين المجتهد) , وحين مات الشاه (إسماعيل الثاني) كان الشاه (عباس) أكثر تحراً وانفتاحاً على العلم والمكتبات والتأليف , حيث ازدهرت في عصره المؤلفات الفلسفية والعقلية^{١٠٩}.

وكان في إيران الكثير جداً من العرب طيلة قرون الإسلام بلا انقطاع . فبعض ذرية الأنصار وقبائل (النخع) قد انتقلوا إلى إيران وأعقبوا فيها , مثل (محمد حسين بن محمد علي الاسترآبادي الجابري الانصاري) و (محمد حسين بن محمد مؤمن النخعي الآشتياني) , وكانوا فضلاء علماء أو أدباء , مما يكشف عن الامتزاج الذي أحدثه الإسلام على مذهب أهل

^{١٠٩} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٤٠ □ ١٥٤

البيت بين إيران والعرب^{١١٠}. وانتقلت القاب ذراري العلماء العرب في إيران من بلدانهم الأصلية إلى أسماء البلدات الإيرانية التي عاشوا فيها^{١١١}.

وقد ساهم سلاطين الصفوية في نشر علوم ومعارف أهل البيت بشكل كبير , من خلال حثهم على كتابة تلك المعارف وقبولهم الكتب العلمية والأدبية هدايا من قبل مؤلفيها , وسعي المؤلفين على بذل المؤلفات بأسماء أولئك السلاطين^{١١٢}. فكان (الصدر الأعظم) في إيران الصفوية أو (رئيس الوزراء) يحضر في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري دروس العلامة الميرزا (محمد بن علي الموسوي الجزائري) , مما يكشف عن علمية وزراء الدولة الصفوية , كذلك عن دور سكان جزائر الأهوار العراقية حينذاك في بناء حضارة تلك الدولة^{١١٣}. وكانت مساهمة أهل (الجزائر) , التي هي مناطق الاهوار الممتدة بين جنوب العراق والأهواز في إيران اليوم , كبيرة ومهمة في الشأن الديني والمعرفي والثقافي الإسلامي طيلة القرون الممتدة من سقوط الدولة العباسية وحتى سقوط الدولة العثمانية^{١١٤}, حيث كان أهالي (الجزائر) أو الاهوار في جنوب العراق ينتشرون في مختلف بلاد المسلمين الشيعة في

^{١١٠} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٢١٣ و ٢١٧

^{١١١} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٣٨٢

^{١١٢} انظر كتاب (تراجم الرجال)

^{١١٣} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ٤٤١

^{١١٤} انظر : تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي

النجف وكربلاء والكاظمية ومدن إيران , لا سيما العلويون منهم وينشرون العلوم الإسلامية والآداب العربية^{١١٥}.

وكان الأمراء في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري بين فقيه وبين مشتغل أو مهتم بالفقه , وكان الكتاب يسعون في بذل الكتب إليهم^{١١٦}. وكان وزراء وأمراء الدولة الصفوية وعموم دول إيران في الغالب من العلماء الأدباء وأبناء العائلات الإسلامية الكبيرة , في الوقت الذي كان أغلب وزراء الدولة العثمانية من العسكر والأميين والملتقطين^{١١٧}. وكان بعض علماء الدين القدماء يشتغلون بمختلف العلوم التي تنفع المجتمع وتقوم بمعيشتهم , كالطب مثل (محمد حسين بن محمد باقر الطبيب) في القرن الحادي عشر الهجري^{١١٨}. كان أمراء الأقاليم والمناطق في كثير من بلاد إيران وازربيجان والهند قد التزموا نهج أمراء قبائل العراق القدماء في الدراسة الدينية والتوجه الأخلاقي والأدبي , فظلت بلادهم بعيدة عن الجهل طيلة قرون , في الوقت الذي كان زعماء العراق يعانون ظلمات لحيّة في زمان بني عثمان لقرون مشابهة كانت مقدمة لبلاءات عديدة مريرة^{١١٩}. وكانت الحرية المذهبية في الدولة الإيرانية كفيلة بتواجد العلماء ورجال الدين والأدباء في المدن والقرى المختلفة , بما يحفظ ثقافة الناس وكرامتهم وأمنهم عموماً والنظام الاجتماعي العام لعدة قرون متأخرة , على عكس ما حدث في بلاد العراق في القرون العثمانية^{١٢٠}.

^{١١٥} انظر (تراجم الرجال ج ٣)

^{١١٦} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ١٩٦

^{١١٧} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ١٤ و ٣٨

^{١١٨} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٢٠٢

^{١١٩} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٤٥٩ □ ٤٦٩

^{١٢٠} انظر (تراجم الرجال ج ٣)

والأمير (ابو الحسين الحسن بن الحسين) والوجيه السيد (ابو طالب القزويني) مثال على دور العوائل النجبية العلمية في قيادة المجتمع الشيعي الإسلامي في العهد الصفوي في القرن الحادي عشر الهجري^{١٢١}.

وقد قتل السلطان العثماني (سليم الاول) آلاف الشيعة المدنيين العزل في الأناضول وحدها , أثناء صراعه مع الصفويين , بفتاوى من علماء دولته أن الشيعة "كفرة مرتدون" . وكان ذلك الفتك العثماني قضى على التشيع في مدينة (حلب) وأنهكه في دمشق ولبنان ومكة^{١٢٢} . وبلغ العثمانيون ذروة البطش بقتلهم الشهيد الثاني (زين الدين بن علي العاملي) زعيم الشيعة في (جبل عامل) وبلاد الشام في القرن العاشر الهجري , ومارسوا العداء لعموم الشيعة هناك , فاضطر الفقهاء إلى الهجرة نحو الدولة الصفوية^{١٢٣} . رغم أن زعماء الشيعة هناك مثل الشهيد الثاني الشيخ (زين الدين الجبعي العاملي) والشيخ (حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي) كانوا يسرون بمبدأ التقية , في محاولة لكسر عنف العثمانيين , الذين لا يعترفون الا بالمذاهب الأربعة في دولتهم , التي تضم مذهباً خامساً أكبر من بعض تلك المذاهب هو مذهب الشيعة الإمامية , إلا أن طائفية العثمانيين لا تريده . فزار الفقيهان اسطنبول لكسب ود العثمانيين , إلا أن ذلك حصل لفترة مؤقتة , حيث تم قتل "الشهيد الثاني" في الطريق الى

^{١٢١} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٥٥ و ٥٧

^{١٢٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٤٧ □ ١٤٩

^{١٢٣} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٥٥

اسطنبول في رحلة أخرى , مما تسبب بهجرة الكثير من فقهاء (جبل عامل) إلى الدولة الصفوية والى العراق .

وقد وضع الشهيد الثاني (زين الدين بن علي الجبعي) وولده الكثير من المناهج الدراسية الحوزوية , التي ظلت بعدهم , مثل كتب "شرح اللمعة الدمشقية" و "المعالم" . وكانت جهودهم تسير باتجاه تنظيم وتقنين المدارس الدينية .

وكان الشهيد الثاني (زين الدين العاملي) وتلميذه والد الشيخ (البهائي) الشيخ (حسين بن عبد الصمد الحارثي) من أوائل من أفرد لعلم (دراية الحديث) مؤلفات دقيقة خاصة في القرن العاشر الهجري^{١٢٤} .

ونتيجة الضغوط والمجازر العثمانية كان فقهاء (جبل عامل) والنجف الاشرف الواقعيين تحت سلطة العثمانيين يحاولون الظهور بمظهر القطيعة مع الدولة الصفوية , حتى أنهم ابتعدوا كثيراً عن عالم السياسة والمجتمع , وهذا ما كان يؤثر في المجتمع العراقي الذي تزعم حوزته الفقيه (احمد المقدس الاردبيلي) في القرن العاشر الهجري , كذلك تلميذاه الشيخ (حسن) ابن "الشهيد الثاني" وابن أخته السيد (محمد بن علي نور الدين العاملي) صاحب "المدارك" , اللذين كانا يخشيان على حوزات (جبل عامل) من بطش العثمانيين .

^{١٢٤} الرواشح السماوية , الميرداماد محمد باقر الحسيني الاسترآبادي , دار الحديث للطباعة والنشر - قم , ط ١ - ١٤٢٢ هجرية , ص ٥

وقد تسبب الخوف من بداوة وعنق العثمانيين تجاه الشيعة في خراب أية علاقة حضارية ممكنة بين المجتمعين العربي والإيراني في القرن العاشر الهجري ، لا سيما مع رفض الكثير من فقهاء العراق و (جبل عامل) المجازفة بذلك التواصل الحضاري في ظل فورة الطغيان المذهبي العثماني الدموي العنيف . بل كانت تلك الفترة الإرهابية بداية سوء الفهم بين المجتمعات الشيعية العربية وبين المجتمعات الشيعية الإيرانية ، التي كانت في صالح خصومهم الطائفيين لا شك^{١٢٥} .

لذلك كان نخبة مثقفي رجال الدين المسلمين الشيعة يسمّون فقهاء العثمانيين ب(المروانيين) وكان وصفاً دقيقاً ، يجمع شمل ما ورثه أولئك من طائفية وعصبية ودموية وولاء للسلطان الظالم . ان كان الفقهاء (المروانيون) العثمانية يفتون بقتل علماء الشيعة ، إذا وجدوا منهم الاختلاف ، أو أي نقاش مكتوب لا يعجبهم^{١٢٦} .

وكان قد اجتمع في زمان الشهيد الثاني (زين الدين العاملي) في قرية (جزين) في (جبل عامل) في لبنان في إحدى جنائز القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي ما يقارب سبعون مجتهداً منها^{١٢٧} .

لكنّ الشيخ (حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي) اتجه إلى الدولة الصفوية أخيراً ، وعمل فيها بمنصب "شيخ الإسلام" ، حتى تركها أخيراً ، نتيجة ربما لضيقه بالصراع بين الفقهاء والأمراء ، وتوفي ببلاد البحرين . لكنّ ولده الشيخ البهائي (بهاء الدين محمد العاملي) ظل

^{١٢٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ١٥٥ □ ١٦١

^{١٢٦} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ١٣٩

^{١٢٧} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ٣

هناك في إيران ، مؤسساً في العلم والعمل ، قبل وبعد سياحته في البلدان الإسلامية الأخرى ، حتى كان هو وجه الدولة الصفوية في القرن الحادي عشر الهجري ، يجمع بين العلم والهندسة والتواصل الميداني والعمل الوجدوي مع المذاهب الإسلامية الأخرى^{١٢٨} .

وكان حينها السيد (الميرداماد محمد باقر بن شمس الدين الاسترآبادي) من أهم وجوه العلوم الإسلامية في القرن الحادي عشر الهجري ، والقطب الذي دارت حوله حوزة أصفهان العلمية ، وأستاذ مجدد الفلسفة الإسلامية الملاً (صدرا الشيرازي) ، وكلاهما من أعظم الفلاسفة وعلماء الربانيات ، وممن أحيوا ما اندثر من المعارف ، وهو حفيد المحقق (الكركي) لابنته ، وقد اشتغل بالسياسة حتى هابه أمراء الدولة الصفوية ، وقربه الشاه (عباس) وخليفته الشاه (صفي الدين) الذي توفي (الميرداماد) وهو برفقته في الطريق الى النجف الأشرف^{١٢٩} .

وكان الشيخ البهائي (بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي) من بقايا نرية صاحب أمير المؤمنين (علي بن ابي طالب) وناصره الأشهر (الحارث الهمداني) ، وكان علم الأعلام ومنتهى الأقوال ، شيخ الإسلام في سلطنة الصفويين أيام الشاه (عباس) ، ساح في كل بلاد المسلمين القريبة داعياً إلى الله . وكان كفحول العلم من الشيعة ورؤوس المذهب يعتقد أصحاب كل مذهب أنهم منهم ، لما عاشوه من تسامح ومداراة . عاصر السيد (الداماد) ، لكن رغم نور هذه الشمس بان نوره وظهرت سطوره ، قد كتب في كل باب

^{١٢٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ١٦٢ □ ١٦٨

^{١٢٩} الرواشح السماوية ، ص ٧ □ ١٦

ما يؤسس للآتين ، وإن لم يتم أغلبها لسعتها . وصلى عليه حين وفاته ما يقرب من خمسين ألف نفس . وكان من تلامذة الشيخ البهائي رجال أوائل وقادة أفاضل ، كانوا الباب الى ما هو جديد من العلم العتيد ، منهم السيد (ماجد البحراني) ، و(الفيض الكاشاني) ، و(محمد صالح المازندراني) ، وابن حفيد الشهيد الثاني ، وولد الشهيد الشيخ (عبد الله التستري) الذي كان شيخ الرواية للمولى (محمد تقي المجلسي) ، وصلى عليه ما يقرب من مائة ألف نفس^{١٣٠} ، و(نظام الدين محمد القرشي) صاحب الرجال ، والشيخ (محمود الجزائري) الذي يروي عنه صاحب كتاب (مجمع البحرين) ، والشيخ (زين الدين علي بن سليمان القديمي البحراني) مؤسس علم الحديث في بلاد البحرين وأستاذ أستاذه الشيخ (محمد بن حسن رجب المقابي البحراني) الذي كان أول من صلى الجمعة في بلاد البحرين في العهد الصفوي ، والميرزا (رفيع الدين النائيني) من أعظم علماء الدولة الصفوية^{١٣١} .

وكان علماء السلف الاساطين مثل الشيخ (بهاء الدين العاملي) يقودون الناس بالدين والورع الحقيقي ، حيث يبكي الشيخ (البهائي العاملي) لرؤية نسخة كتاب بخط الشيخ (الطوسي) الذي يسبقه بقرون لإجلاله العلم والدين^{١٣٢} .

وكان علماء الإسلام من الشيعة في بلاد الشام في الزمانين المملوكي والعثماني يظهرهم تقيةً أنهم على مذهب السلطان أمام مشايخ المذاهب الأخرى المرتبطة بالسلطان ، كما فعل الشيخ

^{١٣٠} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ٧٨

^{١٣١} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ٥٦ □ ٨٠

^{١٣٢} تراجم الرجال ، ج ٣ ، ص ٢٨٩

(البهائي) في نهاية القرن العاشر أو مطلع القرن الحادي عشر الهجري^{١٣٣}. في الوقت الذي يصبحون فيه وزراء في دولة الصفويين , وفي دول الهند . فقد كان الشيخ (محمد بن عبد النجفي الغروي) من وزراء دولة الهند الأدباء في عهد الملك (محمد اورنك زيب) في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري^{١٣٤}. وظل سلاطين الصفوية يكرمون العلماء ويستقبلون مؤلفاتهم , كما فعل الشاه (عباس الثاني) في القرن الحادي عشر الهجري^{١٣٥}.

وصار ابن بنت (الشهيد الثاني) السيد (محمد بن علي الموسوي الجبعي العاملي) صاحب كتاب (المدارك) , وخاله الشيخ (حسن بن الشهيد الثاني زين الدين العاملي الجبعي) صاحب كتاب (المعالم) , من أعلام النصف الاخير من القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر الهجري , عليهما مدارك التحقيق ولهما أدوات التدقيق . وصار ابن السيد (محمد) وهو السيد (حسين العاملي الجبعي) شيخ الإسلام في مدينة (مشهد) المقدسة في القرن الحادي عشر الهجري^{١٣٦}.

وأصبح جملة من علماء الإسلام المجتهدين الإمامية من أهل البحرين والاحساء والقطيف , حتى وصلوا ربما إلى رتبة الزعامة العلمية والفقهية مثل (فخر الدين احمد بن عبد الله بن المتوج البحراني) و (ابن فهد المقرئ الأحسائي) و (ابن أبي جمهور) و (يوسف البحراني)

^{١٣٣} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ٧١

^{١٣٤} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ٤٤٦

^{١٣٥} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٣٨٠

^{١٣٦} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ٤٥ □ ٥٥

وكلهم درس في بلاد العراق مثل مدينة (الحلة السيفية المزيديّة) مركز التشيع آنذاك^{١٣٧}. وكان علماء وأمرء الهند يرسلون علماء العرب في الأحساء والقطيف والبحرين للتحقيق في المسائل العلمية وتبيان وجوه المعرفة^{١٣٨}. وكان من أهل البحرين الشيعة علماء كبار في الفقه الاسلامي الإمامي , مثل الشيخ (يوسف البحراني) صاحب كتاب "الحدائق" , والشيخ (احمد البحراني) صاحب كتاب "الرياض" , ظلت كتبهم من أمهات مراجع الدروس الفقهية لنيل رتبة الاجتهاد الكبيرة^{١٣٩}. وقد ساهم أهل البحرين في الدعوة العلوية الى الله , حتى رأس الشيخ (جعفر بن كمال الدين البحراني) علمياً واجتماعياً في (حيدر اباد) بالهند , بمعونة سلطانها (عبد الله قطب شاه) , بعد أن هاجر من البحرين^{١٤٠}, وساهموا في هداية القرى الواقعة على ساحل الخليج في جنوب بلاد فارس مثل (دشت) و (دشتستان) إلى مذهب أهل البيت^{١٤١}. وكان (محمد بن علي آل خاتون العيناثي العاملي) وزير ومستشار سلطان الهند (عبد الله قطب شاه) في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري , واستأذناً لجملة من العلماء , وهو ما يكشف دور العرب في نشر ودعم التشيع عالمياً^{١٤٢}.

وكان علماء ورجال الدين وأدباء بلاد البحرين منتشرين في مختلف بقاع العالم الشيعي الإسلامي , يدرسون , وينشرون الحديث والاعخبار , في العراق والخليج وإيران والهند ,

^{١٣٧} منتظم الدررین في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطیف والبحرين ج ١ , ص ١٤٤ □ ١٤٨

^{١٣٨} منتظم الدررین في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطیف والبحرين ج ١ , ص ٢٢٣

^{١٣٩} انظر : منتظم الدررین في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطیف والبحرين ج ١

^{١٤٠} منتظم الدررین في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطیف والبحرين ج ١ , ص ٣١٨ □ ٣٢٠

^{١٤١} منتظم الدررین في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطیف والبحرين ج ١ , ص ٤٥٢

^{١٤٢} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ٤٣٠

ولعدة قرون , تمتد إلى عصور الدولة العباسية وما قبلها , وحتى القرن العشرين الميلادي^{١٤٣} .
وكان المشايخ والعلماء من أهل البصرة والاحساء والبحرين ينتشرون في بلاد إيران , لا سيما
في (شيراز) بكثرة واستقرار طيلة القرون الوسطى^{١٤٤} .

وكان جملة من علماء البحرين العرب بمشهد (الرضا) في إيران في القرنين العاشر والحادي
عشر الهجري يكتبون او يدرّسون العلوم الإمامية الإسلامية , مثل الشيخ (عبد النبي بن
لطف الله البحراني)^{١٤٥} .

وكان قاضي شيراز ورئيس علمائها في زمان الشاه (سليمان) في القرن الحادي عشر الهجري
الشيخ (صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني)^{١٤٦} , مما يكشف عن تداخل غير محدود
بين الكيانات الشيعية حينذاك بلا عنصرية , وكان الشيخ (صالح بن عبد الكريم البحراني)
من أهم مدارس مذهب أهل البيت في إيران في القرن الحادي عشر الهجري , وعنه أخذ
الكثير من علماء وأدباء تلك البلاد بمختلف قومياتهم^{١٤٧} . إذ كان علماء البحرين ينتشرون
داعين إلى الله في بلاد الهند وفارس وعمان وغيرها . مثل إمامة السيد (عبد القادر بن كاظم
التوبلي) لمدينة (مسقط)^{١٤٨} . فقد كان ممن أعان العلامة (محمد باقر المجلسي) على تأليف

^{١٤٣} انظر (تراجم الرجال ج ٣)

^{١٤٤} انظر كتاب (تراجم الرجال ج ١)

^{١٤٥} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ١٢٦ و ١٧٨

^{١٤٦} منتظم الدررین في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين , ج ٢ , ص ١٦١ □ ١٦٢

^{١٤٧} انظر (تراجم الرجال ج ٣)

^{١٤٨} منتظم الدررین في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين , ج ٢ , ص ٣١٥

موسوعة (بحار الأنوار) الضخمة في وزارته للصفويين مجموعة علماء من العرب , منهم العراقي السيد (نعمة الله الجزائري) , والبحراني (عبد الله بن نور الله)^{١٤٩}. وكان بعض أهل الأحساء كالشيخ (ابراهيم بن يحيى الأحسائي) والسيد (ابراهيم الصنديد الخطي القطيفي) من علماء الدولة الصفوية في القرن الحادي عشر الهجري^{١٥٠}. لا سيما بعد فتنة الخوارج في بلاد البحرين , ان عندما أخذ الخوارج بلاد البحرين في القرن الحادي عشر الهجري ذهب جل أعيان أهلها وعلمائها الشيعة إلى القطيف ليقيموا هناك هرباً من شرور فتنة الخوارج^{١٥١}, وكذلك الى بلاد اخرى . وقد ترأس الشيخ (صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني) في (شيراز) في بلاد إيران علمياً واجتماعياً في القرن الحادي عشر الهجري^{١٥٢}. وكان أغلب المدرسين ب(شيراز) في إيران أثناء حكم الدولة الصفوية من العرب , لا سيما البحرانيين^{١٥٣}.

وممن سكن مكة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري من علماء الإمامية الشريف (نصير الدين محمد بن عبد الحي الإمامي)^{١٥٤}. ومن العلماء الشيعة الذين مارسوا العلم بجوار مكة الشيخ (حسن بن عبد الكريم البحراني) في القرن الحادي عشر الهجري^{١٥٥}.

^{١٤٩} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين , ج ٢ , ص ٤٤٥

^{١٥٠} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ , ص ٦٢ و ٦٤

^{١٥١} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ , ص ٨٠

^{١٥٢} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ , ص ٣١٢

^{١٥٣} انظر كتاب (تراجم الرجال)

^{١٥٤} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ٤١٤

^{١٥٥} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٢٤٥

وكان بعض علماء الشيعة الإمامية يقيم ويدرس في (المدينة المنورة) في القرن الحادي عشر الهجري , مثل الشيخ (عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الأحسائي)^{١٥٦}. وكان للشيعة الإمامية حضور ومجالس وزعماء في الحجاز والمدينة المنورة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين , مثل السيد (علي بن الحسن بن شذقم المدني) والشاعر الشريف (حسن بن عميرة الوحّادي) . وكانت هناك حركة علمية بين النجف الاشرف و(جبل عامل) والحجاز لا سيما مكة والمدينة المنورة , كما في حركة (حسين بن الحسن المشغري العاملي) في القرن الحادي عشر الهجري , و(شمس الدين حسين الشيرازي) , و(حسين بن محمد علي النيسابوري المكي)^{١٥٧}.

وكان الشعراء والأدباء الشيعة من بلاد البحرين والاحساء والقطيف مبرزين فحولاً , طيلة القرون الوسطى , لكن ظلمتهم ذاكراً الأنظمة الطائفية العربية الحديثة^{١٥٨}.

لكنّ استيلاء أعراب (آل خليفة العتوب) على جزيرة البحرين كان يتجه بها الى مسار تاريخي آخر , يفقدها الكثير من نشاطها وتأثيرها الثقافي والعلمي الإقليمي . وذلك بأن جاء منهم جماعة من (الزبارة) في (قطر) موطنهم للتبضع من جزيرة (سترة) البحرينية , فحصل شجار بينهم وبين أهلها , فتقاتل الطرفان , فقتل كبير (العتوب) في هذه السفارة , فرجع

^{١٥٦} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ١٣٥

^{١٥٧} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٢٥٢ - ٢٥٣ و ٢٨٢ و ٣٠٠ و ٣٠٩

^{١٥٨} انظر : منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الاحساء والقطيف والبحرين ج ١

بعضهم إلى آل خليفة يستصرونهم , فهاجموا على جزيرة (سترة) على حين غرة , فقتلوا ونهبوا . وكانت البحرين تحت حكم الدولة الإيرانية القائمة حينئذ , من خلال الشيخ (نصر آل مذكور) , ووزيره من أهل البحرين كبير العاصمة حينذاك (جدحفص) الشيخ (مدن الجدحفصي) , وصاحب النفوذ السيد (ماجد بن احمد الجدحفصي) . فقرر أهل البحرين الانتقام وغزو (الزبارة) , إلا أن (العنوب) كانت لديهم معلومات مسبقة , فتجهزوا وكسروا أهل البحرين . فطلب أهل البحرين المدد من الدولة الإيرانية , عن طريق وكيلها الشيخ (نصر) , الذي سافر إليها وأتاب عنه السيد (ماجد) , إلا أن الدولة الإيرانية حينها كانت مضطربة في داخلها ولم ترسل المدد . فأرسل الشيخ (احمد بن محمد بن عبد النبي ال ماجد البلادي) كبير منطقة (البلاد) المنافسة للعاصمة (جدحفص) تاريخياً وسياسياً إلى (آل خليفة) يغريهم بغزو البحرين , فغضب أهل (جدحفص) , وتقاتل الطرفان , وقبل انتصار أهل (جدحفص) وصل (العنوب) بقيادة (ال خليفة) , فدخلوها وقتلوا الوزير الشيخ (مدن) والكثير من أهلها , فيما تفرقت جماعات منهم بين (القطيف) ومدن العجم سنة ١١٩٧ هجرية^{١٥٩} .

وشهد جنوب العراق في حدود بدايات النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي معركة طويلة بين قبائل (بني مالك) الاشرية النخعية وبين قبائل (الاجود) التي هي على الأرجح

^{١٥٩} منتظم الدررر فف فرفرف علماء وأدباء الأحساء والقطرف والرفرفرف فف ج ١ , ص ٢٢٨ □ ٢٢٩

خليط من تحالف قبائل طائية وقبائل عقيلية من بقايا الدولة (الجبرية) الشيعية في شبه الجزيرة العربية وساحل الخليج , كان الأثر الكبير على مستقبل تاريخ المرجعيات الدينية والديموغرافيا والعلاقة مع العثمانيين الاتراك والعلاقات مع شبه الجزيرة العربية . وكان سبب الحرب القبلية الطاحنة في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي , التي استمرت لثلاثين عاماً , نزول ضيف ماكر بينهم , كادهم بعد أن كانوا إخوة حلفاء , يجلس زعيمهم على شداد واحد , إذ مكر بهم الضيف وابنه بعد أن ضيفه (بنو مالك) , فأثارا الفتنة بين بيتي الزعيمين في سباق للخيل في أحد الأعياد , فكشف ابن زعيم (الأجود) الحيلة وغاية الضيف فقتله برمحه , فغضبت (بنو مالك) لمقتل ضيفها وكادت تنشب الحرب , لكنّ الضيف الماكر طلب إليهم أن تكون دية ابنه الجلوس معهم على شداد الإمارة , وألا يقوم من مكانه إلا لهم , وأن تقبل العامة يده , فقبلوا على عادة العرب في درء العار بعد أن قُتل ضيفهم بينهم , فراح هذا الضيف المشؤوم يكيدهم ويمكر بهم ويثيرهم ضد بعض , فنشبت الحرب المهلكة بينهم , حتى ابيدت عشرات البيوت من الطرفين , وكاد ألا يبقى من (الأجود) إلا النساء بعد أن مات أغلب الرجال وهاجر قسم كبير منهم , لا سيما بيت الزعامة في قبيلة (العصوم) الأجودية الذي رحل الى النجف الاشرف لطلب العلم , وسكن قسم مع قبائل (جليحة) في الفرات الأوسط , بعد أن طمر (الأجود) عين الماء الفوارة التي كانت تسقي بساتينهم بأنهارها , فيما هرب أحد كبار السن من (العصوم) الملقب ب(العود) بعشرات النساء الحوامل من (الأجود) إلى احوار العراق ثم إلى عربستان , فسرق ذلك الضيف الزعامة من الطرفين , كما استولى على أراضي قبائل (الأجود) الشاسعة التي رحلوا عنها .

ولم يكن ذلك الضيف سوى (شبيب) جد (السعدون) ، العائلة السنوية في جنوب العراق ، التي استعانت عليهم بعد ذلك بالعثمانيين والمكر الطائفي لتبقى في السلطة بما لها من بداوة أعرابية ، وتستولي على ما كان ل(بني مالك) أيضاً من تاريخ وزعامة وارض ، حيث قضت على معالم السلام والوداد وفرص استثمار الأرض وتطور الاقتصاد لأسباب فئوية أنانية . وكانت هذه الحرب السبب الرئيس في ضعف وتشتت القبيلتين ، كذلك تسرب عادات الحرب البدوية إليهما ، وانشغالهما عن ما هو خير لهما في الدنيا والآخرة ، وتقهرهما بما سمح بسيطرة اكبر للعثمانيين والقوى الأجنبية ، وأيضاً سمح بهجرة المزيد من قبائل (نجد) الأعرابية إلى ديارهما^{١٦٠} . كان المفتون من أهل السنة الذين يأتي بهم زعماء عشيرة (السعدون) من (نجد) أو غير العراق غالباً يثيرون الفتنة والمسائل الطائفية بطريقة مكررة مستفزة في جنوب العراق لا سيما في المركز السياسي حينذاك مدينة (سوق الشيوخ)^{١٦١} . وتسببت الحروب البدوية بين قبيلتي (بني مالك) و (آل اجود) بفناء نسبة كبيرة من القبيلتين ، وبالتالي زيادة ضعف المنطقة الجنوبية الشيعية من العراق^{١٦٢} . بل كان (آل سعدون) يجلبون علماء العامة إلى المناطق الشيعية في جنوب العراق من خارجها ، من منطقة الاحساء مثلاً ، كما فعل (فالح باشا) حين جاء بالشيخ الأحسائي (عبد العزيز بن حمد آل مبارك المالكي) وصاهره^{١٦٣} .

^{١٦٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ □ ٢٤١

^{١٦١} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٣ ، ص ١٧٩

^{١٦٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٣ ، ص ١٧٥

^{١٦٣} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ، ج ٢ ، ص ٢٧٠

فيما كان لعشيرة (بني مسلم) من قبيلة (الأجود) دور في نشر علوم أهل البيت في القرن الحادي عشر الهجري , كما في جهود الشيخ (عطية بن عبد الرحمن بن ناصر بن علي بن أجود الجزائري) , وهو واضح الانتساب إلى قبائل الأهوار العراقية بما فيها مناطق الأهواز^{١٤٤}.

وفي القرن الحادي عشر الهجري ظهرت الحركة الأخبارية , في مواجهة المدرسة الإمامية الأصولية الاجتهادية , على يد رجل دين ليس له تاريخ موثق ولم يعهد عنه أنه نال إجازة أحد المراجع , وهو الشيخ (محمد أمين الاسترابادي) , وهو إيراني هاجر إلى العراق فترة قصيرة , ثم ذهب إلى الحجاز واستوطن هناك , وكتب من الأخيرة كتابه "الفوائد المدنية" الذي هاجم فيه للمدرسة الأصولية الاجتهادية واغلظ ضد رجالها , في ظل إصراره على صحة كل الكتب الحديثية وحركة الاجتهاد , ورأى أن الاجتهاد منحول عن المدارس السنية ومخالف لمذهب الإمامية^{١٤٥}. ان شئ زعيم المدرسة الشيعية الإمامية الاخبارية في القرن الحادي عشر الهجري هجوماً لاذعاً على مدرسة الاصوليين بتهمة "الاجتهاد" , دون أن يفرّق بين شكله في المدرسة السنية القائم على الرأي والقياس وبين شكله في المدرسة الشيعية الاصولية الذي يعني بذل الجهد في استنباط الأحكام من مصادرها المشروعة المعصومة ولا يجيز القول بالرأي^{١٤٦}. وناسياً أن القول بصحة كل الكتب الحديثية مشابه لما كان عليه

^{١٤٤} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ١٤٣

^{١٤٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٦٨ □ ١٧٨

^{١٤٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٠٢

مسلك أغلب المدارس السنية من تصحيح كل ما جاء في كتب (البخاري) و (مسلم) , وهو ما تسبب في تناقضات فكرية وضعف عقائدي ومعرفي وسلوكي لدى تلك المدارس . كذلك فإن الاجتهاد في المدرسة الشيعية الأصولية يخالف الاجتهاد في المدارس السنية بمسلك رئيس وهو أنه لا يجيز العمل بالرأي والقياس , إذ أنه ليس سوى بذل الجهد لاستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المعصومة ذاتها , التي هي القرآن الكريم والسنة النبوية وأحاديث أهل البيت , لكن مع مراعاة ضوابط قبول الروايات ووجوه مدلولات النصوص التي فيها , كذلك استخراج مستحدثات المسائل التي لم يرد نص صريح فيها . ونسب (الاسترابادي) إلى استاذة وسميّه هناك في الحجاز (محمد بن أمين الاسترابادي) أنه أيّد أفكاره , لكن ذلك مشكوك بسبب نشر كتاب الأول بعد رحيل الثاني بعدة سنين . وقد رد أحد علماء الحجاز نفسها من الإمامية وهو السيد (نور الدين علي العاملي) بكتابه "الشواهد المكية" على تشكيكات "الفوائد المدنية" في نفس القرن . إلا أن كتاب هذا الشيخ المجهول الحال نال دعماً غامضاً أوصله إلى مستوى خلق الجدل في المحافل السياسية , حيث كان كتاب "الشواهد المكية" مهدي الى سلطان الهند "عبد الله قطب شاه) . وظن بعض الباحثين أن ردة فعل بعض رجال الدين الشيعة تجاه تدخل الفقهاء في الحياة السياسية للدولة الصفوية هي التي تسببت بظهور الحركة الأخبارية . لكن ذلك غير واقعي , لأن الحركة الأخبارية الوسطى (الاسترابادية) ظهرت وانتشرت بعيداً عن إيران والدولة الصفوية , ولأن الفكرة قديمة ترجع إلى الصدمة التي أحدثتها رغبة (المفيد, المرتضى, الطوسي) في الاعتماد على العقل لتميز الأحكام الشرعية من مصادرها , بما شابه المدرسة الإسلامية السنية , وكل الذي فعله

(الاسترابادي) هو إعادة توجيه البوصلة باتجاه تذكر تلك الصدمة , لأنه ببساطة - مع مجموعة كبيرة - من رجال الدين الآخرين لم يكن باستطاعتهم فهم مطالب المدرسة الأصولية في عصره , بسبب امتزاجها بالفلسفة في القرن الحادي عشر الهجري , مع ظهور الفلاسفة المؤصلين كالسيد (محمد باقر الداماد) وتلميذه (صدر الدين الشيرازي) , فكان الحل حتى تبرز أسماؤهم التطرف إلى الجهة الأخرى . كما كان ذلك السبب ذاته العامل الحاسم في ظهور المدرسة الشيرازية المعاصرة الشبيهة جداً بالمسلك الإخباري لولا حاجتها لوجود بيت الشيرازي على رأس السلطة الفقهية فاتخذت غطاء المدرسة الأصولية الاجتهادية في هذه المسألة فقط , فكان لها مسلكان متناقضان . وهو كذلك السبب في ظهور مدرسة أهل الحديث في المجتمع الإسلامي السني , ومن ثم الحركة الوهابية الأعرابية العاجزة عن فهم المطالب العقلية , فاختارت , كما اختارت المدرسة الشيرازية المعاصرة , تكفير الفلاسفة , لتتمكن من التواجد في الجانب الآخر بلا حاجة إلى الحجج النقاشية^{١٧٧} .

نتيجة لتأثير ظهور الحركة الأخبارية في القرن الحادي عشر الهجري , نشطت ظاهرة جمع وكتابة كتب الحديث الموسوعية عند الشيعة عموماً بدءاً من نهاية القرن الحادي عشر الهجري واستمراراً خلال القرن الثاني عشر الهجري . ومن تلك الموسوعات "الوافي"

^{١٧٧} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٦٨ □ ١٧٨

ل(الفيض الكاشاني) ، و "وسائل الشيعة" ل(محمد بن الحسن الحر العاملي) ، و "بحار الأنوار" ل(محمد باقر المجلسي) وهو أوسع تلك الموسوعات^{١٦٨}.

ولشدة انتشار الصوفية في زمان الأتراك العثمانيين وبطلان مسلكهم ، وضع الشيخ (الحر العاملي) كتاباً وافياً في الرد عليهم وتحذير الناس منهم ، كما وضع غيره ذلك^{١٦٩}.

ودخل الأفغان الأعراب بلاد الصفوية في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري ، بعد حصار ، ثم حبسوا الملوك والأمراء والوزراء ، ثم اعدموهم في شهر رمضان ، ثم أعدموا السلطان (حسين شاه) ونهبوا حريمه ، وخرّبوا خمسمائة بناية^{١٧٠}. وبعد سقوط إيران بيد القبائل الأفغانية في ١٧٢٢ م ، ثم ظهور (نادر شاه) واضطراب الأوضاع السياسية الإيرانية بعد تحرير البلاد من الأفغان ، هاجر الكثير من علماء إيران إلى العراق ، وانتشروا في مدينة كربلاء لأسباب بيئية ، وكانت المدينة مركزاً للنشاط الاخباري ، وكان رأس العلم من المهاجرين في المدينة هو (محمد باقر الوحيد البهبهاني) ، الذي أعاد لمعان مدرسة الأصوليين وقضى على النشاط الاخباري بجهوده العلمية ، كما في كتابه "الفوائد الحائرية" ، وصرامته تجاه قادة هذه الحركة ، مثل موقفه تجاه الشيخ (يوسف البحراني) . حيث هيأ (البهبهاني) مجموعة من الطلبة الكبار مثل الشيخ (جعفر كاشف الغطاء النجفي) لهم القدرة العلمية والقيادة الميدانية . كذلك وجود زعماء معتدلين للحركة الاخبارية في مدينة

^{١٦٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ١٧٨

^{١٦٩} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري ، مكتبة اسماعيليان - قم - ١٣٩١ هجرية ، ج ٣ ، ص ١٤٩

^{١٧٠} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ١١٧ □ ١١٨

كربلاء حينها مثل الشيخ (يوسف البحراني) ، الذي أعاد قراءة تاريخ الحركة واعتبر أن معظم مسيرتها مشبوهة هدفها تمزيق كيان المذهب الشيعي الإمامي والظعن في رموزه من العلماء ، كذلك وجّه سهام النقد والظعن لمؤسس الحركة (محمد امين الاسترابادي) نفسه . الأمر الذي هياً المقام لتلميذه السيد (مهدي بحر العلوم) للعمل على إعادة نشاط المدرسة الأصولية الاجتهادية في النجف الاشرف ، بوجود زعامة أصولية أخرى هو الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) ، اللذين نقلوا المدرسة الحوزوية إلى مدينة النجف الأشرف من جديد . وكان وجود هؤلاء الطلبة في درسي الزعيمين باعثاً على تخفيف غلواء الاحتقان وسبباً في تحريك قلم الشيخ (البحراني) ضد الاخباريين^{١٧١} .

وكانت سنة دخول الأفغان إلى إيران في العام ١٧٢٢م هي سنة رحيل الشيخ (الوحيد محمد باقر البهبهاني) إلى العراق ، والذي كان أبوه الشيخ (محمد أكمل الأصفهاني) من تلامذة العلامة (المجلسي) . وكان ل(الوحيد البهبهاني) اليد الطولى في تجديد علم الأصول والرد على الأخبارية ، بعد اعتلائه كرسي أستاذه في كربلاء وآخر أعلام الأخبارية الشيخ (يوسف البحراني) . وكان تلامذة الشيخ (البهبهاني) من أعلام التأليف والميدان ، مثل السيد (محمد مهدي بحر العلوم) والشيخ (جعفر كاشف الغطاء) والملا (محمد مهدي النراقي) والشيخ (محمد إبراهيم الكرباسي) ، والسيد (علي الطباطبائي) صاحب كتاب (الرياض) الذي زوجه الشيخ ابنته فأنجبت منه السيد المرجع (محمد المجاهد) صاحب فتوى الجهاد ضد روسيا ، وكان السيد (علي الطباطبائي الحائري) صاحب (رياض المسائل) ووالد السيد (محمد المجاهد) من الأعلام الذين خرّجوا جيلاً من الفقهاء ورجال الدين الأدباء^{١٧٢} .

^{١٧١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ١٧٩ □ ١٨٢

^{١٧٢} انظر كتاب (تراجم الرجال)

وكان (آقا محمد علي بن محمد باقر الهزارجرببي) من أشهر الفقهاء المتصدرين في دولة إيران في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري , وقد نال الاجتهاد في نهاية القرن الثاني عشر الهجري وهو ابن خمسة عشر سنة . وكان كثير التأليف , مشهوراً , موسوعياً . وكان وصيّه على عياله وأداء ما عليه الشيخ المشهور (محمد ابراهيم الكرباسي) . وقد ولد في النجف الأشرف , وروى عن والده جملة منهم السيد (محمد مهدي بحر العلوم) والشيخ (جعفر كاشف الغطاء) .

ودرس الشيخ (الفاضل الهندي) وهو ابن عشر سنين , وأكمل دراسة المعقول والمنقول وهو ابن ثلاثة عشر سنة , وكان من أعلام العلماء في القرن الثاني عشر الهجري^{١٣٣} . ما يكشف عن استمرار النبوغ العلمي داخل الحوزات العلمية حينذاك بوجود عوائل وشخصيات ذات هدف .

والعمر هو الفارق في الاجتهاد والألمية لدى بعض الباحثين , فمن لم يصل الستين من العمر في نظرهم لا يمكن أن يكون مجتهداً كبيراً أو زعيماً للدين ! , وكأن المقصود بالكبر هو السن ! . بنى بعض طلبة العلوم الدينية والباحثين في الشأن العلمي الديني تصوراتهم لقدرة الفقيه العلمية على مقدار عمره عموماً , ولم يلتفتوا إلى نبوغه , كما فعل مؤلف كتاب (روضات الجنّات) حين عجب واستغرب أن يكون من لم يبلغ الخمسين من العمر من أعظم العلماء ! . وهذا وغيره خلق جل المشاكل المعرفية والمجتمعية في الوسط الحوزوي

^{١٣٣} روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات , ج ٧ , ص ١١٥

والاجتماعي الشيعي . رغم أن النابغين من العلماء والمفصلين في حركة المرجعية الدينية كانوا في كثير من الأحيان هم أولئك الذين نالوا درجة الاجتهاد صغاراً^{١٧٤}.

وبعض الأحداث التي قد يراها الإنسان بنظره القاصر سيئة قد تكون مقدمة لخير عميم وتغيير جذري في مستقبل مجتمع بأكمله في علم الله . فالحروب الكبرى بين قبيلتي (المنتفك) من (الأجود) و (بني مالك) , والتي أهلكت معظم العشيرتين , أبقت على اثنين من (الأجود) فقط , كان أحدهما جد الأسرة العلمية العظيمة المجاهدة (آل حيدر) , التي لولا ذلك الحدث ما كانت لتهاجر الى النجف الأشرف وتبدأ رحلة العلم . وفي موقف آخر في مكان آخر كانت العلاقة المتوترة بين زوجة الأب وبين ابن الشيخ (يحيى بن مطر الجناجي المالكي) المدعو (خضر) سبباً في هجرته من قرية (جناجة) إلى مدينة النجف الأشرف وظهور عدة عوائل علمية دينية كبيرة من ذريته كان لها دورها القيادي الديني والاجتماعي والسياسي والأكاديمي مثل (آل كاشف الغطاء) و (آل الخضري) و (آل شيخ راضي) و (آل شيخ عليوي)^{١٧٥} . وكان العارف السيد (هاشم الحطاب العوادي) الذي يرجع إلى السيد العلامة الشهير (فخار بن معد) من أصدقاء الشيخ (خضر الجناجي) جد أسرة (آل كاشف الغطاء) , وقد صلى الاخير على الاول بوصية منه^{١٧٦} .

^{١٧٤} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ٢٧ و ٤٧٢ و ٥٠٥

^{١٧٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٩٥ □ ١٩٦

^{١٧٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٦٠

فكان لزعامة الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) لمذهب الإمامية وقيادته الميدانية وأثره القبلي والاجتماعي أثره في نقض عرى الأخبارية . كذلك كان للسيد (مهدي بحر العلوم) أثره في المجتمع العراقي الشيعي بما له من حضور ميداني وأخلاقي ملفت في تلك الفترة المضطربة . وذلك طيلة الفترة الممتدة بين الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري والربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري , حيث سقطت حجج الاخباريين ودعايتهم^{١٧٧} .

في الوقت الذي استطاع السيد (علي بن مصطفى بن علي بن نور الدين الحسيني المكي) نقل عقائد المسلمين الشيعة الإمامية إلى (صنعاء) اليمن في القرن الثاني عشر الهجري , عاملاً في التجارة ومن خلالها , فالتقى بأئمة البلاد , ونقل إليهم وإليها بعض السلع والتقنيات التجارية والزراعية الجديدة , لا سيما الزجاج والصيني وتقنيات النخيل وأشجار التوت الأبيض , حيث عاش هناك واختارها موطناً , فجذب الكثيرين إلى معتقد المسلمين الشيعة الإمامية وحده , بلا سيف ولا حيف^{١٧٨} . ومن العلماء الذين نشروا مذهب الإمامية في بلاد اليمن لا سيما العاصمة (صنعاء) كان السيد (يوسف العجمي) في القرن الثاني عشر الهجري , حيث استقبله إمام الزيدية (الحسين المنصور) وأكرمه وجعل له خطبة في جامع المدينة , وكان من أثره انتشار دعوة الإمامية , فمكر به بعض وجوه اليمن لا سيما بعد وفاة الإمام الزيدي السابق وتولي (العباس المهدي) منصب الإمامة هناك فأمر بتسفيره^{١٧٩} .

^{١٧٧} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٧٩ □ ١٨٢

^{١٧٨} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ٢١٢

^{١٧٩} تراجم الرجال , ج ٤ , ص ٥٨ □ ٥٩

وكان مذهب أهل البيت على منهج الإمامية ينتشر في العالم الإسلامي ، رغم ظلام فترة العثمانيين ، كلما سنحت له فرصة الوصول ، دون الحاجة إلى الفرض والإكراه ، يدخل فيه النخبة قبل غيرهم ، كما في انتقال السيد (اسماعيل بن عز الدين النعمي التهامي) في اليمن إليه من مذهب الزيدية بين القرنين الثاني والثالث عشر الهجري ، رغم أنه كان خطيب جامع المدينة الكبيرة صنعاء^{١٨٠} .

كذلك كان أمير قبيلة (كعب) في الأهواز الشيخ (بركات بن عثمان آل أبي ناصر) في القرن الثاني عشر الهجري يستكتب العلماء العرب في نقل نسخ من أمهات الكتب العلمية الدينية ، لا سيما في الفقه ، وكان يستعين بعلماء النجف والبحرين^{١٨١} . وجمع زعيم قبيلة (كعب) في (الدورق) في الأهواز (بركات بن عثمان القبانى الكعبي) مكتبة ضخمة ، فيها نفائس المخطوطات ، وجعل عليها مجموعة من أهل التخصص والعلماء لإدارتها . الأمر الذي يكشف شكل أولئك الزعماء في ذلك الزمان ، وكيف ساهموا في تطوير مناطقهم ، حتى أصبحت قبيلة (كعب) واحدة من أقوى الإمارات لأكثر من قرنين^{١٨٢} .

ومن الأسر العلمية التي هاجرت الى النجف الاشرف هرباً من مشاكل لواء (المنتفك) وبدعوة (آل سعدون) اسرة (آل حرج) ، والتي ينتهي نسبها إلى قبائل (بكر بن وائل)^{١٨٣} .

^{١٨٠} تراجم الرجال ، ج ١ ، ص ١٦٣

^{١٨١} انظر كتاب (تراجم الرجال)

^{١٨٢} تراجم الرجال ، ج ١ ، ص ١٨٣

^{١٨٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٣ ، ص ٩٣

بينما هاجرت اسرة (آل سميسم) الى النجف الاشرف لظرف استثنائي , وهي من الأسر العلمية الدينية النجفية التي تنتسب إلى قبيلة (بني لام) الطائفة . ومن الملفت أن تكون سبب نشوء هذه العائلة العلمية الكبيرة أن هاجرت أصولها من النصيريين إلى أرض (الخرزاعل) في (الديوانية) بعد قتلها الشيخ العام لقبائل (بني لام) الشيخ (بلاسم) في الربيع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي , ولما عاد بعضها بعد ذلك اثر العفو عنهم بقي بيت (آل خميس) الذي ترجع إليه أسرة (سميسم بن خميس) لطلب العلم في النجف الأشرف , ورب ضارة نافعة^{١٨٤} .

وكان (عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بويه) من السلاطين الفقهاء في الدولة البويهية في بغداد في القرن الرابع الهجري ودُفن في ضريح أمير المؤمنين (علي) بعد أن عمّره^{١٨٥} . بل تم دفن الكثير من وجوه (آل بويه) في مرقد أمير المؤمنين (علي) , وكانت معالم قبورهم واضحة حتى القرن الثاني عشر الهجري ثم اختفت^{١٨٦} . ان عندما احتل السلطان العثماني (سليمان القانوني) مدينة النجف الأشرف حول مقبرة (آل بويه) -ملوك إيران والعراق في القرن الرابع الهجري- داخل الصحن الحيدري الشريف إلى تكية لل دراويش , ليقضي على معالم تلك المقبرة وتاريخها. وهو مستوى خطير من الشعور الطائفي , حيث أن البويهيين بعيدون

^{١٨٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٣٤

^{١٨٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ١ , ص ٢٠٠ □ ٢٠١

^{١٨٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ١ , ص ٢٤٥

في زمانهم عن عصر السلطان العثماني هذا , وكذلك لم يكن لهم مع العثمانيين من تاريخ مشترك سلبي او ايجابي^{١٨٧} .

وكان التذبذب في الحركة الاجتماعية في مدينة النجف الاشرف يعتمد على ظروفها البيئية والخدماتية , اذ قامت الدولة الصفوية بتنظيف قنوات مدينة النجف المائية في عشرينات القرن السادس عشر الميلادي , ثم بسبب إهمال الدولة العثمانية -بعد دخولها العراق في ١٥٣٤م- سد الغرين تلك القنوات , فهجرها أهلها , وانخفض عدد الدور فيها من ثلاثة آلاف دار إلى ثلاثين داراً في نهاية القرن السادس عشر^{١٨٨} .

لكن كان حفر قناة الهندية المائية , واتخاذ رجال الدين المجتهدين من مدينة النجف الاشرف مركزاً لهم , سببين رئيسيين لتوطن العشائر العربية البدوية المحيطة بها أو التي تتحرك في الصحراء التي تقع المدينة على أطرافها , ومن ثم تشييعها^{١٨٩} .

لقد أسهم علماء الدين في مدينة النجف الاشرف في تشييع مجمل القبائل البدوية التي اقتربت من الفرات الأوسط في العراق , وأقام بعضهم بين عشائرها , كالسيد (محمد مهدي

^{١٨٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ١ , ص ٢٦٢

^{١٨٨} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٤ □ ٥

^{١٨٩} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٥

بحر العلوم) . وكان لبعض القيادات الدينية السنية في العراق موقف سلبي من هذا الحراك الديني الدعوي , كما في موقف الشيخ (الآلوسي) , بينما كان موقف قيادة دينية مصرية كبيرة مثل الشيخ (محمد رشيد رضا) إيجابيا , على اعتبار أن هذا الحراك في خدمة الدين الإسلامي عموماً^{١٩٠}.

وقد هاجرت أسرة (السلامي) من قبيلة (سليم) المضرية النجدية الى النجف الاشرف لطلب العلم في القرن الحادي عشر الهجري , والتي انتشرت واشتهرت في العراق وكثر نسلها , حتى قضى طاعونان على معظم أفراد هذه العائلة العشييرة , وانشغل بعد ذلك معظم أفرادها بالتجارة والأعمال الحرة^{١٩١} , وكان الكثير من قبيلة (السلامي) من أدباء كربلاء . وقد كان يدخل في التشيع العديد من القبائل الأعرابية في منطقة شبه الجزيرة العربية , لاسيما في الأحساء والقطيف , ومنهم (آل داغر) , الذين كان منهم الشيخ (احمد بن زين الدين الأحسائي) أحد أقطاب علمي الفلسفة والكلام في الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري^{١٩٢} . ومن قبائل (فزارة) المضرية النجدية في العراق عشيرة (الظوالم) في مدينة السماوة الجنوبية , وهي عشيرة صارت عريقة في التشيع , كما يخالطها بعض أبناء قبيلة (شمر) ضمن تحالفها في قبائل (بني حجيم)^{١٩٣} . ويبدو أن قبائل (بني حجيم) في غالبها -بحسب بعض الكتابات- من (الجلّاس) من (مسلم) من (عنزة بن وائل) , اخي (بكر) و (تغلب) ابني وائل , لا سيما

^{١٩٠} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٨

^{١٩١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٢٦

^{١٩٢} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ , ص ١٨٧ □ ٢٠٠

^{١٩٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٣١

العشائر المنحدرة من (محمد بن دعي) مثل (الجوابر) و (آل توبة) و (آل زيّاد)^{١٩٤}. ومن العوائل العلمية الدينية التي تنتمي إلى قبيلة (ربيعة) عائلة (آل حسان) أو (الحساني) النجفية , والتي تنتشر بين مدن الهاشمية في الحلة والنجف الاشرف والساوة مع (آل زيّاد) وبغداد والبصرة , ولها موقوفات كثيرة من بيوت وبساتين على أهل العلم منذ زمان جدها الشيخ (حسان)^{١٩٥}. وقد امتازت قبائل (بني حجيم) بالتدين والأخلاق العالية والانضباط والوطنية والشجاعة المبدئية المتعلقة , بخلاف الكثير من القبائل الأعرابية النجدية التي تلتقي معها بنفس النسب , نفعها في ذلك ربما هجرتها المبكرة إلى العراق ووقوعها بين الحاضرة العلمية (النجف) والحوضر المدنية الجنوبية (الشامية) و (المنتفك) , أو ربما كانت هي بذاتها تختلف عن سلوك وطريقة تفكير تلك القبائل الأعرابية , الأمر الذي دفعها إلى الهجرة التي تعززت بوقوعها بين حواضر علمية ومدنية عراقية تلاقحت معها , حتى كانت منها مجموعة من العوائل العلمية الدينية النجفية مثل عوائل (الجابري) و (الخويبراي) وغيرها , وصيرورتها درعاً شيعياً عقائدياً ضخماً . ومن قبائل (هوازن) المضرية النجدية في العراق عشيرة (العصوم) , التي منها الأسرة العلمية الدينية النجفية (العصامي)^{١٩٦}. كذلك عائلة (الاعسم) الدينية النجفية هاجرت من (المدينة المنورة)

^{١٩٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٧

^{١٩٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٠٨ □ ١١٠

^{١٩٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٣٦

، وهي إحدى فروع تحالف قبيلة (حرب) هناك من (العسمان) ، وقد دخلوا إلى العراق في حدود بداية القرن السابع عشر الميلادي^{١٩٧}.

وكان من القبائل المضربة في العراق وبلاد الشام كانت هناك عائلة عريقة التشيع ومن العوائل العلمية الدينية الشيعية التي تنتسب إلى (بني تميم) عائلة (آل الحرّ العاملي) ، التي تنهي نسبها إلى الشهيد بكر بلاء (الحرّ بن يربوع الرياحي التميمي) ، ولها زعامة وحركة دينية واسعة في بلاد الشام ، ومن مشاهير هذه العائلة المتنقلة بين (جبل عامل) وبين النجف الأشرف صاحب كتاب "وسائل الشيعة" الشيخ (محمد الحرّ العاملي)^{١٩٨}. وكان الشيخ (محمد بن الحسن الحر العاملي) علم الأعلام وفخر الأنام في القرن الحادي عشر الهجري ، موسوعياً متبحراً ، مجتهداً أخبارياً ، سائحاً دواراً بعلمه بين بلاد العرب والعجم ، مصنفاً شاعراً^{١٩٩}. وقد دخل الشيخ (محمد بن الحسن الحر العاملي) مجلس السلطان الصفوي (سليمان شاه) بلا رخصة وجلس على طرف مسند السلطان ، فلم يبادر الأخير إلا إلى الاستغراب ومحاولة اختياره ، حتى صار الشيخ لاحقاً من أعظم علماء إيران وقاضي القضاة ، رغم أنه عربي مهاجر من سلطان دولة العثمانيين^{٢٠٠}. وقد ترك (آل الحر العاملي) ، وهم (محمد بن الحسن) صاحب (وسائل الشيعة) وأخوه (احمد بن الحسن) ، أملاكهم في دمشق الشام ، بسبب الفتن الطائفية والسياسية في الزمان العثماني في القرن الحادي عشر الهجري ، وتوجهوا إلى مشهد (الرضا) في (طوس) بإيران ، يدرّسون ويعلمون الناس هناك . فكانت

^{١٩٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٢ ، ص ١٣٩

^{١٩٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٣ ، ص ٩٧

^{١٩٩} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ٩٦ □ ١٠٤

^{٢٠٠} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ١٠٤

تزداد الشام فقراً من علماء أهل البيت ، وتزداد إيران غنى بهم . فصار الأخوان بالتعاقب بمنصب (شيخ الإسلام) في إيران الصفوية^{٢٠١}.

وفي الوقت الذي تسببت حوادث معينة في العراق في أوائل القرن الحادي عشر الهجري في هجرة الكثير من ذرية الرسول محمد من العراق الى بلدان عديدة هرباً ، ومن أهمها إيران^{٢٠٢}، ساهم سقوط الدولة الصفوية على يد المتطرفين الأفغان في ١٧٢٢ م في هجرة كبيرة لعلماء الدين الإيرانيين إلى العراق منذ ذلك الحين ، حتى صار لهم تأثير ملحوظ^{٢٠٣}. وهو ما سيغير من مسار القيادة الدينية في العراق بوضوح لاحقاً . وقد تعزز الوجود الإيراني منذ سنة ١٢٨٨ هجرية أو ١٨٧١ - ١٨٧٢ ميلادية ، حين حصل قحط وغلاء في بلاد إيران^{٢٠٤}.

بينما كان علماء الشيعة في العراق قبل العام ١٧٢٢ م خليط من عرب العراق والبحرين والاحساء والقطيف والاهواز ، في مجتمع علمي متداخل متكامل^{٢٠٥}.

^{٢٠١} تراجم الرجال ، ج ١ ، ص ١٠٣ □ ١٠٤

^{٢٠٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٤ ، ص ٢١٥

^{٢٠٣} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين ، ص ١٠

^{٢٠٤} تراجم الرجال ، ج ١ ، ص ١٣٥

^{٢٠٥} انظر : منتظم الدين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ ، محمد علي التاجر البحراني ، مؤسسة طبية لإحياء

التراث - ط ١ ١٤٣٠ هـ

ومن بقايا قبيلة (همدان) ومن ذرية (الحارث الهمداني) صاحب أمير المؤمنين (علي) كانت سلالة (آل أبي جامع العاملي) العلمية , الذين خرجوا إلى العراق في زمان الشيخ (علي بن احمد بن ابي جامع العاملي) , إلى كربلاء في العراق في بداية القرن الحادي عشر الهجري , بعد أحداث اضطهاد الشيعة في (جبل عامل) من قبل السلطان ومقتل الشهيد الثاني , حيث لجأ فترة أخرى لدى السيد (مطلب) في الدولة المشعشعية في (الحويزة) , ثم انتشرت ذريته , منهم (آل محيي الدين) في النجف الاشرف و (جبل عامل) , و (آل فخر الدين) بين مدن العراق المختلفة بما فيها الكويت حينها . كما ولّى الشاه الصفوي أحد إعلامهم الشيخ (رضي الدين بن علي بن احمد بن ابي جامع) القضاء والمهمات في إيران , بل استمرت في (آل أبي جامع) من بيت الشيخ (عبد اللطيف) مشيخة الإسلام عدة سنين في غرب ايران العربي . وكثر من ذراري هذه الأسر العلماء ورجال الدين . وينتشر ذراري (آل أبي جامع) اليوم في عدة دول أهمها العراق وإيران والكويت والشام ولبنان^{٢٠٦} . وقد كان بعض أمراء (الحويزة) المشعشعية رجال علم ودين مثل السيد (علي خان ١٠٨٨ هـ) صاحب المؤلفات , الذي كان من أساتذته الشيخ (عبد اللطيف الجامعي)^{٢٠٧} . كذلك كان امير الدولة المشعشعية (خلف المشعشعي) من رجال العلم والتأليف في القرن الحادي عشر الهجري^{٢٠٨} .

^{٢٠٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٥٩ □ ٨٣

^{٢٠٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٦٣ □ ٦٤

^{٢٠٨} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٢٨٠

وفي العصور التي كانت تعم فيها الفوضى في البلاد الإسلامية تحت سيطرة العثمانيين ، وفي الوقت الذي بدأت أوروبا نهضتها بعد سرقتها الأمريكيتين واستعبادها أفريقيا ونفوذها غير المشروع في آسيا ، من خلال التخصص والمأسسة والانفاق الكبير على المشاريع العلمية الموجهة ، كان العلماء المسلمون الشيعة في العراق وغيره يحوزون جملة من العلوم الطبيعية والرياضية لا سيما في الطب والكيمياء والهندسة ، لكن بصورة فردية غير موجهة ، تفتقد لرعاية الدولة بل تعاني من مضايقات وجودها ، وكذلك كان جزء من جهد هؤلاء العلماء الأفراد متوجهاً لعلوم الدين ، فلم تكن تلك المشاريع العلمية قادرة على المنافسة أو الاستمرار ، ولن تكون قادرة على الحياة ، لا سيما بعد وصول السلطات العميلة للأوروبيين في الدول العربية والإسلامية . ومثال تلك الجهود الفردية جهود ومؤلفات أسرة (آل حرز الدين) النجفية^{٢٠٩} . وظل علماء وفقهاء الشيعة يتبحرون في العلوم الرياضية إلى القرن الرابع عشر الهجري على الطرق القديمة والحديثة ، مثل الميرزا (محمد علي القائني) في القرن الثالث عشر الهجري^{٢١٠} .

^{٢٠٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٣ ، ص ١٠٥ □ ١٠٧

^{٢١٠} تراجم الرجال ، ج ٣ ، ص ٣٢٧

فيما كانت بعض العشائر التي لا زالت أعرابية من قبائل (شمر) و (عنزة) أشد البدو إيذاءً للنجف الأشرف واهلها , حتى قيام السلطان الإيراني (نادر شاه) ووزيره (مهدي خان) ببناء القبر العلوي الشريف وتسوير المدينة , حماية لها من شرهاتين القبيلتين , بعدما رأى الملك ووزيره العجيب من الكرامات عند المشهد الشريف^{٢١١}.

وبينما كان ملوك الصفويين تؤثر فيهم كرامات مشهدهم مرقد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وتسري على فعالهم بسبب احتواء جيوشهم على محبين ل(علي بن ابي طالب) , كما في حادثة (نادر شاه) ووزيره (مهدي خان) , اللذين بنيا القبر الشريف , كانت تلك التأثيرات مؤقتة في سلاطين آل عثمان , بسبب احتواء جيوشهم على وزراء ومفتين نواصب يعادون ويبغضون علي بن ابي طالب , ويوهمون السلطان العثماني أنه خليفة حي و (علي بن أبي طالب) خليفة ميت , والحي اكرم من الميت , كما في حادثة السلطان (مراد) عند القبر واضطراره إلى النزول سيراً إلى مشهد الإمام علي من مسافة عدة فراسخ , نهاه عنها أحد مفتيه , لكنه حين فتح القرآن الكريم تفاؤلاً وجد الآية ((فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى)) , فقتل ذلك المفتي القائل بالنهي^{٢١٢}. ومن قبل قام الشاه (عباس الاول الصفوي) في القرن السابع عشر الميلادي بعمارة مشهد أمير المؤمنين في النجف الاشرف ومحيطه ونظمه

^{٢١١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ١ , ص ١٩٢

^{٢١٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ١ , ص ١٩٤ □ ١٩٥

وجعل فيه سوقاً ومستشفى وخانات , ذهبت كلها واندثرت بمجرد رجوع العثمانيين إلى السلطة^{٢١٣}.

ومن الملاحظ أن المدارس الدينية في إيران كانت في كل مدينة كل كبرى والكثير من القرى , مما رفع من مستوى المعرفة والوعي , وبما لهذه المدارس من تفريع طبي وأدبية وتطبيقي طيلة قرون , على عكس ما جرى في العراق تحت حكم الدولة العثمانية المظلم , حيث اقتصرت المدرسة الدينية على مدينة النجف الأشرف في الغالب , بعد أن كانت مدارس العراق العلمية مصدر النور المعرفي طيلة القرون السابقة على دخول العثمانيين , الأمر الذي مهّد وساعد على تفشي الجهل والبداءة^{٢١٤}. وكان الكثير من عائلة الإمارة والملك في قبيلة (قاجار) التي حكمت إيران منذ نهاية القرن الثامن عشر تناولوا العلم الإسلامي بالدراسة وصاروا من الأعلام^{٢١٥}. وتميّز بعض أمراء أبناء البيت القاجاري في إيران عن نظرائهم من الأمراء العثمانيين في تركيا بإقبالهم على العلوم الدينية , مثل الشيخ (ابو الحسن بن محمد تقي بن فتح علي شاه قاجار) في القرن الثالث عشر الهجري^{٢١٦}. وكان الكثير من ذرية (فتح علي شاه القاجار) علماء أو أدباء أو فقهاء^{٢١٧}.

^{٢١٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ١ , ص ٢٠٣

^{٢١٤} انظر كتاب (تراجم الرجال)

^{٢١٥} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٢٨٠

^{٢١٦} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٥٢

^{٢١٧} انظر كتاب (تراجم الرجال ج ١)

فيما كانت نهضة مدينة النجف الاشرف تقوم جرعات علمية وعملية متفاوتة في الزمن , استندت إحداها إلى جهود السيد (محمد مهدي بحر العلوم) في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي , وجهود الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) بعده في بداية القرن التاسع عشر الميلادي , ثم بعده تلامذة الشيخ (شريف العلماء المازندراني) الذي كان يقيم في كربلاء ثم هاجر تلامذته إلى النجف الاشرف وبدأوا نهضة علمية فيها بعد وفاته في بداية القرن التاسع عشر الميلادي^{٢١٨}.

وفي كربلاء ساهم الأمير السيد (علي الكبير بن منصور بن محمد أبي المعالي بن احمد الحسيني) في حفر نهر الهندية وفي بناء سور كربلاء ١٢٠٧ هجرية , واتم عمله السيد (علي الصغير) صاحب كتاب "الرياض"^{٢١٩}. وكان حينذاك الشيخ



صورة متداولة للسيد محمد المجاهد

(عبد الصمد الفتوني) أحد أعلام كربلاء وعلمائها , وقد استشهد على يد الوهابيين فيها في ١٨ ذي الحجة ١٢١٦ هجرية^{٢٢٠}.

بينما كان السيد (محمد المجاهد) ابن السيد (علي الطباطبائي) صاحب كتاب "الرياض" مرجعاً دينياً كبيراً جاهد ضد الروس

سنة ١٢٤٢ هجرية (١٨٢٦-١٨٢٧م)^{٢٢١}, ومن المرجعيات الدينية المحققة , جاهد ضد القوات الروسية , وشارك في جيش (شاه فتح علي قاجار)^{٢٢٢}, إلى جانب الشيخ المحقق

^{٢١٨} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ١٠

^{٢١٩} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ١٥٧

^{٢٢٠} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ١٢٥

^{٢٢١} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ٢٢٩

(النراقي) ، في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري . وكان الرجل دائرة علمية تدور في عدة مدن بين العراق وإيران . ثم حين استعان به سلطان القاجار لجهاد الروس أعانه . لكنه عانى بعد ذلك سوء معاملة الجند له بعد انهزامهم ، ظناً منهم أن دعاءه لم يُستجب ، غافلين أن جيش دولتهم بعدته صار من القدم بنحو العدم^{٢٢٣} .

وفي ذلك الوقت كان الشيخ (أحمد بن زين الدين الأحسائي البحراني) ، مؤسس فرقة الشيخية ، قد عاش في كربلاء وتوفي في ١٢٤١ هـ^{٢٢٤} . وكان الميرزا (محمد بن الحسين المامقاني) أهم طلبة الشيخ (أحمد الأحسائي) ومروحي عقيدته في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، التقاه في (كرمانشاه) الإيرانية وتتلذذ عليه سنة ونصف ، بعد أن درس قبلها في العراق ، ثم نشر عقيدته الشيخية في (تبريز) وبنى بها أكبر جوامعها للشيخية إلى اليوم^{٢٢٥} . ويبدو أنه هو الميرزا (محمد تقي نير التبريزي المامقاني) ، الذي كان من كبار محققي الشيخية ، وأقذعهم في لسان الانتقاد للفقهاء الأصوليين في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، أو النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد عاش بين تبريز والنجف وكربلاء ، متعلماً في الغالب على أعلام أسرته^{٢٢٦} .

^{٢٢٢} كان سلاطين دولة القاجار في إيران في القرن الثالث عشر الهجري يكتابون العلماء ويعظمون مقامهم ويراسلونهم بالتبجيل ، بينما كان سلاطين العثمان في تركيا يحاكمون العلماء ويحكمون عليهم في سائر بلاد المسلمين . وكان موظفو الديوان في العهد القاجاري في إيران في القرن التاسع عشر الميلادي من العلماء الفضلاء مثل ميرزا (محمد حسين الكرمانلي) .

^{٢٢٣} روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٧ ، ص ١٤٥ □ ١٤٨

^{٢٢٤} معجم رجال الفكر في كربلاء ، ص ٢١

^{٢٢٥} تراجم الرجال ، ج ٢ ، ص ٣٩٠

^{٢٢٦} تراجم الرجال ، ج ٣ ، ص ١٢٩

وكان من أسباب انتشار افكار وعقيدة الشيخ (أحمد زين الدين الاحسائي) وجود تلاميذ له كانوا من ائمة الجمعة والجماعة وقضاة بين الناس , لم يسع العامة تمييز ما هم فيه من أفكار , كما في وجود تلميذه الشيخ (محمد بن مقيم البار فروشي) في (مازندران) بإيران , حيث كانت كاريزما التلميذ سبباً في نقل افكار الأستاذ إلى بعض الناس دون أن تجد نقداً مناسباً بين العامة^{٢٢٧}. بينما كان الميرزا (نظام العلماء محمود التبريزي) من تلامذة الشيخ (الاحسائي) , المدافعين عنه بشدة , والناشطين في نشر فكره في إيران في القرن الثالث عشر الهجري , وهو في ذات الوقت من معاوني الشاه (ناصر الدين القاجاري) , وقد لجأ بعد محاصرته سياسياً الى سفير بريطانيا لمساعدته , في حركة غريبة منه^{٢٢٨}. وكان اتباع الشيخ (احمد الاحسائي) المباشرين أو غير المباشرين في إيران منتشرين في عدة مدن ومساجد ومدارس دينية , يدعون إلى تعاليمه في حياته أو بعده ويذهبون في تأييدها على انواقهم^{٢٢٩}.

وكان السيد (كاظم الرشتي) تلميذ الشيخ (احمد الأحسائي) يتزعم الطريقة الكشفية في كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري^{٢٣٠}. فيما كان (أحمد بن كاظم الرشتي الحائري) , رئيس الفرقة الكشفية , وقد قُتل في كربلاء في ١٢٩٥ هـ^{٢٣١}. وكان الشيخ (عبد الرحيم

^{٢٢٧} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٢٧ □ ٢٩

^{٢٢٨} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٤٤٣ □ ٤٤٤

^{٢٢٩} انظر كتاب (تراجم الرجال ج ١)

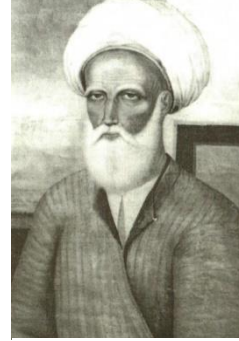
^{٢٣٠} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ١٧٣

^{٢٣١} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ٢٣

الاردبيلي التبريزي) أحد اذرع السيد (كاظم الرشتي) الشيعي العلمية , وكان يجاوره في العراق في القرن الثالث عشر الهجري , ثم عاد إلى (تبريز) على طريقته الشيخية^{٣٣٢}.



صورة متداولة للسيد الرشتي



صورة متداولة للشيخ الاحساني

في الوقت الذي يجعل فيه العثمانيون الأتراك منصب قاضي كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري للشيخ (أمين بن محمد سعيد بن هداية الله الأربيلي) من مدينة (اربيل) الكردية في شمال العراق , تحت ولاية متصرف كربلاء (رومي باشا)^{٣٣٣}.

ولقد كان لاتحاد شجرتي عوائل (آل بحر العلوم) منذ زمان الجد السيد (محمد مهدي بحر العلوم) مع عائلة (آل كاشف الغطاء) منذ عهد الجد الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) منطلقاً قيادياً فريداً للنجف الأشرف خاصة والعراق عامة , إذ كانت لهما القيادة الميدانية الواقعية

^{٣٣٢} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ٤٣ □ ٤٤

^{٣٣٣} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ١٠٤

بين الناس والعشائر وأمام الحكومتين العثمانية والملكية في العراق ، وقد حققوا الكثير من الامتيازات الرسمية لطلبة العلم وللشيعة^{٣٣٤} .

وكان السيد (محمد مهدي بحر العلوم) مثال المرجعية العاملة المتحركة في القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي ، يلامس حاجات الناس بصفة مباشرة ، كثير الحركة بين العراق وإيران والحجاز ، يدرّس على المذاهب الإسلامية الأربعة ، كما في فعل في الحجاز ، ويدرّس بغزارة على مذهب الإمامية حتى نال لقب (بحر العلوم) بجدارة ، أصله (طباطبائي حسني) ، لجأ أجداده إلى بلاد (بروجرد) الإيرانية هرباً من ظلم العباسيين ، وعادت أسرته بقيادة جده السيد (محمد بن عبد الكريم) للسكن في العراق ، لذلك هو وعى حاجة العراق والعراقيين والإسلام والمسلمين ، فكان أول من اختط العمل المؤسسي في منهج المرجعية الدينية الشيعية الحديثة ، حيث أوكل الفتيا والتقليد الى تلميذه الكبير الشيخ (جعفر كاشف الغطاء المالكي النخعي) وإمامة الناس تلميذه العراقي العابد (حسين نجف) وللقضاء تلميذه العراقي الآخر الشيخ (شريف محيي الدين الجامعي الهمداني)^{٣٣٥} ، واختص هو بالتدريس ، كما انشغل بتهذيب نفسه بالعبادة بالسير ليلاً بين الغري ومسجد الكوفة ، وكذلك إحياء سنة العلماء الفطاحل القدماء بنشر العلوم في بلاد المسلمين . وكان تلامذته أعلام الهدى في العلم والعمل ، اغلبهم من القادة العرب او المتوطنين بين العرب . ولو تسنى

^{٣٣٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٣ ، ص ٢٨ □ ٥٠

^{٣٣٥} ارجع السيد (بحر العلوم) أهله وذويه فضلاً عن الناس إلى تقليد مرجعية الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) ، وحاول تركيز الأنظار باتجاهه ، لما تمتع به الشيخ (كاشف الغطاء) من مواهب القيادة والعلم ، وجعل يدير وظائف الشيخ (حسين نجف) باتجاه المحراب وإمامة الصلاة ، لما تمتع به من رغبة الزهد روضات الجنات ص ٤٣٧ .

لمسلكه الدوام والانطلاق لكان خيراً للعراق والمسلمين , لولا دخول البريطانيين على الخط في الخفاء كما أرجح , ولولا ما تركته السياسة العثمانية في العراق من جهل وقلة إدراك وفقر يشغل الناس عن الصواب . وكان مما يميز هؤلاء العلماء العاملين عن غيرهم أن لهم تاريخاً اسرياً عربياً معروفاً موثقاً , وأنهم في الغالب ينبغون صغاراً , وأن لهم نشاطاً ميدانياً ملموساً مذكورا , وأنهم أدباء , ظرفاء على جدهم واجتهادهم , يؤلفون الكتب القيمة المناسبة لعصر صدورها , ولهم مراسلات أو لقاءات مباشرة مع وجوه ونخب بلاد المسلمين , كما أن لكل منهم عمل جديد وبصمة خاصة في زمانه , كما فعل السيد (بحر العلوم) في زمانه من إشادة قبور الأولياء والأنبياء والتابعين^{٣٣٦} .

وكان قادة المدافعين عن مدينة النجف الأشرف أمام هجوم الوهابيين بقيادة (سعود الكبير) سنة ١٢٢١ هجرية أو ١٨٠٦ ميلادية هم ذرية (مالك الأشر النخعي) بزعامة الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) , وكذلك المشايخ المجتهدين مثل الشيخ (خضر شلال العفكاوي الباهلي) والشيخ (حسين نجف) والسيد (جواد) صاحب كتاب "مفتاح الكرامة" وغيرهم , فيما هرب قسم كبير , واحتتمى قسم آخر بالمرقد الشريف . وقد حدثت من المعجزات ما شئت جيش (سعود) وارجمه خائباً^{٣٣٧} . وقد تحالف (الزكارتة) مع السكان النجفيين المحليين مثل عائلة (آل كاشف الغطاء) الدينية لمواجهة ومقاومة جموع الوهابيين السعوديين منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي . فيما كان تحالف القسم الآخر وهم

^{٣٣٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٢٨ □ ٤٠

^{٣٣٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ١ , ص ١٨٩

(الشمارتة) مع سدنة العتبة العلوية وسكان المدينة لحمايتها أيضاً اقدم , يبدأ من القرن السادس عشر الميلادي حتى منتصف القرن التاسع عشر^{٢٣٨}. وكان السادة الهاشميون (آل سلمان) من (العواودة) زعماء (الزكرت) في النجف الأشرف^{٢٣٩}.



مقبرة الشيخ الفكاوي

وقد أدت خسارة الحركة الأخبائية العلمية إلى انحسارها اجتماعياً , لا سيما بعد مقتل زعيمها (محمد الاخباري) . فتسبب ذلك بظهور أحد أكثر فروعها غموضاً وتطرفاً , وريثاً لها مع اضافات نوعية , وهي المدرسة (الشيخية) نسبة إلى مؤسسها الشيخ (احمد الاحسائي) في القرن الثالث عشر الهجري , التي طور أفكارها تلميذه السيد (كاظم الرشتي) الذي اتجه تلامذته إلى منحى آخر يدعي مدعيات غيبية باسم الكشف والإلهام فأسسوا المدرسة (الكشفية)^{٢٤٠} .

^{٢٣٨} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٦

^{٢٣٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٦٠

^{٢٤٠} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٨٣

وفي بداية القرن الثالث عشر الهجري نشطت المرجعية الدينية في العراق بعد انتقالها من مدينة كربلاء إلى مدينة النجف الأشرف , على يد طلبة المرجع (البهبهاني) , وهما السيد (مهدي بحر العلوم) صاحب الكرامات , والشيخ (جعفر كاشف الغطاء) الذي كان قيادة ميدانية منظمة , تدّخل في الشأن السياسي والعشائري . كما حاول جاهداً استمالة قادة الدولة الوهابية السعودية في (نجد) , لا سيما مؤسس فكرها (محمد بن عبد الوهاب) وأميرها السعودي , بالمراسلة والمهادنة ومحاجتهم بصحاحهم الستة . حيث كانت رسالة الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) إلى أمير الوهابيين (عبد العزيز بن سعود) محكمة العبارة , دقيقة الفكرة , سليمة النية , تسبق علم النفس الحديث بطريقة الخطاب والاقناع , مرجعة السلطان إلى كونه مجرد إنسان , مذكرة له بالآخرة وزوال ملك الدنيا , تستخدم التورية اللفظية لتغطية الحجة المذهبية , مدافعة عن أفكار المسلمين الصحيحة خارج الدائرة الوهابية , مبينة لواقع أعراب إقليم (نجد) وعدم قدرتهم على إنشاء حضارة , فضلاً عن سعيهم لنقد حضارات الآخرين , منكرة لما يطرحه الوهابيون من إدعاءات موهومة ومغلوبة عن دين أهل العراق وعموم بلاد المسلمين , داعية إلى الوحدة ونبذ الفرقة وكرهة العنف , مع تهذيب المقال وأدب الحوار . وهي تكشف عن البعد الواعي الميداني في شخصية القائد الشيخ (كاشف الغطاء) وعالمية فكره , وسعيه الدؤوب لتجنيب المسلمين مخاطر الحروب , وسبقه الأحداث لصد الخطر عن بلاده بالكلمة بعد استشرافه المستقبل القريب الخطير^{٢٤١} .

^{٢٤١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣٦٩ □ ٣٧٣

إلا أن كل ذلك لم ينجح لخواء السعوديين من العلم والمعرفة , فاستعد للمواجهة في النجف الأشرف , بعد مذبحة كربلاء التي قام بها الوهابيون على العزل من المدنيين وهدمهم ضريح الحسين وسرقتهم جواهره ونفائسه , فنقل نفائس المرقد العلوي إلى بغداد بالتعاون مع العثمانيين , وبنى سوراً للنجف بالتعاون مع الإيرانيين استمر بناؤه عدة سنين حتى انتهى في ١٨١١م , وقام بتدريب السكان ومن بقي من طلبة العلوم الدينية والمجتهدين , ونجح في صد غارات الوهابيين السعوديين عدة مرات وفي مختلف السنوات . كما نجح الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري في الوقوف بوجه الإتجاه الأخباري داخل مذهب الشيعة الإمامية , بعدما رآه من سلوكهم مسلك الكشفية والغيبيات , حيث واجههم في معاقلهم في مدينة كربلاء , لكن بصعوبة , واستعان عليهم بالقبائل العراقية , فخرج زعيمهم المعادي للعلماء (ميرزا محمد عبد النبي النيسابوري) إلى إيران وتقرّب الى الشاه القاجاري (فتح علي) , وانتشرت أفكاره هناك , فلحقه الشيخ (كاشف الغطاء) وناظره بالحجة والبرهان , وتسبب بتحجيم دور الفرقة الأخبارية كثيراً , حتى أعاد التوازن إلى بلاد إيران .

فيما استطاع ولده الشيخ (موسى) الذي تزعم الحوزة العلمية بعد أبيه أن يصلح بين الدولتين القاجارية والعثمانية ويطلق سراح الأسرى العثمانيين من يد الإيرانيين فحاز لقب "المصلح بين الدولتين" . فكانت تلك الأحداث فرصة لازدهار النجف الأشرف وانطلاق مدرستها العلمية , فقصدها الطلبة الإيرانيون , وكذلك الأموال القاجارية لإعمار المراقد المقدسة وتطوير المدارس الدينية . كذلك واجه الشيخ (موسى آل كاشف الغطاء) العلاقة بين الشاه

القاجاري والميرزا الأخباري , حتى هاجر الميرزا الأخباري الى بغداد بترحيب الوالي العثماني , فقتل هناك , لكنّ أحفاده انتقلوا إلى قرية (المؤمنين) في (سوق الشيوخ) واستصلحوا الأراضي هناك , وعُرفوا لاحقاً بأسرة (آل جمال الدين) , وصار بعضهم أصولية مثل السيد (مصطفى جمال الدين) , التي درس أغلب أفرادها على يد العلماء النجفيين وعاشوا دون حساسية تذكر . كذلك واجه الشيخ (موسى آل كاشف الغطاء) والشيخ (علي آل كاشف الغطاء) والشيخ (حسن آل كاشف الغطاء) في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري فرقة كشفية جديدة , هي اخطر من الفرقة الأخبارية , لأن الأخيرة تعترض على آلية "الإجتهد الفقهي" , بينما فرقة (الكشفية) التي تأسست على أفكار الشيخ (أحمد الأحسائي) بواسطة تلميذه السيد (كاظم الرشتي) تغالي في وصف أهل البيت , معتمدة على نصوص متسرّبة عن الشيعة الإسماعيلية على الاظهر , لكنها تشترك مع الأخبارية في معاداة الفقهاء الأصوليين من الإمامية . وقد لاقت هذه الفرقة رواجاً غريباً , اعتماداً على الجهل العام الذي فشا في عوام الشيعة تحت ظل التخلف العثماني , فكانت هذه الفرقة تستغل حب العوام لأئمة أهل البيت وتغالي فيهم لتكسب رأي الجمهور الجاهل وتأييده ودعمه , ومن ثم تكسب الزعامة الدنيوية , وربما تكون هي جاهلة فعليا . لكنّ جهود الفقهاء الأصوليين , بقيادة أبناء الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) الإخوة (موسى , علي , حسن , محمد) وتلميذهم المرجع الديني بعدهم السيد (مهدي القزويني) - الذي كان أكثر سلمية مع هذه الفرقة وأقل حدية - حجّمت هذه الحركة , فأنحسرت لتظل في حدود (الأحساء) والكويت والبحرين . وكانت قيادات هذه الفرقة , مثل السيد (احمد الرشتي) ابن المؤسس , تأتي بألفاظ غامضة

مقصودة لا يفهمها حتى العلماء لايهام العوام . ومع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري انقسمت الفرقة (الرشدية) إلى ثلاث فرق بعد رحيل مؤسسها , (الشيخية الركنية) في إيران على يد أحد الأمراء القاجاريين , و (الشيخية الكشفية) على يد الإيراني (محمد باقر الاسكوثي) والتي تبنتها عائلة (الاحقائي) في الكويت , و (الشيخية البشروئية) التي تفرعت عنها دعوات (البابية) ثم (البهائية) الضالة , وكل هذه الفرق تدعي اللقاء المباشر بالامام المهدي بصورة حسية أو كشفية , وجميعها تنتسب إلى أفكار الشيخ (احمد الاحسائي) , عن طريق تلميذه السيد (كاظم الرشدي) , ونقل كل فروعها شخصيات إيرانية الأصل . ثم تركزت هذه الفرق في بلاد الاحساء والكويت والبصرة وكرمان



صورة متداولة للسيد مهدي
القزويني

وانحسرت عن بلاد العراق بفضل جهود العلماء الفقهاء الأصوليين . وقد ساهم تلميذ عائلة (آل كاشف الغطاء) السيد (مهدي القزويني) في تشييع قبائل (زبيد) السنية المهاجرة إلى مدينة (الحلة) والتي كان يستخدمها الولاة العثمانيون لتفريق قبائل الشيعة , وتشييع حينها أكثر من مائة ألف من أفراد هذه القبيلة

التي كانت مدججة بالسلح العثماني , بعد أن بقي السيد (القزويني) فيها ما يقارب أربعين سنة , قبل أن يعود إلى النجف الاشرف بسبب اتساع رقعة مرجعيته عالميا , لكن أولاده المجتهدين (جعفر, صالح, محمد, حسين) أيضاً كان لهم الأثر الكبير في رفع المستوى الثقافي

والفكري والأدبي في مدينتي (الحلة) وكربلاء خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري^{٢٤٢}.

لقد تسبب خلط الشيخ (احمد الاحسائي) بين المباحث الفلسفية والاشراقية الكشفية وبين الروايات الضعيفة غير المقبولة لدى علماء الشيعة الأصوليين بظهور فكر غامض غير منسجم وغير منظم تمثل في الفرقة (الشيخية) , الأمر الذي تسبب بشرخ الجماعة الشيعية وسفك الدماء في بعض مدن إيران . لهذا كله كان لابد من ظهور سلبيات كبيرة ومتوقعة في مستقبل هذه الفرقة , مثل استمرار انقسام الفرقة إلى فرق أخرى متنافسة , وانقسام تلك الفرق إلى فرق اصغر , فكانت الشيخية قد انقسمت بعد وفاة (الاحسائي) في نهاية الربع الاولي من القرن التاسع عشر الميلادي وتلميذه (كاظم الرشتي) في نهاية النصف الأول من القرن نفسه إلى فرق ثلاث , فرقة الشيخية الركنية او الكرمانية التي يقودها (كريم خان القاجاري الكرمانى) , والتي انقسمت إلى جماعتين , جماعة الناطقية يقودها ولده (محمد خان القاجاري) , واستمرت الزعامة في بيت (كريم خان القاجاري) إلى حين مقتل حفيد حفيده (عبد الرضا خان الابراهيمي) في حوادث الثورة الإسلامية في العام ١٩٧٩ م , وجماعة الباقرية يقودها الميرزا (محمد باقر الهمداني) , وفرقة الشيخية الكشفية , بقيادة الميرزا (حسن □ وهر) ثم الميرزا (محمد باقر الاسكوثي) , واستمرت القيادة في أسرة (الاسكوثي

^{٢٤٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ١٨٧ □ ٢١٦

الاحقائي) رغم انتقال فكر الفرقة من إيران إلى الخليج , ثم الفرقة الشيخية البابية , التي اتبعت دعوى (علي محمد الباب الشيرازي) الذي ادعى أنه على علاقة بالامام الحجة ثم أنه هو (المهدي) ثم أعلن أنه يوحى إليه , والتي انقسمت بعده إلى عدة جماعات , منها الشيخية البابية الأصلية , ومنها الشيخية البابية الأزلية , التي اتبعت تلميذ (الباب) المدعو (يحيى صبح الأزل) , منها الشيخية البابية البهائية , التي اتبعت منافسه (حسين علي النوري بهاء الله) , والتي ذهبت بعيداً وأسست ديانة جديدة هي الديانة البهائية , وقد تنافس ولدا (بهاء الله) المدعوان (عباس افندي) و (شوقي افندي) على زعامة هذه الديانة الجديدة التي نقل العثمانيون قيادتها من إيران إلى فلسطين , وهذه هي السلبية الثانية لتلك الفرق , أنها تظل موروثه في بطن أسرة واحدة هي أسرة المؤسس بلا حجة ولا بينة^{٢٤٣}.

وتنسب (محمد علي بن عبد الرحيم الزنجاني) في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري بهجوم الحكومة الإيرانية على مدينة (زنجان) وخراب نصفها بسبب اعتناقه المتقلب لعقائد (الشيخية) , وإصداره للفتاوى الشاذة , ثم انضمامه إلى فرقة (البابية) , رغم أنه درس على (شريف العلماء المازندراني) في كربلاء , التي كانت تعج بالفرق المتقلبة , وكان مصدر تقلبه حالته النفسية وعُقد كان يعاني منها , حتى أنه كان يرى نفسه فوق المجتهدين من العلماء الأعلام^{٢٤٤}.

^{٢٤٣} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣٢٣ □ ٣٢٨

^{٢٤٤} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٣٢٣ □ ٣٢٤

وكان (محمد باقر بن محمد جعفر الطباطبائي الشريف القمي) من أعلام الفرقة الشيعية ومروجي عقائدها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري في مدينة (كرمان) الإيرانية , بينما كان الميرزا (محمد باقر بن محمد جعفر البهاري) من أعلام الشيعية في مدينة (همدان) في نفس الفترة , وكان في خصومة فكرية شديدة مع الفرقة الشيعية في مدينة (كرمان) , لا سيما مع ذرية (كريم خان الكرمانى)^{٢٤٥}.

ويبدو أن مدينة (كرمان) الإيرانية لقربها من المدن غير الشيعية في جنوب شرق إيران وحدود باكستان , والتصاقها بالصحراء , وبعدها عن المراكز الشيعية الإمامية المهمة في العراق وشمال ووسط إيران , كانت تعاني من كثرة الشخصيات والفرق المنحرفة عقائدياً , المتطرفة في الابتعاد عن أهل البيت , أو المتطرفة في الاقتراب منهم , كفعل وردة فعل عاطفية , رغم كونها من روافد الثقافة في إيران^{٢٤٦}.

وكان للشيعية , لا سيما من تلامذة (كريم خان الكرمانى) في إيران , اعتقاد فيه , يصل في نظر البعض إلى الغلو , فكان تركيزهم في الشخص أكثر منه ربما عن الحقيقة , وهم قد مزجوا ربما بين مقام (الإمام) ومقام (الوكيل العام للإمام) في عصر الغيبة^{٢٤٧}.

^{٢٤٥} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٩١ □ ٩٢

^{٢٤٦} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ١٦٠

^{٢٤٧} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٤٠



عبد الرضا خان الابراهيمى الكرماني



ميرزا محمد كريم خان الكرماني



أحقاقية معاصرون في الخليج

لكن الملفت ألا أحد من الباحثين التفت إلى ظهور كل هذه الحركات والفرق (الوهابية, الأخبارية, الشيخية, الرشتية الركنية والكشفية والبشروئية, البابية, البهائية) الشاذة عن المنهج الإسلامي وعموميات المذاهب الإسلامية ظهرت مع ذروة النشاط التجسسي والمالي والسياسي لـ"شركة الهند الشرقية البريطانية" طيلة القرن الثالث عشر الهجري , والتي فتحت فرعها الرسمي في العراق في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي , وسبقته بنشاط غير رسمي محمود , كما أنها كانت حققت انتصاراً عسكرياً فاصلاً في الهند في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي على معظم الدول الأوروبية , فيما ظهرت بعد ذلك فرقة (القاديانية

الأحمدية) في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي في الهند البريطانية . ففي حركة مريبة كان بعض اليهود في إيران يشترون المخطوطات النفيسة ويرسلونها إلى الخارج , وكان بعض البهائية يشترون أيضاً تلك المخطوطات ويحرقونها لغاية في أنفسهم عجيبة ! , كما فعلوا بمكتبة الشيخ (حسين بن جعفر الموسوي اليزدي الشخي) مساعد الشيخ (كريم خان الكرمانى) التي كانت تتضمن ما يتجاوز الثمانية آلاف مخطوطة^{٢٤٨}.

بينما كان الأمراء المسلمون الشيعة في الهند حينذاك يوقفون أموالهم على خدمة العلم والمعرفة في بلاد إيران وغيرها , مثل (غازي الدين حيدر خان بهادر) في القرن الثالث عشر الهجري^{٢٤٩}.

وفي تلك الجامعة العلمية والقيادية الكبرى كان الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) يملك من الوعي الميداني والتاريخي بحيث اقنع أحد زعماء قبيلة (الخرزج) في قضاء (الدجيل) العراقي وهو الشيخ (احمد الدجيلي) بأن يرسل أحد أبنائه لدراسة العلم في النجف الأشرف , ليزيد مستوى المعرفة في تلك المنطقة , بل زوجته ابنة أخيه , فكانت النتيجة أسرة علمية وأدبية وإدارية كبيرة , مما يعيد الدور التاريخي لقبيلة (النخع) التي منها الشيخ (كاشف

^{٢٤٨} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٢٧٩

^{٢٤٩} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٣٣٩

الغطاء) في نشر فقه اهل البيت في القبائل العربية المستعدة^{٢٥٠} . وكانت قبائل العراق في كثير من الأحيان تختار بعض ابنائها النابهين للدراسة في النجف الأشرف , ثم العودة لنفع مناطقهم , أو تقوم الشخصيات الدينية القيادية الواعية بحث بعض تلك القبائل على إرسال ابنائها إلى مدينة العلم في النجف الأشرف^{٢٥١} .

وكان أبناء الشيخ (كاشف الغطاء) , لا سيما الشيخ (حسن) , يعون مفهوم يتم الشيعة بغياب إمامهم المعصوم وولي أمرهم , وهذا ما برز في إجازاتهم للآخرين بالاجتهاد , حين يرونها مهمة كبيرة ووظيفة جلييلة , لا أنها تخريج مجموعة من الطلبة أشبه ما يكون بتخريجهم بنظام الجامعات الذي لا يبالي أين ذهبوا بعد ذلك . وهو مستوى عالٍ من الفهم للتاريخ الإسلامي الشيعي^{٢٥٢} .

وكان بعض زعماء القبائل الواعين يرسلون المرجعيات الدينية النجفية , مثل شيوخ قبيلة (الخرزاعل) أو (خرزاعة) الذين كانوا يرسلون ويكاتبون العوائل العلمية النجفية , كما في مراسلات الشيخ (حمد آل حمود) مع علماء وأدباء أسرة (آل التغلبي) النجفية^{٢٥٣} . كما تكرر هذا الوعي بطلب أمير قبيلة (الخرزاعل) الشيخ (باشا اغا العباس) قدوم السيد (قاسم بن علي

^{٢٥٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٩٧

^{٢٥١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٢٧ و ٢٣٢

^{٢٥٢} تراجم الرجال , احمد الحسيني , ج ١ , الناشر : دليل ما - ١٤٢٢ هجرية - الطبعة الأولى , ص ١٦

^{٢٥٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٢٣٤

الاحول الموسوي) إلى منطقة الديوانية والسماوة لأغراض دينية في زمان السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني)^{٢٥٤}. ونتيجة لهذا الوعي الفريد ربما نفى المتصرف العثماني على (الحلة) المدعو (شلي باشا) بجيوشه الجرارة كل قبائل (الخزاعل) ومن صاهرهم من السادة العلويين مثل (آل زوين) والأدباء المجاورين لهم مثل (آل الاعسم) عن ديارهم ومدنهم في (الشامية) و (الجعارة) و (ابي صخير) , وجعلهم أعراباً بعد أن كانت دورهم نوابٍ للأدب والمعرفة , أعراباً يقاسون مرارة النفي, إلى أن مات في حدود ١٨٨٠ م^{٢٥٥}.

وربما لذات الدوافع قام العثمانيون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بشن حرب ضروس انتهت بسد الماء على قبائل (آل بدير) الزبيدية في لواء الديوانية بسبب خلافهم معهم , فتسببوا بتشتت القبيلة وتفرقها وتدهور أوضاعها الاقتصادية^{٢٥٦}. بعد أن كانت المرجعيات العراقية في القرن التاسع عشر الميلادي تحرز بعض التأثير في بعض ولاة العثمانيين , مثل تأثير المرجع الشيخ (مهدي بن أسد الله) حفيد الشيخ (كاشف الغطاء) عن طريق الأم في الوالي العثماني (داوود باشا) , الذي كان يزوره ويستمتع لمطالبه في قضاء حوائج الناس , والذي سكن ولده الشيخ (محمد موسى) بين اهالي (الديوانية) وعمل على حل مشاكلهم لا سيما العشائرية , مثل التي بين عشائر (عفك) و (الدغارة) و (آل بدير) , وكذلك عمل على توجيه ونصح الناس , وكان له دور كبير في سيرهم على خط أهل البيت , خصوصاً أن أكثر

^{٢٥٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١٠٦

^{٢٥٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١٤٥

^{٢٥٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١٦٥

قبائلهم كانت مهاجرة , وقد احترموا جهوده الإصلاحية واصرروا على سكناه بينهم وبنوا له داراً ومسجداً , وكان قد أحرز لهم الامان من ولاة العثمانيين , وقد ظلت ذريته تدير الإصلاحات الاجتماعية في مدينة الديوانية , كما رأس ابنائه بعض مؤسساتها المدنية , وقد انتشرت هذه الأسرة في محافظات عراقية مختلفة , يدير أبناؤها المؤسسات الدينية والأكاديمية والتجارية. بل إن الشيخ (باقر بن أسد الله) كان أول من أعلن العزاء الحسيني في مدينة الكاظمية بعد الخفاء^{٢٥٧}. ان كان العثمانيون يحرمون الشعائر الدينية الإسلامية الشيعية في العراق , ثم منع المماليك الجهر بها , حتى منعها نظام البعث الصدامي في العام ١٩٧٧ م نهائياً^{٢٥٨}.

ونتيجة للفترة العثمانية المظلمة في العراق , وجد السيد (مهدي القزويني) حين دخل مدينة (الحلة) في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري أن أهلها لا يعرفون من التشيع سوى نقل موتاهم إلى النجف الاشرف . مما يكشف عن التدهور الفكري الخطير الذي عاناه العراق تحت وطأة الحكم العثماني , إذ كانت هذه المدينة قبل حكمهم مركز الفكر الإمامي الشيعي^{٢٥٩}. فقد مكّن العثمانيون قبائل (زبيد) المهاجرة من إقليم (نجد) الصحراوي من ثروات وأراضي (الحلة) والفرات الأوسط في العراق , لأنها قبيلة سنية فقط , وجعلوا زعيمها

^{٢٥٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١١٨ □ ١٢٧

^{٢٥٨} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ١٣

^{٢٥٩} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢١٣

(وادي بن شفلح) وكيلاً عنهم , وكان يسير مع أفراد قبيلته في مدينة (الحلة) الشيعية مدججاً بالسلاح والعصبية المذهبية , واستخدموها لضرب قبائل الشيعة من (الخزاعل) و (المنتفك) و (الاقرع) وتغيير شيوخ تلك القبائل وجمع الضرائب من أهلها , حتى صار زعيمها من كبار الملاك الأثرياء في فترة وجيزة . كل ذلك قبل أن ينجح المرجع الديني السيد (مهدي القزويني) في إدخالهم إلى مذهب الشيعة الإمامية , إذ دخل منهم ما يقارب مائة ألف^{٢٦٠}.

وقد كان العلماء العراقيون من المراجع وغيرهم في النجف الاشراف يتحلون بالكارم العربية وآداب الشهامة يخدمون الضيف ويتواضعون للناس ويغضبون إذا رأوا منكراً ويزيلونه بأيديهم^{٢٦١}.

وكان الشيخ (موسى بن جعفر كاشف الغطاء) يلتقي بسلاطين عصره من (القاجار) في إيران , ويتفاعل مع المؤسسات الأدبية للولاية العثمانيين في بغداد , يعاونه تلميذه السيد (احمد بن درويش الخرسان) في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي^{٢٦٢}.

كذلك كان الشيخ (مهدي بن علي آل كاشف الغطاء) من المجتهدين المجيزين في النجف الأشراف في القرن الثالث عشر الهجري^{٢٦٣}.

^{٢٦٠} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢١٢

^{٢٦١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٥٠

^{٢٦٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٧٦



الشيخ محمد حسن النجفي
صاحب الجواهر

وقد انتهت المرجعية الدينية النجفية بعد الشيخ (جعفر كاشف الغطاء) في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي الى شخصيتين هما الشيخ (محمد حسن النجفي) صاحب كتاب "الجواهر" والسيد (حسن الخراسان) , لكنّ اختلاف قواعدهما الشعبية كاد يصنع الفتنة ,

فقرر السيد (الخراسان) الرحيل , فطلب إليه والد زوجته أمير (الخزاعل) الشيخ (باشا اغا العباس) الوفود على دياره وبنى له مدرسة كبيرة انتقل إليها مع طلابه , حتى أجبره أهل بغداد على الوفود إليهم بعد ذلك بمدرسته . وكان هذا الأمر مما يتسبب بضعف المرجعيات الميدانية المتداخلة مع الشارع العراقي ويفتح الباب مستقبلاً لازاحتها عن منصب المرجعية الدينية عملياً^{٢٦٤}.

كذلك كانت المرجعية الدينية الكبرى بعد رحيل سلسلة المرجعيات الميدانية الكبيرة من (آل كاشف الغطاء) , وآخرهم الشيخ (حسن) , قد انفرد بها بنسبة مؤثرة الشيخ (مرتضى الأنصاري) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي , أو بقية القرن الثالث عشر الهجري ومطلع القرن الرابع عشر الهجري , بالإضافة إلى الشيخ (محمد حسن النجفي)

^{٢٦٣} تراجم الرجال , أحمد الحسيني , نشر : دليل ما - قم - ١٤٢٢ هـ , ج ٢ , ص ١٦

^{٢٦٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٦٨

صاحب كتاب "الجواهر" . وكان الشيخ (مرتضى الأنصاري) أحد المؤلفين الكبار في ظاهرة تأليف الكتب العلمية الفقهية والأصولية الرئيسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي , أو النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري , والتي ظلت هي مدار الدروس العالية في الحوزات العلمية الشيعية خلال العقود التالية , من خلال كتبه "المكاسب" و "الرسائل" . وقد فاق علماء عصره بابتكاره لأبواب جديدة ومطالب موسعة في الفقه والأصول . وإليه انتهت رئاسة الإمامية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري بعد وفاة استاذيه وزعيمي الشيعة الشيخ (علي بن جعفر كاشف الغطاء) والشيخ (محمد حسن النجفي) صاحب "الجواهر"^{٢٦٥}.

وكان (محمد باقر بن محمد حسين المشهدي) من مراجع التقليد غير المشهورين في القرن الثالث عشر الهجري في مدينة مشهد^{٢٦٦}.

ونشط المسلمون الشيعة الأتراك في بلاد أذربيجان وإيران في العلوم الدينية الإسلامية الإمامية , وهاجر الكثير منهم إلى الجامعات العلمية في النجف الاشرف وكربلاء وإيران , لا سيما في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري , وشهدت حركتهم ارتفاع الأنشطة الأدبية

^{٢٦٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٤٠

^{٢٦٦} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٩٦

والعرفانية^{٢٦٧}. ومن فقهاء أرمينيا المجاورة لأذربيجان في القرن الثالث عشر الهجري الميرزا (محمد شفيع بن محمد الخاقاني الايرواني) , الذي انتقل بمرجعيته إلى أصفهان^{٢٦٨}. فيما كان السيد (مرتضى الخسروشاهي) أحد مراجع التقليد وأساتذة البحث في بلاد (تبريز) ومحيطها من بلاد الأذربيجانية في القرن الرابع عشر الهجري , وكان معارضاً لحكم الشاه (رضا بهلوي) , وقد سجنه ثم أطلقه , كذلك نجا من فتنة الشيوعيين ومذابحهم ضد العلماء هناك^{٢٦٩}.



رسم متداول للشيخ مرتضى الأنصاري

ثم انتقلت المرجعية الدينية إلى تلامذة الشيخ (الأنصاري) , مثل السيد (حسين الكوهكمري) الأذربيجاني , المرتبط بالشعوب التركية وإليه رجع أغلبهم , وقد اختص بالتدريس ثم أصيب بالشلل , والميرزا (محمد حسن الشيرازي) الذي رجع إليه أغلب الإيرانيين , والذي تدخّل في الشأن الميداني العام , حيث وازن العلاقة مع سلاطين القاجاريين , وقام كذلك

^{٢٦٧} انظر كتاب (تراجم الرجال)

^{٢٦٨} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٢٦٨

^{٢٦٩} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٤٥٣

بمساعدة أهالي النجف الأشرف في أيام الغلاء الشديد ، ثم هاجر إلى مدينة سامراء ، مما ساهم بعودة مرجعية ثالثة من (الحلة) إلى النجف الأشرف وهو السيد (مهدي القزويني) . وكانت الأموال الوقفية القادمة من الهند البريطانية من أهم عوامل نهوض المرجعيات الدينية والتفاف الطلاب والوكلاء حولها في القرن الثالث عشر الهجري ، حتى مع العمر الصغير لصاحب تلك المرجعية ، كما في مرجعية السيد (ابراهيم القزويني الحائري) في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وهو جد أعلام أسرة (آل القزويني) الكربلائية ، التي أصلها من كرمانشاه في إيران^{٢٧٠} .

ومن ملامح الوعي الكبيرة في قبيلة (الخزاعل) في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي أن زعيمها الشيخ (باشا اغا العباس) زوج ابنته إلى أحد المرجعين الكبيرين في النجف الأشرف حينها وهو السيد (حسن الخرسان) ، وبنى له مدرسة في ديار عشيرته واستقدمه^{٢٧١} .

^{٢٧٠} تكملة طبقات أعلام الشيعة ، الروضاتي ، ص ٤٢٠

^{٢٧١} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٤ ، ص ٦٨

ومن قبيلة (خزاعة) او (الخزاعل) ومن أهوار (الجبايش) في (الجزائر) كانت أسرة (آل شحتور) العلمية الدينية النجفية , والتي نشأت بعيدة عن أراضي (خزاعة) , وكانت في ديار (بني أسد) ثم انتقلت إلى عشائر (حجّام) في منطقة (المجرة) في ذي قار^{٢٧٢}.

وقد كان النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي , الثالث عشر الهجري , مزدحمًا بالعلماء المؤصلين , في ظاهرة ملفتة , مثل الشيخ (محمد حسن آل ياسين) صاحب كتاب "أسرار الفقهة" , و(محمد حسين الأصفهاني) صاحب "الفصول" , و(شريف العلماء المازندراني) , و(إبراهيم القزويني) صاحب كتاب "الضوابط" , و(محمد حسن النجفي) صاحب كتاب "الجواهر" , و(علي بن جعفر كاشف الغطاء) , و(مرتضى الأنصاري) صاحب "المكاسب" , و(جعفر الشوشتري) صاحب كتاب "الخصائص"^{٢٧٣}.



الشيخ جعفر الشوشتري



الشيخ محمد حسين الاصفهاني

^{٢٧٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٦١

^{٢٧٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٧٩

وقد كان من اشهر مراجع التقليد المجتهدين في النجف الأشرف في النصف الأول من القرن التاسع عشر الشيخ (محمد حسن الشروقي الخاقاني الفرغاني) أو (الشرقي) , وكان تلميذ وصهر الشيخ (محمد حسن النجفي) صاحب "الجواهر" , هاجرت أسرته من (المنتفك) إلى العاصمة العلمية النجف الأشرف لطلب العلم , فحظيت بالزعامتين الدينية والأدبية . بحيث كان زعماء الادب والنخبة النجفية في القرن اللاحق , مثل السيد (محمد سعيد الحبوبى) والسيد (حيدر الحلبي) و (محمد حسن كبة) والشيخ (عباس الاعسم) , يأخذون من مجالس ولده الشيخ (جعفر الشروقي)^{٢٧٤} .

وكان الشيخ (محسن بن محمد بن خنفر) أحد العراقيين الذين انتهت إليهم الزعامة الدينية والتدريس في النجف الأشرف في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي , بعد رحيل الشيخ (حسن صاحب الجواهر) , وعلى يديه تخرج نخبة من اساطين التدريس في الحوزة العلمية النجفية مثل الشيخ (محمد طه نجف) والسيد (محمد الهندي) الذين لعبوا دوراً في صقل مجموعة كبيرة من علماء القرن العشرين في العراق والعالم الإسلامي^{٢٧٥} .



الشيخ محمد طه نجف

^{٢٧٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٦٩ □ ١٧٢

^{٢٧٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٢٠٩

فيما كان هروب بعض العلماء الكبار والمجتهدين من ذوي الأسر العلمية الدينية المعروفة بتاريخها الميداني يشكّل في نظرهم الفردي زهداً في مناصب الدنيا ونجاة من بلاءات الفتوى , لكنهم في الحقيقة كانوا يمنحون من خلد إلى الأرض وتحكمت فيه الدنيا أهم منصب ديني وديني بشري من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون , وهو ما تسبب في بلاءات مستقبلية , ابتلت بها الأمة وأسر هؤلاء العلماء الزاهدين . كما فعل السيد (حسين بن محمد رضا بحر العلوم) في منتصف القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي , الذي حين احس ببقايا وعي في الأمة يريد توليته منصب المرجعية هرب إلى كربلاء . فكانت الأمة حينها اوعى , لكنّ التقصير كان من جانب العالم , فصارت رهينة لمجموعة متسلسلة من العلماء غير المناسبين , حتى صار أمرها إلى هوان^{٢٧٦} .

وقد ازدهرت مدينة النجف الاشرف في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لارتباطها الوثيق بهويتها الإسلامية الشيعية , بحسب ما أجمع الباحثون^{٢٧٧} . إذ أصبحت مدينة النجف الاشرف مركزاً أكاديمياً للعلوم الدينية الإسلامية الشيعية بديلاً عن مدينة كربلاء منذ أربعينيات القرن التاسع عشر الميلادي , بعد تحسن العلاقات الإيرانية العثمانية بعد توقيع معاهدة (أرضروم) الأولى^{٢٧٨} . ولأهمية مدينة النجف الدينية والعلمية ووجود

^{٢٧٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٤٤

^{٢٧٧} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٤

^{٢٧٨} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٥

المجتهد الشيعي الأكبر فيها وتنوعها , وصفتها الكثير من المصادر بـ "قلب العالم" , أو "العالم في مدينة" , و "متلقية كل اخبار العالم"^{٢٧٩}. وانتعشت الحركة العلمية الدينية الشيعية في مدينة سامراء بانتقال المرجع الديني (محمد حسن الشيرازي) إليها في العام ١٨٧٥ م , لكنها فقدت أهميتها العلمية بوفاته في ١٨٩٥ م , وانتقال طلابه إلى مدينة النجف الاشرف .

ولعبت الزيارات الميدانية للعتبات المقدسة في النجف الاشرف وكربلاء دوراً مهماً في ربط المرجعيات الدينية الشيعية بالناس , لا سيما العشائر. وهذا من لطيف تخطيط الله عز وجل عن طريق أوليائه في استخدام العاطفة طريقاً للعقل والوعي^{٢٨٠}, اذ كان عدد الزوار الهنود والإيرانيين للعتبات المقدسة في العراق يتجاوز ال ١٠٠ ألف إنسان حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي^{٢٨١}. وفي القرن التاسع عشر الميلادي كانت نسبة الثلثين في مدينة النجف الاشرف من العرب , وثلث من الفرس , ونسبة ضئيلة من الهنود^{٢٨٢}.

وكان المسلمون الشيعة من بلاد القوقاز وأراضي روسيا يزورون العتبات المقدسة في العراق في القرن التاسع عشر وقبله , عن طريق (كرمانشاه □ بغداد □ البصرة)^{٢٨٣}. وكان معدل الزوار

^{٢٧٩} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٤

^{٢٨٠} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , د. رباب الحسيني : خبيرة المركز القومي للبحوث الاجتماعية في

القاهرة , اعداد: مكتبة الروضة الحيدرية - النجف الاشرف , ص ٢ □ ٣

^{٢٨١} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ١٣

^{٢٨٢} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٦

^{٢٨٣} ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها , القنصل الروسي : الكسندر اداموف , ت : هاشم صالح التكريتي , دار ميسلون , ص ١٣٠

الإيرانيين والاسيويين والروس الذين يفدون الى العتبات المقدسة في العراق عن طريق معبر (خانقين) في القرن التاسع عشر يصل الى ٦٠ الف زائر سنويا , فيما عدد الجثث التي تعبر من هذه الأقاليم البعيدة الى النجف الاشرف ومقابر العراق يصل الى ٥ الاف جثة سنويا^{٢٨٤} .

وكان من المجتهدين الكبار في النجف الأشرف عند الربع الأخير من القرن التاسع عشر



الشيخ عبد الرضا الطفيلي

الميلادي الشيخ (عبد الرضا الطفيلي) , الذي انشغل بكتابة موسوعات علمية ضخمة , توزع شتاتها على معاصريه ثم أعيد جمعه بآلاف الصفحات وعشرات المجلدات , إلا أنه رغم سعة علمه انشغل بعالمه

المعرفي عن التصدي الميداني للمرجعية الدينية النجفية^{٢٨٥} .

وظلت عائلة (آل بحر العلوم) تقضي حوائج النجفيين وتدفع عنهم ظلم العثمانيين لا سيما التجنيد الإجباري , بالتعاون مع تجار النجف الشرفاء بدفع البدل المالي ورعاية الفقراء , كما في سيرة السيد (محمد تقي بن محمد رضا بن محمد مهدي بحر العلوم)^{٢٨٦} . اذ كان

^{٢٨٤} ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها , ص ١٣٥

^{٢٨٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٢٧ □ ٢٢٨

^{٢٨٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٤٢

العثمانيون يجبرون شيعة العراق على قبول التجنيد وقبول العسكرية أو دفع الأموال بدلاً
عن ذلك^{٢٨٧}.

واتسعت مرجعية الميرزا (محمد حسن الشيرازي) طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر , والذي رجع إليه أغلب الإيرانيين , والذي تدخل في الشأن الميداني العام , حيث وازن العلاقة مع سلاطين القاجاريين , وقام كذلك بمساعدة أهالي النجف الأشرف في أيام الغلاء الشديد , ثم هاجر إلى مدينة سامراء , وبنى الميرزا (محمد حسن الشيرازي) مدرسة كبيرة في سامراء لطلبة العلوم الدينية , وشيّد اول جسر على نهر دجلة في المدينة , وتكفل بمساعدة الأهالي والقبائل السنية المحيطة بالمدينة , بلا أية مشاكل طائفية , حتى شعر والي العثمانيين في بغداد (حسن باشا) بالحقق , فهيج المتعصبين من أهالي المدينة , الذين دخلوا على بيوت الشيعة وقتلوا من قتلوا حتى أقارب الميرزا (الشيرازي) نفسه^{٢٨٨} , في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي , وفي حالة حقد طائفي صريحة , هيج والي العثمانيين في بغداد (حسن باشا) المتعصبين من أهالي مدينة سامراء على الشيعة فيها , فدخلوا بيوتهم وقتلوا من قتلوا بلا سبب , رغم مرور سنين من الالفة ومساعدات الميرزا (محمد حسن الشيرازي) لأهالي وقبائل المدينة السنية وبنائه اول جسر فيها , وهو الجسر الذي ترك تاريخ تشييده بعض مؤرخي السنة فيها بلا نسبة سوى ذكر أنه بُني في العهد العثماني . وعندما توفي الميرزا في

^{٢٨٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٤٢

^{٢٨٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢١٦ □ ٢٢١

نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أمر السلطان العثماني ببناء مدرسة سنية منافسة في المدينة وبترحيل الشيخ (محمد سعيد النقشبندي) إليها , فخلق كل ذلك حلقة طائفية معادية للشيعة في المدينة استمرت حتى اليوم^{٢٨٩}.



صورة متداولة للميرزا محمد حسن الشيرازي

من الواضح من موقفها في أزمة الغلاء في النجف الأشرف والنفقات الكبيرة والتأسيس في سامراء أن مرجعية الميرزا (محمد حسن الشيرازي) اعتمدت بشكل كبير على الأموال , أكثر من اعتمادها على عمل ميداني عميق , رغم أن طلبته تصدوا للزعامة الدينية بعده , وهي أموال ضخمة لا يمكن أن تحققها مرجعية عراقية ,

كما أن الملفت أنها لم تكن من مدفوعات الدولة القاجارية . وهذه الأموال حققت لمدرسة الميرزا الشيرازي يد عليا في العراق بعد ذلك . ودليل ذلك أن ولده (علي اغا) حصل على الزعامة في مدينة سامراء بنفس الضخ المالي السابق . والملفت أن الشيرازي كان أول مرجعية دينية شيعية معروفة تفرض على الوكلاء ارسال الأموال إليها بدل إنفاقها في البلاد التي فيها أولئك الوكلاء أنفسهم لقضاء مصالح أهلها . ومع ذلك كان الميرزا الشيرازي صاحب فتوى تحريم التبناك في إيران , بعد استحوزت الشركات البريطانية على امتياز جمعه

^{٢٨٩} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢١٦ □ ٢٢١

بأسعار زهيدة وظلم الأهالي والفلاحين , الأمر الذي أفشل صفقة السلطان القاجاري مع البريطانيين^{٢٩٠}.

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين شهدت المرجعية الدينية العليا في العراق ومركزه العلمي في النجف الأشرف سيطرة مطلقة لمرجعيات تتلمذت في مدرسة الميرزا (محمد حسن الشيرازي) . لا سيما الشيخ (محمد كاظم الخراساني) الذي استقلّ بالتدريس في حياة استاذة الميرزا (محمد حسن الشيرازي) , وكان له درسان , عام , وخاص يحضره الميرزا (محمد حسين النائيني) , والذي تبعه وناصره لاحقاً حتى في ثورة (المشروطة) الدستورية , بل صار مسؤولاً عن إجابة الاستفتاءات التي ترد على مكتب (الاخوند الخراساني)^{٢٩١} . والسيد (محمد كاظم اليزدي) , والشيخ (محمد تقي الشيرازي) في سامراء ثم كربلاء , على الرغم من وجود مرجعيات نجفية فعلية قبل انتقال طلبة الميرزا الشيرازي مثل الشيخ (حسن المامقاني) والشيخ (محمد طه نجف) والميرزا (حسين الخليلي) . وقد ظلت كتب (الخراساني) في الأصول "الكفاية" و (اليزدي) في الفقه "العروة الوثقى" مدار الدروس والتقارير الدينية على مدى عقود بعدهم^{٢٩٢}.

^{٢٩٠} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٢١ و ٢٢٣ و ٢٢٥

^{٢٩١} حزب الدعوة من المهدي الى اللحد , مقال لمناقشة ادعاءات سليم الحسيني , الشيخ عباس الزبيدي ٢٠١٥ م

^{٢٩٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٢٢ و ٢٢٤

وكان الشيخ (محمد حسن النائيني) فقيهاً من تلامذة الميرزا (محمد حسن الشيرازي) في العراق , الذين عادوا إلى إيران واسسوا في (نائين) مدرسة علمية دينية , كان لها تأثير في الفقه وعلومه , وظلت قائمة^{٢٩٣}.

والمولى (ابو طالب السلطان آبادي) من تلامذة الميرزا (محمد حسن الشيرازي) أيضاً , من الإيرانيين الذين عادوا إلى بلادهم , وكانت له في (اراك) مرجعية عامة ورئاسة . الأمر الذي يشير إلى مدى اتساع سيطرة تلاميذ مدرسة (الشيرازي) على الساحة المرجعية الدينية الشيعية حينذاك بما حوت من رؤاه وسلوكه^{٢٩٤}.



آيت الله سيد كاظم يزدي
السيد محمد كاظم اليزدي



الأخوند الخراساني
الشيخ محمد كاظم الخراساني



ميرزا حسين الخليلي



آيت الله ميرزا تقى شيرازي

^{٢٩٣} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ١٧٤

^{٢٩٤} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٦٠

وكان الملفت أن جملة طلبة العلوم الدينية من العراقيين من المحافظات يميلون للدراسة في مجالس مشاهير المدرسين العراقيين أيضاً , مثل مجالس (آل كاشف الغطاء) , لتشابه الحياة ربما واستطاعة كل طرف فهم وتقبل الآخر . لكنّ من يقيم من ذريتهم لاحقاً في النجف الأشرف يدخل تدريجياً في دروس غير العراقيين , رغم أنه في حياته الأدبية والعامّة خارج الدرس يظل يتعامل ميدانياً مع العوائل العلمية الدينية العراقية . وكانت المدن العراقية المهمة أو القيادية حينذاك مثل (سوق الشيوخ) و (الجزائر) او (المدينة , الجبايش) تتعامل دينياً في الفتوى والقيادة من رجال الدين المحليين الميدانيين , مثل الشيخ (علي آل حيدر) , والذين وصل بعضهم مثل السيد (علي بن الحسن الحلو الجزائري) و الشيخ (باقر بن علي آل حيدر) إلى رتبة التقليد في معظم جنوب العراق في القرن الثالث الهجري والقرن الرابع عشر الهجري , ولا ترتبط تلك المدن بعلاقة مباشرة مع القيادات غير العراقية في النجف الأشرف , في ظلّ تسامح تلك القيادات الدينية المحلية مع ما يجري من تغيير مفصلي في نوعية المرجعية الدينية في النجف الأشرف , وكذلك في ظلّ تقريب تلك المرجعيات الدينية الأجنبية للعلماء العراقيين الميدانيين من ذوي المساحة الاجتماعية والنفوذ وحثها المال لهم وجعله تحت أيديهم واستشارتهم وإظهار أنها تعزز بمكانتهم مما يجعلهم قريبين منها

ويفضلون غض الطرف عنها , مما أعطى المساحة الكافية التدريجية لتكون أي نوعية من القيادات الدينية المرجعية مألوفة ومقبولة وغير مسؤولة^{٢٩٥} .

وكان نقباء السادة العلويين إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري في الغالب يدرسون العلوم الدينية , ويصلون فيها إلى مقامات عالية بما يتناسب ودورهم الاجتماعي^{٢٩٦} .

وكان ممن درس في النجف الاشراف العالم الفقيه العاملي المشهور السيد (عبد الحسين شرف الدين) على الشيخ العراقي (علي الجواهري)^{٢٩٧} .

ورأس السيد (اسماعيل بن نصر الله بن محمد شفيع البحراني الغريفي) العلماء والقضاء والتعليم في جزء مهم من إيران بأمر السلطان القاجاري (ناصر الدين شاه) في القرن التاسع عشر الميلادي , وقد اصطحبه معه من النجف الأشراف . في اعتزاز بعلماء العرب الكبار , لاسيما المنتسبين لآل بيت النبي محمد^{٢٩٨} .

^{٢٩٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٢٣ □ ١٢٩ و ١٣٣ و ١٣٦ و ١٤١ □ ١٤٢ و ١٧٧ و ١٧٩

^{٢٩٦} تراجم الرجال , ج ١ , ص ٣٣٠

^{٢٩٧} تكملة طبقات أعلام الشيعة , الروضاتي , ص ٥١٧

^{٢٩٨} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ , ص ٢٦٦ □ ٢٦٨

ومن أمراء وأدباء القطيف الشيعة الكبار (احمد بن مهدي بن احمد بن نصر الله الخطي) في القرن الثالث عشر الهجري^{٢٩٩}. وكان الشيخ (حسن بن حسين بن محمد العصفوري البحراني) ممن تولى الإمامة والقضاء في (بوشهر) , وصار مرجعاً للإجازة في القرن الثالث عشر الهجري^{٣٠٠}. وكان السيد (عبد الله بن علي الموسوي البلادي) مرجعاً عاماً في (بوشهر) وما جاورها في القرن الثالث عشر الهجري^{٣٠١}.

بينما توقف سوق البحرين سبعة أيام بكل طوائفه لوفاة مرجع الشيعة في البحرين والاحساء والقطيف الشيخ (احمد بن صالح بن طعان البحراني) في العام ١٣١٥ هجرية , ولم تشهد جنازة تشييعاً شبيهاً في بلاد البحرين مثل جنازته , لا لحاكم ولا لعالم . وهو تلميذ الشيخ (مرتضى الانصاري) , وقد انتقل من البحرين إلى بلاد القطيف هرباً من فتنة (آل خليفة) التي وقعت بين الإخوة (علي بن خليفة) و (محمد بن خليفة) على الحكم , فخشي الشيخ (البحراني) من أعراب جيوش (آل خليفة) وجهالتها , واعتمادها السلب والنهب . فصار مرجع أهل (القطيف) بعد أن أجازته -لعلمه الغزير- الشيخ (محمد حسين الكاظمي) من العراق والذي كان يرجع معظم أهل القطيف إليه , لكنه عاد بعد ذلك وصار يتنقل بين القطيف والبحرين , حتى توفي في الأخيرة^{٣٠٢}. وكان (آل خليفة) يأتون بعلماء العامة من أقاليم أخرى إلى البحرين , كالأحساء مثلاً , كما جاءوا بالشيخ الحنبلي ثم المالكي (عبد

^{٢٩٩} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ , ص ٢٥١

^{٣٠٠} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ , ص ٣٧٥ □ ٣٧٨

^{٣٠١} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين , ج ٢ , ص ٤٠٥

^{٣٠٢} منتظم الدرر في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ج ١ , ص ١٠٥ □ ١١٥

العزیز بن عیسی بن جامع) ، وجعلوه إماماً لأحد جوامعهم في القرن الرابع عشر الهجري^{٣٠٣}. وقد كان أمير الأحساء والقطيف جميعاً الى مطلع القرن العشرين الميلادي (منصور جمعة باشا) يقيم مجالس الوعظ الحسينية ، وكان وجيهاً عند السلطان العثماني^{٣٠٤}.

وكانت الأسر العلمية الدينية العراقية العربية تتصاهر فيما بينها ، وتقود الحراك الاجتماعي بجمهة مشتركة في معظم العصور ، لا سيما في العهد الملكي ، كما في تصاهر عوائل (الاطيمش) من ربيعة مع (آل الشبيبي) و (آل الطريحي) ، وارتباطهم النسبي بوجوه سياسية وإدارية وتعليمية في مختلف مدن العراق . وكذلك (آل الاعسم) و (آل الحبوبى)^{٣٠٥}. و (آل الاطيمش) و (آل البلاغي) و (البيات) و (آل التغلبي) من اشهر العوائل العلمية والدينية من قبيلة (ربيعة) في القرن العشرين الميلادي . و(آل البلاغي) اسرة معروفة في الوسط العلمي منذ القرن التاسع الهجري . و(آل التغلبي) ، وهم نسل من أمراء قبيلة (ربيعة) عُرفوا منذ القرن الثاني عشر الهجري^{٣٠٦}. ومن قبيلة ربيعة أيضاً العائلة العلمية الدينية النجفية (الحجّامي = الحكامي) ، التي هاجرت من مدينة (سوق الشيوخ) لطلب العلم والاجتهاد في النجف الأشرف منذ زمان جدها الشيخ (طاهر) في القرن الثالث عشر

^{٣٠٣} منتظم الدين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين ، ج ٢ ، ص ٢٧٤

^{٣٠٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٤ ، ص ٣٣

^{٣٠٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٢ ، ص ١٣٦ □ ١٣٨ و ١٤٥

^{٣٠٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٢ ، ص ١٣٥ و ١٧٦ □ ١٧٧ و ٢٢٩ و ٢٣١

الهجري^{٣٠٧}. ومن العوائل العلمية الدينية النجفية من قبيلة (ربيعة) كذلك كانت عائلة (الدروغ) أو (الدراغ) , وقد كان بعضهم من سدنة الأماكن المقدسة^{٣٠٨}. كذلك من قبيلة (ربيعة) أسرة (آل سماكة) العلمية في مدينتي النجف الأشرف والحلة^{٣٠٩}.

وكان من مراجع التقليد غير العراقيين في النجف الأشرف في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي الميرزا (ابو القاسم بن محمد تقي الأردبادي)^{٣١٠}.

وكما كان ل(النخع) دورهم في الزخم العلمي والعملي للتشيع في القرون الإسلامية الأولى والوسطى , كان لهم دور كبير في هذا الزخم في القرن الرابع عشر الهجري في العراق , حين انتشرت منهم عوائل علمية وعملية كبيرة , مثل (آل كاشف الغطاء) و(آل شيخ راضي) , وخوولتهم لأسر ترعرع أبناؤها بينهم مثل السادة (آل بو طبيخ) , إذ كانت العائلتان النخعيتان من احوال أفراد هذه الأسرة العلمائية النجفية , فالأولى احوال الجد الاكبر المهاجر لأسرة السيد (راضي ابو طبيخ) , والثانية احوال ابنائه العلماء^{٣١١}.

^{٣٠٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٢٢

^{٣٠٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٠٧

^{٣٠٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٢٨

^{٣١٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١١١

^{٣١١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٥٧ □ ٥٨

وفي كثير من ذراري العوائل العلمية العريقة كان ينتقل العلم قرناً بعد قرن . ومن تلك
الذراري ذرية الشيخ (الصدوق محمد بن بابويه) , اذ كان هناك علماء متضلعون بالكتابة
والتأليف حتى القرن الرابع عشر الهجري , مثل الشيخ (محمد حسين الصدوقي)^{٣١٢}.

وقد كانت بداية القرن العشرين الميلادي الرابع عشر الهجري في النجف الأشرف والعراق
تشهد كثافة عددية للأساتذة الاجانب لا سيما الإيرانيين في المدارس العلمية الدينية , مثل
(آقا رضا الهمداني) و (الطباطبائي اليزدي) و (هادي الطهراني) و (الآخوند ملا علي



السيد جمال الدين الكلبايكاني

النهاوندي) و (محمد تقي الشيرازي) و (الآخوند الخراساني) و
(محمد حسين النائيني) و (مرتضى الكشميري) و (جمال الدين
الكلبايكاني)^{٣١٣}. وكان السيد (جمال الدين الكلبايكاني) في النصف
الأول من القرن العشرين الميلادي مرجعاً للتقليد في عموم إيران

وشيء من العراق والهند وباكستان^{٣١٤}. والسيد (هاشم محمد

علي الموسوي الحائري) أحد مراجع التقليد في كربلاء توفي ١٣٢٧ هجرية^{٣١٥} او ١٩٠٩ م.

^{٣١٢} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٢٠٦

^{٣١٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٨٨ □ ٨٩

^{٣١٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٨٩

^{٣١٥} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ٢٦٠

وقد كان من أسباب ضمور مدينة (قم) العلمية في القرون الوسطى انتشار أغلب علماء الشيعة في الفترة الصفوية والزندية في مدن سياسية واقتصادية مهمة اخرى مثل أصفهان وتبريز وشيراز . حتى جاءت الفترة القاجارية , حيث ظهر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي والربع الاول من القرن العشرين الشيخ (عبد الكريم الحائري اليزدي) الذي أعاد



الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي

للمدينة دورها العلمي والحضاري . إذ أن الضمور لم يصب المؤسسة العلمية الدينية في إيران فعلا , بل تغيرت مراكز تناول ذلك العلم فقط . وكان الدور الذي لعبه الشيخ (الحائري) مهماً وموزوناً في حفظ المؤسسة العلمية الدينية من بطش التغييرات السياسية التي عصفت بإيران في فترة انقلاب (بهلوي) على السلطة القاجارية , حيث انتقل

الشيخ (الحائري) بعيداً عن مراكز المدن السياسية وأثر عدم الدخول في عالم السياسة , كمقدمة معقولة لتجنب القسوة والبطش والإرهاب الأمني الذي شهدته حكم (بهلوي) . لكنّ الشيخ (الحائري) أسس منظومة علمية رصينة استمرت بعده , وكان من ثمرتها طلبته الشيخ (محمد رضا الكلبيكاني) الشخصية العلمية المعروفة , والسيد (روح الله الموسوي الخميني) قائد الثورة الإسلامية ضد النظام البهلوي , والذي أعاد للإسلام حركته الإحيائية

، وكان المعادل الموضوعي الناشط لمرجعية (الخوئي) غير الفاعلة في العالم الإسلامي الشيعي^{٣١٦}.

فيما كان المراجع غير العرب في العراق يسارعون إلى الصلاة على جنائز العلماء العراقيين الكبار من القادة الميدانيين ، لما لهؤلاء العلماء الراحلين من مكانة توجب صلاة المراجع عليهم ، ولما يؤكد ذلك الفعل من إتباع لا ارادي في لا وعي الجمهور تجاههم ، فيظنهم الجمهور قادة كبار لذلك استحقوا الصلاة على جثامين قاداته الميدانيين الكبار ، والعالم لا يصلي عليه إلا عالم^{٣١٧}.

وعلى الأرجح أن العلماء غير العرب كانوا يدرسون بلغات أخرى غير العربية ، أو أن هناك سبباً آخر جعل الطلبة العرب في بداية القرن العشرين الميلادي يدرسون على شكل حلقات عربية إلى جانب حلقات أخرى غير عربية . مما عزز الفصل بين المجتمعين^{٣١٨}.

وإذا كانت المجالس الأدبية في علاقاتها عكسية مع الروح الميدانية القتالية ، فإن الهجرة والغربة إذا انضمت إليها تجعلها تنتج مرجعيات دينية بعيدة عن الوسط الشعبي في العراق

^{٣١٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، ص ٣١١ □ ٣١٣

^{٣١٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٣ ، ص ١٣٨ □ ١٥٠

^{٣١٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٣ ، ص ١٨٠

، وهذا تسبب في تركيز المرجعيات الدينية المدرسية في مدينة النجف الأشرف بزيادة العنصر الأجنبي واتساع مدارسه ، وبالتالي ضعف دور المرجعيات الدينية الميدانية القيادية^{٣١٩} .

ولقد كانت الثورة الدستورية (المشروطة) في إيران نتيجة لضغط علماء الدين المجتهدين على الحكومة الاستبدادية التركمانية القاجارية (١٧٩٤ - ١٩٢٥ م) ، الخاضعة للبريطانيين والروس ، بعد عدة انتفاضات شعبية في الأعوام ١٨٩١ - ١٨٩٢ م . وكانت هذه الثورة حصيلة حراك جماهيري ديني منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، شارك في قيادته والتنقيف له مجتهدون مثل السيد (محمد الطباطبائي) و (عبد الله البهبهاني) و (هادي نجم آبادي) ، ثم الميرزا (محمد حسين النائيني) ، والشيخ (الآخوند محمد كاظم الخراساني) .



الشيخ هادي نجم آبادي



السيد عبد الله البهبهاني

^{٣١٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ١ ، المقدمة

وقد تولى زعامة الحوزة العلمية في (قم) بعد رحيل الشيخ (عبد الكريم الحائري) في منتصف ثلاثينات القرن العشرين السيد (صدر الدين الصدر) إلى منتصف الخمسينات , والذي نمت في عهده مؤسسة (قم) العلمية في البنى التحتية , ونشطت في كوادرها حتى ارتفع عدد الطلبة



السيد صدر الدين الصدر واولاده

من ثلاثمئة في زمان (الحائري) إلى عدة آلاف. كذلك كان من ثمار السيد (صدر الدين الصدر) ولداه , السيد (رضا الصدر) أحد الأساتذة المجتهدين في حوزة (قم) ,

والسيد (موسى الصدر) الزعيم الكبير في تاريخ لبنان المعاصر والذي لعب دوراً سياسياً واجتماعياً كبيراً لإنقاذ اللبنانيين في السبعينات^{٣٢٠}.

فيما كان للتجار الإيرانيين دور مهم في انكفاء ثورة المشروطة الدستورية , بعد اعتراضهم على منح القاجاريين امتيازات خاصة للاوربيين من روس وبريطانيين . فيما خسرت الصناعات الوطنية الإيرانية قدرتها على منافسة الاسعار المنخفضة للسلع الأوروبية. حتى أن الجمارك كانت تدار من قبل شخص بلجيكي , قام أخيراً في حفلة تنكرية بارتداء زي

^{٣٢٠} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣١٣ □ ٣١٤

رجال الدين المسلمين , مما فجر ثورة شعبية انطلقت من مسجد (الشاه عبد العظيم) , طالبت بإقالة رئيس الوزراء , وتأسيس مجلس نيابي يمثل الشعب الإيراني^{٣١}.

واستمرت الثورة الدستورية المشروطة في إيران القاجارية من ١٩٠٥ إلى ١٩١١ م , ضد ثلاثة شاهات قاجاريين , يقودها رجال الدين المجتهدون والخطباء العاملون والتجار المخلصون . وكان وجه هذه الثورة ومفاوضها هو المرجع الديني المقيم في النجف الأشرف الملا (محمد كاظم الخراساني) , بالإضافة للشيخ (عبد الله المازندراني) . يسانداهم علماء إيران والعراق الشيعة الواعون العاملون (هبة الدين الشهرستاني , جواد الجواهري , احمد الصافي , عبد الكريم الجزائري , محمد علي بحر العلوم , محمد حسين كاشف الغطاء , محمد رضا الشيببي , علي الشرقي) , معتمدين في كثير من الأحيان على كتابات الشيخ (محمد حسين النائيني) السياسية .



الشيخ جواد الجواهري , السيد ابو الحسن الاصفهاني
, الشيخ محمد حسين النائيني يسار

^{٣١} موقف المرجعية الدينية في النجف الأشرف من الثورة الدستورية في إيران , د. محمد هاشم خويطر , كلية التربية - الجامعة

المستنصرية , مجلة الآداب , ع ١١٥ , ٢٠١٦ م , ص ٢٠٣ □ ٢٠٩



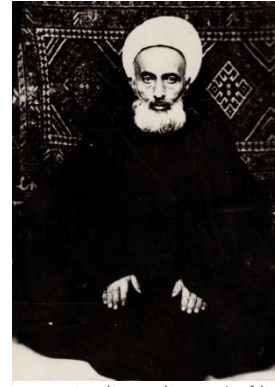
الشيخ عبد الله المازندراني
(صورة متداولة)



الشيخ محمد رضا الشيبيني



الشيخ علي الشرقي



الشيخ عبد الكريم الجزائري

فيما كان يعارضها مجموعة من رجال الدين المتصفين بصفة الخمول والغفلة ، وعلى رأسهم مرجعية دينية مشهورة للأسف ، خذلتهم ، كما خذلت العراقيين عند دخول البريطانيين ، تمثلت في السيد (محمد كاظم اليزدي الطباطبائي) . وكان أصحاب هذا الاتجاه غير متورعين ، يثيرون العواطف المنافقة ، ويهيجون عواطف العوام ضد العلماء الأعلام . وكان بعض مثقفي إيران وفضلائها يقفون موقفاً سلبياً من حركة (المشروطة) السياسية لا لأنهم يريدون

الاستبداد بل لأنهم لا يفهمون معنى الأنظمة الجماهيرية الحديثة , فيجعلون الحكم البرلماني تشبهاً بالنصارى والكافرين , وهؤلاء كانت لهم مواقف سلبية في بلاد المسلمين , وبالتالي وصلوا في تضادهم مع العلماء من دعاة المشروطة إلى حد إخراجهم من حدود الملة عمليا , ومن هؤلاء ميرزا (لطف علي صدر الأفاضل) , الذي كان نموذج المثقف والأديب النظري المنعزل عن الميدان والزمان^{٣٢٢} .

في الوقت الذي كانت تدعم فيها بريطانيا نظام الشاه القاجاري المستبد (محمد علي) سياسيا , وتدعمه روسيا عسكريا , حتى دخلت الاولى مدينة (بوشهر) بقواتها , ودخلت الثانية طهران وتبريز . وكانا يماطلان وينافقان الثوار ومراجع الدين .

بينما كان موقف السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) ومن بعده (محمد الخامس) فاشلاً متخاذلاً , رغم لجوء رجال الدين إلى عونه , بغضاً منهم لوجود القوات الأجنبية غير المسلمة في أراضي إيران .

وكانت وفود العلماء من مرجعيات الدين في النجف الأشرف تناور في كل مكان محلي ودولي , لكنها اصطدمت بواقع نفاق تلك الدول ومساندتها للاستبداد . كما أنها ردت بصراحة مطلقة على محاولة الشاه القاجاري استغلال الدين لرفض دستور المجلس النيابي , حيث

^{٣٢٢} تراجم الرجال , ج ٢ , ص ٣١٣

رأت أن تمثيل الناس في ذلك المجلس وخضوع الحاكم لسلطة القانون هو الأقرب إلى أحكام الإسلام , وليس ما يدعيه الحاكم القاجاري. فكانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف وفي إيران انضج وأصح سياسياً من مجموع الدول الأوروبية والقاجارية والعثمانية في ذلك الحين . وقد هددت الشاه بإعلانها الجهاد إذا لم يعط حقوق الناس ويرفع المظالم عنهم , وإذا ابقى القوات الأجنبية في بلاد إيران . لكنّ الشاه القاجاري أصر على الظلم والاستبداد , وهتك الحرمات , مستعيناً بالقوات الروسية لضرب المسلمين , ومعتمداً على دعم البريطانيين السياسي له . وقام بانزال القوزاق الروس إلى طهران , وضرب المجلس النيابي الدستوري بالمدفعية مدة سبع ساعات , حتى راح ضحيتهم المئات . وظل يناور المرجعيات الدينية , التي كانت تعي نفاقه , وترد على وعوده الكاذبة بصراحة وقسوة . وقد عقدت روسيا وبريطانيا اتفاقية ١٩٠٧م لمواجهة الدستوريين الإيرانيين . حتى بلغت المرجعيات الدينية مرحلة اليأس من صلاحه , وقربت من إعلان الجهاد ضد نظامه , وضد القوات الأجنبية الساندة له , لا سيما الروسية , عرض الروس والبريطانيين عليه دعمه مالياً إذا قبل بالمرونة مع الثوار , بعد أن بلغت الثورة من قوتها تهديد مصالح تلك الدولتين . لكنّ المرجعيات الدينية كانت اوعى منهم , ورفضت انصاف الحلول تلك , واعلنت الجهاد ضد نظام الشاه القاجاري (محمد علي) , واستجاب لها الإيرانيون , وآلاف العراقيين . إلا أن المجاهدين الدستوريين الإيرانيين دخلوا طهران , وعزلوا الشاه , الذي فر هارباً إلى دار السفير الروسي , فنصبوا ابنه الصغير , وجعلوا الوصاية عليه , فلم تعد من حاجة لمجيء

العراقيين . وأسس الثوار المسلمون واحداً من أقدم المجالس النيابية في المنطقة , كان علني
الجلسات , تستطيع الجماهير حضور جلساته^{٣٣٣}.

وقد أفتى (الآخوند الخراساني) بوجوب العمل السياسي بشكل ديمقراطي من خلال
المجالس النيابية , وحرية الصحافة , وفتح المدارس . كما أفتى بجهاد المسلمين ضد السلطان
الدكتاتوري , الذي كان ممثلاً بشخص الشاه (محمد علي القاجاري) حينها , وهو ما كانت
تفتقده بقية فروع مذاهب المسلمين من ضرورة التخلي عن الحاكم الظالم حتى إذا كان من
نفس مذهب العالم , لاسيما من مرجعية عملاقة كمرجعية (الآخوند)^{٣٣٤}.

في وقت كان ٩٥٪ من مشاهير تلامذة المرجع الكبير للشيعة في النجف الأشرف في الثلث
الآخير من القرن التاسع عشر الميلادي الملا (محمد كاظم الخراساني الآخوند) من غير العرب
, أو غير العراقيين , وهو ما يجعل الاهتمام بالشأن العراقي في ذلك العصر الحرج أقل من
المطلوب . كما أن ذلك رهن العراق والعالم الإسلامي الشيعي كله لاحقاً بسلسلة من
المرجعيات الإيرانية والاذرية لأكثر من قرن من الزمان^{٣٣٥}.

^{٣٣٣} موقف المرجعية الدينية في النجف الأشرف من الثورة الدستورية في إيران , ع ١١٥ , ٢٠١٦ م , ص ٢١٠ □ ٢٢٧

^{٣٣٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١٤

^{٣٣٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١٣

بينما كان السيد (محمد كاظم اليزدي) ، وهو مرجعية كبيرة في حينه ، يرى التمسك بالسلطة الفردية الدكتاتورية ، على عكس ما كان عليه الرأي الديمقراطي للشيخ (محمد كاظم الخراساني) وأكثر علماء ومفكري ونخب الشيعة^{٣٢٦} .

والغريب أن (اليزدي) كان على علاقة جيدة بدولة الاستعمار البريطاني لاحقاً التي تدعي دعم الديمقراطيات الناشئة . ولا يمكن فهم كيف صار (اليزدي) مرجعاً كبيراً قبلته الأمة من الأساس ، لولا ما كانت عليه النخب العراقية من فوضى مواجهة قوى معادية متعددة ، تركية ، ووهابية ، وبريطانية . بينما كان (احمد اغا) ابن (الآخوند الخراساني) من المجاهدين ضد الاحتلال البريطاني في ثورة العشرين ، وعاد بصحبته الملك (فيصل) من الحجاز ، لكنه بالطبع لن يكون بحماسة العراقي على بلده ، فهاجر وسكن بلاد إيران لاحقاً^{٣٢٧} ، حيث شارك الشيخ (احمد الكفائي) ابن المرجع الشيخ (محمد كاظم الاخوند الخراساني) صاحب كتاب (كفاية الأصول) في الثورة العراقية ضد البريطانيين ، وحُكم عليه بالإعدام ، لكنه خرج إلى مكة فيمن خرج من رجال الدين إلى مكة أو إيران ، ثم عاد إلى العراق وشارك في الحركة السياسية بخصوص المجلس النيابي في العهد الملكي في حدود سنة ١٩٢٣ م ، فتم نفيه إلى إيران ، وعاش في المشهد الرضوي مرجعاً ومدرساً ، مهتماً بالأمر السياسي إلى آخر حياته في إيران^{٣٢٨} .

^{٣٢٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٢ ، ص ١٥

^{٣٢٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٢ ، ص ١٧

^{٣٢٨} تراجم الرجال ، ج ١ ، ص ١٣٨ □ ١٣٩

وفي الوقت الذي كان فيه رجال الدين العرب كثيري الحماسة والتفاعل مع الاحداث في ايران , كان الكثير من رجال الدين الإيرانيين اكثر جدية مع الحدث الإيراني فقط . فقد سعى السيد (عبد الله بن اسماعيل بن نصر الله الموسوي الغريفي) البحراني الأصل , تلميذ المجدد (محمد حسن الشيرازي) والشيخ (راضي) والسيد (حسين الترك) في العراق , إلى تطبيق الدستور للقضاء على الاستبداد في إيران في القرن الرابع عشر الهجري . فكان زعيم علماء طهران حتى استشهد^{٣٢٩} .

وكانت هناك محاولات مرصودة شعبياً ومذكورة إلى العهد الملكي في العراق من قبل الدولة العثمانية التركية لتشتيت مدرسة العلم الإسلامية الشيعية التي أسسها الميرزا (محمد



صورة متداولة للسيد اسماعيل الصدر

حسن الشيرازي) , والتي أنتجت تلامذة صاروا مراجع معروفين مثل الشيخ (محمد تقي الشيرازي) والشيخ (محمد حسين النائيني) والسيد (اسماعيل صدر الدين العاملي الكاظمي) , وقد نجحت تلك المحاولات اتفاقاً مع الظروف المحيطة حينذاك , وعدم اتفاق أهواء تلامذة الميرزا الشيرازي , فتشتت واندثرت تلك المدرسة لاحقاً لا سيما

مع انتقال كبار علمائها إلى مدينة كربلاء في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي^{٣٣٠} .

^{٣٢٩} منتظم الدين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين , ج ٢ , ص ٣٥٠ □ ٣٥٢

^{٣٣٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١١٤

وقد دخل (الخراساني) و (اليزدي) في صراع , سرعان ما فشا بين اتباعهم , ثم بين طبقات المجتمعين العراقي والىراني , بتأثير تكوينهما الشخصي , وبفعل تأثير موقف (الخراساني) المؤيد لثورة (المشروطة) الدستورية الحقوقية في إيران , وموقف (اليزدي) الذي وفرّ جواً مناسباً لتحقيق الاختراق اللازم لتحقيق المصالح الحكومية الإيرانية والعثمانية والبريطانية والروسية المناهضة لأي تحرك حقوقي شعبي في المنطقة . وقد شعر أنصار (اليزدي) بخيبة الأمل عند كل انتصار دستوري حقوقي في الدولتين العثمانية والإيرانية , حتى وفاة (الخراساني) في العام ١٩١١م^{٣٣١}.

وبعد رحيل (النائيني) كان انفراد (اليزدي) بزعامة المجتمع الشيعي في واحدة من أحلك فترات تاريخه المعاصر , في ظل سياسة خانعة . فكان وجوده فرصة لاحتلال العراق من قبل البريطانيين , بعد انهيار أغلب التحالفات القبليّة الكبيرة على يد العثمانيين الطائفين , ولم تتحرك الجموع العراقية بصورة مشتركة لمقاومة الاحتلال البريطاني وتحصيل حقوقها الا بعد وفاة (اليزدي) في العام ١٩١٩م . وكان طلاب العلوم الدينية في النجف الأشرف من الأجانب والعراقيين قد بلغ نحو اثني عشر ألفاً قبل الاحتلال البريطاني , وهو عدد كبير في تلك الفترة^{٣٣٢}.

^{٣٣١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٢٨

^{٣٣٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٢٨

وفي الوقت الذي كانت جحافل البريطانيين تنزل إلى مياه الخليج ومياه البصرة في العام ١٩١٤ م , وقد انفرد الشيعة من العرب بنصرة الدولة العثمانية , بعد أن أصدر فقهاء الشيعة فتاوى وجوب قتال القوات الغازية الكافرة , وقاد الكثير من العلماء الشيعة وزعماء القبائل العربية الكبيرة جموع للمجاهدين أمام الانكليز واستشهد منهم الكثير , وكان على رأس تلك القوى السيد (محمد سعيد الحبوبى) , غدر العثمانيون - الطائفون المعروفون بعداوتهم الشديدة للشيعة وافراطهم في نهب ثرواتهم لقرون - بعرب العراق الشيعة عبر احتلالهم مدن النجف الأشرف وكربلاء المقدسة عند المسلمين الشيعة وتخريبها أشد الخراب في العام ١٩١٥ م , لكن أهالي المدينتين انتصروا على القوات العثمانية وطردوها وحكموا مدنهم لثلاث سنوات أخرى بصورة مستقلة , ثم غدر وخذع العثمانيون علماء وأهالي كربلاء ودخلوها وسبوا نساءها في العام ١٩١٦ م . فاضطر السيد (هادي القزويني) لاستنفار عشائر الشيعة العربية والزحف لاسترداد (الحلة) , وبالتالي القتال على جبهتين , البريطانية والعثمانية . حتى سقطت بغداد بيد البريطانيين في العام ١٩١٧ م , فشعر سنة العراق بالحجم الحقيقي لشيعة العراق في ظل غياب الجيوش العثمانية عنهم , لا سيما بعد المواقف القتالية الباسلة للشيعة على الجبهتين البريطانية والعثمانية , والقيادة الميدانية التي كان عليها أولئك العلماء , واضطراب الحاكم البريطاني (برسي كوكس) للقاء الزعيم الشيعي الشيخ (محمد تقي الشيرازي) في مدينة (الكاظمية) في العام ١٩١٧ م , فحضر السنة مجالس الشيعة ومناسباتهم , وتقربوا إلى علمائهم , لولا أن بريطانيا كانت قررت منح السلطة لتلك الطائفة خلف الكواليس , وهو شبيهه ما حدث بعد سقوط نظام (صدام

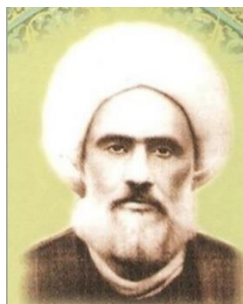
حسين) الطائفي في العام ٢٠٠٣ م , لولا أن منح الأمريكان الفرصة للطائفة السنية بركوب موجة الإرهاب . إذ بلغت المواجهة السياسية والأمنية ذروتها حين اغتال أهالي النجف الأشرف القائد البريطاني (مارشال) ومجموعة من جنوده في العام ١٩١٨ م , ففرضت بريطانيا الحصار على المدينة لأكثر من عام , منعت فيه الماء والطعام , حتى تم تسليم المطلوبين واعدامهم شنقاً أمام الناس , ونفي مجموعة من أهالي النجف إلى الهند .



وهذه الأحداث تكشف عن معنيين , أن القوى الشيعية افتقدت إلى تنظيم مركزي ينسق حركاتها الأمنية والسياسية والثورية , ويضبط ردود الفعل المطلوبة والانية , والثاني أن البريطانيين نجحوا في فرض إرادتهم المؤقتة على القيادات الشيعة وكسروا تلك النفس الجمعية المقاومة بنحو ما , مما منح القوى السنية الرغبة في الظهور كبديل موضوعي أمام البريطانيين^{٣٣٣} .

^{٣٣٣} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٥٧ □ ٢٦٥

حينها لم يكن لمرجعية الشيخ (محمد تقي الشيرازي) ذلك النفوذ المهم , ولا للشيخ (مهدي الخالصي) , لكنّ الوضع السياسي والقبلي جعل الاستعانة بالشيخ (محمد تقي الشيرازي) أمراً لا مفر منه من قبل القبائل العراقية الشيعية , مما أعطى فرصة انتشار لمرجعيته لم يُكتب لها الاستمرار بسبب وفاته في نفس سنة توقيعه على بيان إعلان الثورة العراقية الكبرى في العام ١٩٢٠م مع مجموعة من زعماء القبائل العراقية الكبيرة الذين استقدموه إلى مدينة كربلاء^{٣٣٤}. فمرجعية الشيخ (محمد تقي الشيرازي) لم تصنع قرار ثورة العشرين في الحقيقة , بل ذلك القرار القبلي العراقي – الذي لم يجد الاستجابة المتوقعة في النجف الأشرف – هو الذي فتح لها باب الانتشار .



الشيخ مهدي الخالصي

ففي العام ١٩٢٠م قررت عشائر الفرات الأوسط الشيعية أن تثور بوجه التعسف البريطاني وعلى اعتماد قوى الاحتلال إدارياً على فئات محلية غير مقبولة اجتماعياً , وعلى تنميتها لفئات تجارية غير أخلاقية تسببت بالغلاء . فاستدعى الثوار المرجع الشيخ (محمد تقي الشيرازي) من سامراء إلى كربلاء لإعلان الثورة , لكنه توفي في ذروة تلك الثورة ,

^{٣٣٤} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٢٣ □ ٢٣٦

فأشرف عليها بعده (شيخ الشريعة فتح الله الأصفهاني) ، الذي سرعان ما توفي هو الآخر في نفس السنة ، ليخلفه في الزعامة الدينية ثلاثة مجتهدين (حسين النائيني ، مهدي الخالصي ، ابو الحسن الأصفهاني) . ففقدت الثورة الجهة التي تشرف على جمع خيوطها الأمنية والسياسية . وكان هؤلاء الثلاثة غير جادين بمشروع سياسي لشيعة العراق ، لا سيما بعد تنصيب البريطانيين للحجازي (فيصل) ابن الشريف (حسين) ملكاً على العراق ، فحرّم (الخالصي) الدخول في الوظائف الحكومية ، وحرّم (النائيني) و (الأصفهاني) الدخول في الانتخابات ، فكانت خسائر مضاعفة للقوى الشيعية الأقوى ، وأرباح سياسية بالجملة للقوى السنية الضعيفة ، وتناغماً غير مقصود مع الرؤى السياسية المريضة للبريطانيين . فتم تهجير المرجعيات الإيرانية إلى إيران ، بدعوى أنها غير عربية تتدخل في الشأن العراقي ، في أولى ملامح القومية العربية ، وفي خطوة بريطانية عززت الرؤى الجاهلية لحكم القبائل والدم بعيداً عن المدنية ، حتى تعرضت مصالح البريطانيين للخطر في إيران ، فقرروا إرجاع تلك المرجعيات في العام ١٩٢٤م مقابل تعهدها بعدم التدخل في السياسة ، وهو ما حصل فعلاً طيلة وجود (النائيني) و (الأصفهاني) في زعامة المرجعيات الدينية ، في قمة من اللامبالاة والنرجسية^{٣٣٥} .

^{٣٣٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ٢٥٧ □ ٢٦٥

وهذا التغيير في هيكلية المرجعية الدينية في العراق لا يلغي الجهود التي قام بها الإيرانيون لخدمة المذهب العلوي ، او اخلاصهم ، لكن توجد لا شك ثقافة عملية مختلفة ترتبط بعمق التاريخ . فقد بلغ سعي الإيرانيين من ملوك الصفويين ثم السلالات الكردية ثم القاجاريين وتجار تلك البلاد في إعمار وتذهيب وتوسيع مرقد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب أن بذلوا المبالغ الكبيرة جداً والجهود المادية والمعنوية والمهارات الفنية الدقيقة في سبيل ذلك ، بما لم تسهم بمثله الحكومة العثمانية أو الحكومة العراقية الملكية . كما كانت هناك مساهمات فردية من العراقيين ، مثل مساهمة والدة الزعيم القبلي (عبد الواحد آل سكر) بمبلغ كبير في التبرع لإعمار المرقد الشريف^{٣٣٦} . بينما كان أحد ملوك الزندين في إيران في القرن الثالث عشر الهجري وهو (محمد جعفر بن محمد صادق) يكتب على الصندوق الخاتمي الذهبي الذي أهدها إلى مرقد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عبارة " كلب عتبة أمير المؤمنين " . فيما منح سلطان بلاد إيران القاجاري المجتهد العراقي الشيخ (جعفر الحويزي الحلفي) لقب "شرع الإسلام" ليظل اسماً لعائلة الشيخ ، مما يشير إلى انعدام الحساسية القومية بين شيعة العراق وإيران حينئذ^{٣٣٧} .

ومن قبائل (خيكان) أيضاً من عشيرة (آل جويبر) المعروفة في العراق الملكي كانت عائلة (الصغير) العلمية الدينية النجفية ، حيث كان جدهم الأكبر المهاجر الى النجف الأشرف الشيخ (ذياب) ابن زعيم تلك العشيرة ، الذي انتقل بعد دراسته إلى العمل الديني الميداني في

^{٣٣٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ١ ، ص ٢٢٠ □ ٢٤٨

^{٣٣٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٤ ، ص ١٦٤

(العمارة) . ومن أولاده الشيخ (شبير) الذي أصبح مرجعاً ميدانياً لعشيرته ومنطقته , ورجعت إلى حفيدهم بالتقليد والفتوى ديار (المحمرة) وما جاورها , ثم كان الرجوع إلى أخيه الشيخ (عيسى) في نفس المناطق في زمان الشيخ الأمير (خزعل الكعبي) , ثم رجعت الناس بعدهم إلى ولدهم , وصاهر بعضهم الولاة القاجاريين في شيراز وصار رئيساً للعلماء فيها , وكان لهم دور في نشر العلوم الدينية المحمدية العلوية في بلدات العراق من (المنتفك) والنجف الاشرف والعمارة والاهواز وشيراز وغيرها , لا سيما أن العمل في في مدن وقرى العمارة والاهواز حينها كان يتطلب جهداً مضاعفاً وفهماً وسياسة ميدانية . حيث تفرع عن نسل الشيخ (زياب الجوبيراوي) عدة أسرة علمية مثل (آل شيخ زياب) و (آل شبير) و (آل الصغير) الذي استمر لقباً لهم^{٣٣٨} .

وكان مما ساهم في غلبة المرجعيات الدينية غير العربية على العربية انشغال القادة ورجال الدين العرب بمشاكل وهموم مجتمعاتهم , لما اعتادت عليه المجتمعات العربية من تلاحم وتعاضد ومشاركة , وما ورثه رجال الدين العرب من فكر شيوعي تلاحمي , على عكس الاهتمامات وطرق الحياة الفردية لغيرهم , التي منحتهم فرصة أكبر للدرس وقدرة أوسع للبروز. كذلك انشغال النخب الاجتماعية الفاعلة في المدن الفاعلة بمجريات الثورة والسياسة عن تناول قضية المرجعية الدينية بشكل جاد .

^{٣٣٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٩٧ □ ٢٠٥

فقد طرد (الزكارتة) –الذين استأثروا بحكم غالبية أحياء مدينة النجف □ و(الشمارتة) – الذين حكموا بعضها – جميع القوات العثمانية المحتلة في العام ١٩١٥ م , بعد اشتراكهما في الثورة ضدها . لكن قضت عليهما القوات البريطانية بعد احتلالها العراق , باستخدام سياسة التفرقة والنعرات^{٣٣٩} .

فيما كان مثلاً السيد (عبد الرزاق بن علي بن حسن الحلو الجزائري) مرجعاً عملياً للتقليد في احوار ومدن جنوب العراق , وقاد عمليات الجهاد التي أفتى بها ضد الإنكليز عند بدء دخولهم إلى العراق في مدينة البصرة وفي (القرنة) بالتحديد في العام ١٩١٤ م , إلى جانب ما قام به السيد (محمد سعيد الحبوبى) , وكان السيد (الحلو) يقود بنفسه معظم المعارك غير المتكافئة تقنياً ضد الأجانب , إلى جانب الأمير (حسك آل مبارك) زعيم قبائل (الإمارة) من (ربيعة) في (المدينة) , حتى انكسر العثمانيون وهربوا من إلى الجنوب إلى (كوت الإمارة) , فالتحق بهم السيد (الحلو) والأمير (حسك آل مبارك) بقواتهم واستقبلهم العثمانيون استقبالاً حاشداً , حتى انكسر العثمانيون مرة أخرى وهربوا إلى شمال العراق وتركوا شيعة العراق بلا ناصر وبلا سلاح مناسب وبلا تنظيم معقول بعد أن ساهموا في إضعافهم لقرون . حتى توفي السيد (عبد الرزاق الحلو) في النجف الأشرف التي كان أهلها يعظمونه ويجلوناه وجميع أهل العراق كذلك لما اتصف به من شمائل كريمة وسخاء وشجاعة , واضطر الإنكليز المرعوبون في جنازته إلى تحيتها وانزال العلم من على سراي الحكومة حين مرورها^{٣٤٠} .

^{٣٣٩} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٦

^{٣٤٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٤١ □ ١٤٥



السيد عبد الرزاق الحلو (صورة
متداولة)

وكان السيد (محمد رضا الحلو الجزائري) ابن عم المرجع المجاهد السيد (عبد الرزاق الحلو الجزائري) وعميد الأسرة بعده مجاهداً معه ضد الإنكليز , ثم صار قائداً ميدانياً في ثورة العراق الكبرى في العام ١٩٢٠ م , فتم نفيه مع مجموعة من العلماء إلى إيران , ثم عاد مريضاً أجاب داعي ربه سريعاً . كما كان السيد (عبد الحسين الحلو) ابن اخت السيد (عبد الرزاق الحلو) أحد أهم القادة الميدانيين ومعتمداً عاماً لصاحب فتوى الثورة العراقية الكبرى (محمد تقي الشيرازي)^{٣٤١}.

وقيام السيد (محمود بن عبد المحسن الحلو) وهو ابن شقيق المرجع السيد (عبد الرزاق الحلو) ببناء المسجد الجامع في مدينة (العزير) عند أطراف العمارة والاقامة فيها حين مر عليها ورأى المسلمين مستضعفين فيها وأن السيطرة فيها لليهود في النصف الأول من القرن

^{٣٤١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٥٢

العشرين الميلادي , مثال على القيادة الدينية الميدانية التي العوائل العراقية الدينية العاملة والتي كانت ستوفرها مثل هذه العائلة لو تُنبت لها وسادة المرجعية^{٣٤٢}.

بينما قاد المرجع الشيخ (باقر بن علي آل حيدر) آلاف المجاهدين من لواء (المنتفك) في جهادهم ضد الإنكليز في ١٩١٤ م , حتى حين اصابه المرض أبى ترك ساحة المعركة أو إشغال المجاهدين بجنائزته .

ومن الواضح الجلي أن انشغال المراجع العرب العراقيين مثل السيد (عبد الرزاق الحلو) و الشيخ (باقر آل حيدر) وغيرهم بداعي الجهاد ضد الإنكليز وقيادتهم الميدانية للحروب ولم شمل الناس في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي , اعطى الفرصة الكاملة لبروز وصعود نجم المرجعيات الدينية غير العراقية المتواجدة في النجف الأشرف.

في الوقت الذي كانت منشورات واخبار التحريض والثورة ضد الحكم العثماني ينشرها في العراق -عن طريق البضائع- على ما يبدو من اسمائهم أشخاص مسيحيون أو يهود , هم الصيدلي (داود فتو) وتاجر الآثار الأدبية (اسكندر) , وكذلك الجهات الأجنبية المشرفة على اتصالات البرق في البلاد , ويغذيها في جنوب العراق زعيم المجتمع السني في البصرة (طالب باشا النقيب) , الذي حظيت أسرته لاحقاً بدعم البريطانيين وتشكيل الحكومة العراقية الأولى , كما حظيت سابقاً بامتيازات العثمانيين^{٣٤٣}.

^{٣٤٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٥٩

^{٣٤٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٧٩

بينما انشغلت واحدة من اكبر العائلات الدينية العراقية الهاشمية , وهي عائلة (آل بحر العلوم) , بالجهاد والعمل السياسي عن التفرغ التام للمرجعية الدينية المطلقة . اذ قاد السيد (محمد علي بن السيد علي نقي بحر العلوم) الثورة العربية ضد الحكم العثماني , وفي ١٩٢٠ □ ١٩٢٢ م قاد الثورات ضد الاحتلال البريطاني , واخضع المناطق الجبلية الصعبة في شرق العراق في لرستان , وقد ضيق عليه البريطانيون , حتى تم إجبارهم على القبول بالحكم الوطني العراقي^{٣٤٤} . فيما اشترك زعيم مدينة كربلاء السيد (محمد مهدي بن حسن بحر العلوم) في حكومة (عبد الرحمن النقيب)^{٣٤٥} .



السيد عبد الرضا الخرسان (صورة متداولة)

كذلك انشغلت عائلة علمية دينية ضخمة أخرى , هي عائلة السادة (الخرسان) , بنفس المسؤوليات في مطلع القرن العشرين . حيث كان للسيد (عبد الرسول بن محمد حسين الخرسان) و (عبد الرضا الخرسان) دور مهم في استنهاض المجاهدين في منطقة السماوة الجنوبية وغيرها لقتال الإنكليز عند دخولهم العراق في ١٩١٤ م . كذلك كان من هذا البيت المجاهد السيد (عبد المرتضى بن موسى الخرسان) الذي جاهد ضد الإنكليز في عربستان والفرات الأوسط^{٣٤٦} .

^{٣٤٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٥٤

^{٣٤٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٥٣

^{٣٤٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٨٣ □ ٨٥

فيما قاد المرجع الديني السيد (محمد سعيد الحبوبي) جيش أهل العراق من الفرات الأوسط والجنوب للقتال ضد الإنكليز منذ دخولهم أرضه حتى وفاة السيد (الحبوبي) في ١٩١٥ م وهو في أرض (الناصرية) من إقليم (المنتفك) الجنوبي بين جنوده^{٣٤٧}.



تمثال يرمز للسيد الحبوبي في محافظة ذي قار جنوب العراق



السيد محمد سعيد الحبوبي مع المجاهدين من عشائر العراق

^{٣٤٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٤٩

وكان من قادة الجهاد ضد الإنكليز في جنوب العراق المجتهد الشيخ (عبد الحسين بن عبود آل شحتور) الخزاعي نسباً الأُسدي انتساباً الحجاجي موطناً . وقد كان مشروع مرجعية عراقية فذة لولا الانشغال بالجهاد ثم التواجد في ديار عشيرته^{٣٤٨}.



الشيخ رحوم الظالمي

قاتل الشيخ الفقيه (رحوم -رحمة الله- بن جواد الظالمي) القوات التركية ثائراً , ثم قاتل القوات الانكليزية مرتين , مرة في ١٩١٤م في الشعبية , ومرة في ١٩٢٠م في الثورة العراقية الكبرى , بصحبة أخيه الشيخ (عبد الصاحب الظالمي) , وكان معتمد العلماء والمجاهدين , وابن أسرة دينية كبيرة^{٣٤٩} . وهو

من عشيرة واعية , كان يمكنها تغيير مسار المرجعية الدينية النجفية لولا انشغالها الميداني . ان كانت قبائل (بني حجيم) في (السماوة) , لا سيما (آل جياش) و (آل عبس) و (الجوابر) اول من اطلق الثورة العراقية الكبرى ضد الإنكليز في ١٣ شوال ١٣٣٨ هجرية , وآخر من بقي يقاتل ويفاوض الأجانب بعد خروج الكثير من قادة الثورة الآخرين إلى إيران وسوريا , فحصلوا على اتفاق مع الحكومة البريطانية يقضي بإقامة الحكم العربي المستقل في العراق في ربيع الأول ١٣٣٩ هجرية^{٣٥٠} . ومن (بني حجيم) لاحقاً كانت عائلة

^{٣٤٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٦٣

^{٣٤٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٣٣ □ ٢٣٤

^{٣٥٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , محمد علي جعفر التميمي , المطبعة الحيدرية - ١٩٥٥م , ج ٤ , ص ٢٣ □ ٢٤

(الخويبراي) الدينية في جنوب العراق , ومنهم الشيخ (عباس الناصري) والشيخ (حسن مطر الناصري) , من (آل خويبر) من (الجوابر) من (بني حجيم)^{٣٥١}.



الشيخ حسن مطر الخويبراي

ومن العلماء المشاركين في القتال ضد الإنكليز في البصرة السيد (صادق بن محمد بن راضي العطار البغدادي) حفيد وجد فروع أسرة (آل العطار البغدادي) العلمية في النجف الأشرف وباقي المحافظات العراقية , الذي شغلت أسرته المراكز التجارية والعلمية في المحافظات العراقية , والذي يلتقي في نسبه مع الأسرة الهاشمية الملكية في العراق ومع أمراء الحجاز^{٣٥٢}. وكان الشيخ (موسى بن محسن العصامي الاجودي) من تلاميذ مدرسة (آل كاشف الغطاء) الدينية العراقية ومن كبار رجال الدين الذين قادوا جبهة المقاومة ضد الانكليز في منطقة

^{٣٥١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٦

^{٣٥٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٩٢ و ٨٥

عربستان التي تقع في إيران حالياً , حيث كانت منطقة متداخلة بين الحضارتين العراقية والإيرانية وترتبط بثقافتها كلياً بالعراق^{٣٥٣}.

وكان الشيخ (محمد حسن الجناحي) من (آل علي) من ذرية (مالك الاشر) واحد المشاركين في ثورة العشرين والمعتقلين في سجن الحلة مع ثوار كربلاء , تولى بعدئذ وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٢٣م^{٣٥٤}. وكانت قد تفرعت أسر علمية دينية عديدة من قبيلة (النخع) ومن سلالة الشيخ الرئيس (مالك الأشر النخعي) مثل (آل كاشف الغطاء) و (آل شيخ راضي) و (آل شيخ عليوي) و (آل الخصري) وغيرهم^{٣٥٥}. وكان قسم من (آل علي) من (بني مالك) من (النخع) يسكنون في (المدينة) والحجاز بالإضافة إلى العراق^{٣٥٦}.



السيد عدنان الغريفي
(صورة متداولة)

بينما شغلت عائلة عريقة ضخمة في بلاد البحرين والعراق مرجعية دينية مناطقية محدودة . فقد كان السيد (عدنان بن شبر الغريفي البحراني) مرجعاً عاماً في البصرة في العام ١٣٣١ هجرية^{٣٥٧}.

^{٣٥٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٤٣

^{٣٥٤} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ١٩٣

^{٣٥٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٩٥

^{٣٥٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٩٥

^{٣٥٧} منتظم الدرر , ج ٢

وكان السيد (محمد علي بن مهدي آل صاحب الرياض الطباطبائي) أحد العلماء الذين ساهموا في مقدمات ثورة العشرين ونفي إلى (هنجام) الإيرانية في جنوب الخليج^{٣٥٨}.

وكانت معظم دراسات الأسر العلمية الدينية العراقية في النجف الأشرف تتم داخل دائرة الأسر العلمية العراقية أيضاً , لكن غلبت عليهم كفة الآخرين بسبب انشغال الأسر العلمية الدينية العراقية بالوضع الميداني^{٣٥٩}. فقد كان من قبيلة (خيكان) الجنوبية عائلة (الشميساوي) العلمية الدينية النجفية , والتي درس أشهر أعلامها الشيخ (مسافر بن سعد) كما هو متوقع على يد مجتهد عراقي كبير هو الشيخ (راضي) , واستمر أغلب أفرادها في الدراسة ضمن البيوت العلمية العراقية المعروفة في النجف الأشرف^{٣٦٠}.

كذلك كان علماء الشيعة , بدعم من مرجعية النجف الأشرف , ينتشرون سريعاً إلى كل بلاد استطاعوا الوصول إليها لوأد أي فتنة مذهبية في منتصف القرن العشرين الميلادي , وكان يستطيعون ذلك وينجحون فيه^{٣٦١}.

بينما كانت العشائر العراقية تقاتل القوى البريطانية بشراسة , بعد قرون من مقاتلة القوى العثمانية , حتى أنهكت قواها . كما في مثال احتلال عشائر (الطفيل) بقيادة زعيمها (نايف

^{٣٥٨} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ٢٢٥

^{٣٥٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٣٨ □ ١٣٩

^{٣٦٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٩١ □ ١٩٦

^{٣٦١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٤٧

الغيدان) لمدينة (الحلة) في الثورة العراقية الكبرى وتلقينها الجيوش الانكليزية دروساً بليغة^{٣٦٢}. في وقت قاد الخطيب السيد (جواد بن حسن آل سلمان الحجار الحطاب العوادي) عشائر (الاقرع) و (السعيد) و (آل بدير) و (عفك) جبهة الثورة العراقية الكبرى ضد الانكليز في (الحلة)^{٣٦٣}. وقد أقرت مجلة (الاعتدال) النجفية في ١٩٤٦م أن قرون العثمانيين في العراق كانت قرون فقر وجهل وجور واضطراب وسوء إدارة واوبئة وانطفاء لنور العلم والعرفان وهجر للغة العربية بفعل سياسة التتريك . وهو فترة كانت قريبة العهد بدولة بني عثمان وأقل جهلاً بحالهم^{٣٦٤}.

وكان من زعماء ثورة العشرين في العراق الشيخ (محمد تقي الحائري الشيرازي) , وكذلك عمه (ميرزا حبيب الله بن ميرزا أبي الحسن) , وهما رجال دين^{٣٦٥}. وكان السيد (ابو القاسم بن مصطفى بن حسين بن محمد علي بن رضا الحسيني الحائري) عالماً ومجاهداً وزعيماً وقطباً في ثورة العشرين^{٣٦٦}. وبفتوى الشيخ (محمد تقي بن محب علي الشيرازي الحائري) زعيم حوزة كربلاء العلمية أعلنت ثورة العشرين في العراق^{٣٦٧}.

^{٣٦٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٢٦

^{٣٦٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٦٢

^{٣٦٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٧٧

^{٣٦٥} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ٤٧

^{٣٦٦} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ١٧

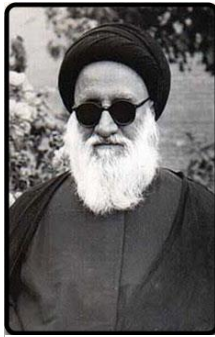
^{٣٦٧} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ١٨٧

بينما خرج السيد (ابو الحسن الأصفهاني) للجهاد ضد الإنكليز في ظل مرجعية (محمد تقي الشيرازي) , لكنه على الأرجح لم يخرج عن كربلاء ولم يقاتل بسبب سرعة وفاة المرجع (الشيرازي) وانكسار المجاهدين^{٣٦٨}. وهو ما منحه فرصة للاستحواذ العام على منصب المرجعية الدينية المطلقة نتيجة لتفرغه وانشغال غيره .



السيد علي الداماد

في الوقت الذي شخصية دينية إيرانية أخرى تموت قهراً لما رأت من احوال اصابت الامة . ان كان من قادة الجهاد غير العراقيين ضد الاحتلال البريطاني للعراق السيد (علي الداماد الرضوي التبريزي) , والذي قاد المجاهدين في (القرنة) و (العمارة) و (الكوت) , ومات قهراً بعد رؤيته انكسار المجاهدين وتحليق اول طائرة فوق مدينة النجف الأشرف^{٣٦٩}.



السيد هبة الدين الشهرستاني

وبعد قيام الدولة العراقية المستقلة الحديثة بدأ بعض أبناء الأسر الدينية العلمية المجاهدة العاملة ذات التاريخ الاجتماعي الإسلامي المشرق يتشعبون إلى منزلقات الحياة السياسية غير الإسلامية , نتيجة التأثيرات للمدارس الحكومية الحديثة والانقطاع عن التربية الأسرية

^{٣٦٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٨٦

^{٣٦٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٨٩ □ ٩٣

والعقيدية الخالصة^{٣٧٠}. فقد كان السيد (محمد مهدي بن حسن بحر العلوم الطباطبائي) رجل دين وسياسي كان شارك في الثورة العربية وصار وزيراً في حكومة عبد الرحمن النقيب ووزيراً للصحة وللمعارف^{٣٧١}. وكان السيد (هبة الدين محمد علي آل الأمير علي الكبير الحسيني الشهرستاني) مجتهداً , وأحد رجال ثورة العشرين في كربلاء , واستلم وزارة المعارف في العام ١٩٢١م^{٣٧٢}. ومن وزراء العراق الملكي من أبناء الأسر العلمية الدينية النجفية الأديب الشيخ (علي بن جعفر الشرقي الخاقاني) . الذي كان شاعراً في ثورة العشرين العراقية الكبرى ضد الإنكليز , ثم شاعر فضح سياسات الدواوين الرسمية المهادنة للإنكليز في بغداد , وكان عضواً ورئيساً لمحاكم التمييز الجعفرية الرسمية , ثم وزيراً في عدة حكومات وعضواً في مجلس الأعيان^{٣٧٣}. وشغل أفراد من عائلة (آل سميسم) العلمية الدينية النجفية مناصب قضائية وحقوقية وعدلية ورقابية في العراق الملكي^{٣٧٤}. كما كان بعض المدراء العاملين للشركات التجارية العراقية الكبرى من أبناء الأسر العلمية الدينية النجفية في

^{٣٧٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٥٨

^{٣٧١} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ٢٣٣

^{٣٧٢} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ٢١٩

^{٣٧٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٨٠ □ ١٨٢

^{٣٧٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٣٩

العراق الملكي^{٣٧٥}. ولعبت أسرة (آل الدجيلي) العلمية الدينية النجفية دوراً مهماً في مفاصل



الشيخ خضر عباس الدجيلي

الإدارة والتعليم والأدب والتجارة والوعظ الديني والإعلام في العراق الملكي^{٣٧٦}، وهي من العوائل العلمية الدينية النجفية من قبيلة (الخرزج)^{٣٧٧}، لذلك حين كان الشيخ (خضر بن عباس الدجيلي

الخرزجي) من الفقهاء العرب المجتهدين في النصف الأول من القرن

العشرين الميلادي في النجف الأشرف، كان من أساتذة التدريس والبحث^{٣٧٨} لا القيادة الميدانية.

وكانت العوائل العلمية الدينية العراقية العربية المحتد تسعى جاهدة لتأسيس الكيانات العلمية والأكاديمية المرتبطة بالدولة رسمياً مع بقاء استقلاليتها الأهلية^{٣٧٩}. حتى كانت معظم الجمعيات والروابط الثقافية المدنية في العراق الملكي قائمة في النجف الأشرف أو مرتكزة إليها، على يد العوائل العلمية الدينية.

^{٣٧٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف، ج ٤، ص ١٤٨

^{٣٧٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف، ج ٤، ص ١٠٠ □ ١٠٥

^{٣٧٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف، ج ٤، ص ٩٤

^{٣٧٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف، ج ٤، ص ١٠٠

^{٣٧٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف، ج ٣، ص ٢٠٥

وكان بعض الموسرين من الشيعة مثل الزعيم الشيخ (بلاسم آل ياسين المياحي الربيعي) يتبرعون لإنشاء المدارس مثل الثانوية لإعداد جيل متعلم بالتعاون إدارياً مع هيئة المدارس الجعفرية. وهو ما يشير إلى نضوج كبير في الوعي الديموغرافي الشيعي في العراق الملكي^{٣٨٠}.

وفي مثال على دور العوائل الدينية الإمامية في نهضة العراق الحديث , كان (أحمد بن امين بن محمد صالح بن محمد باقر بن اسماعيل الكاظمي) من اشهر علماء وأساتذة الرياضيات في العراق في العهدين الملكي والجمهوري , بعد تخرجه من جامعة (سوربون) الفرنسية , وكان المشرف الاعلى للرياضيات في وزارة المعارف العراقية , وهو ابن عائلة دينية , وأستاذ في الحوزة العلمية^{٣٨١}.

ومن الواضح أن الأسر الدينية العلمية الشيعية كانت محور التجارة العراقية غير العثمانية , كما أنها كانت مدار العلم والاقتصاد غير العسكري في العراق الملكي , حيث كانت الأسر المعتمدة على طائفية العهد الملكي مشغولة بالعسكرة البدوية الأصل . وقد نبغ مئات من أبناء الأسر العلمية الشيعية في مجالات الاقتصاد والطب والتجارة والسياسة والتدريس , وحصلوا على شهادات من جامعات عالمية , كأسر (آل الاحول الموسوي) و (آل أسد الله) . وكذلك أسرة

^{٣٨٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٠٤

^{٣٨١} تراجم الرجال , ج ١ , ص ١٠١ □ ١٠٢

(آل الاعسم) و (آل البلاغي) . مما جعل البريطانيين والطائفيين في مستوى عال من الحذر السياسي لا شك , نتج عنه انقلاب تموز ١٩٥٨ م , الذي انحدر بهذا التقدم العلمي والتجاري والسياسي الشيعي .

وقد تعاضدت سياسيات الحكومات العثمانية والبريطانية والعراقية والإيرانية البهلوية طيلة القرن العشرين على منع تدفق الزوار الإيرانيين إلى العراق , مما أفقد مدن النجف الاشرف وكربلاء مورداً اقتصاديا مهما , وبالتالي أضعف دورهما الداخلي والخارجي . يعضد كل ذلك مجموعة من الدعايات والفتن مجهولة المصدر تثير البغضاء بين الزوار الشيعة عموماً وبين أبناء المدينتين خصوصا كما حدث في العام ١٩٣٢م^{٣٨٢} . ولعبت الحكومات الوطنية العلمانية لمرحلة ما بعد الاستعمار في الهند وإيران والعراق منذ منتصف القرن العشرين على منع انسياب الزوار إلى العتبات المقدسة في العراق , أو نقل الجناز إلى مقبرة النجف الاشرف , مما أضعف دور مدينة النجف الاشرف أكثر^{٣٨٣} .

^{٣٨٢} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ١٤

^{٣٨٣} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ١٥



الوزير السيد ضياء جعفر مع ملك العراق

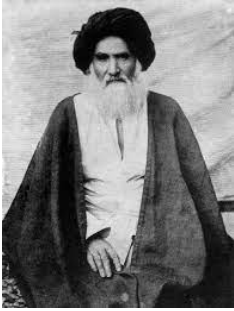
وقد كان الشيعة يشغلون اهم مرافق التجارة في العراق قبل قيام الحكم الملكي وبعده بقليل , فعائلة علمية واحدة هي عائلة (آل العطار البغدادي) شغل العشرات

من أبنائها المراكز التجارية العراقية الكبيرة لعقود , فضلاً عن نبوغ ابنائهم في المؤسسات العلمية الأكاديمية . فيما شغل السيد (جعفر بن هاشم الاحول الموسوي) الترتيب الأول أو الثاني على تجار بغداد عند نهاية الحكم العثماني وبداية المملكة العراقية , والذي شغل ولده الدكتور السيد (ضياء) منصب وزير في المملكة العراقية ابتداء من العام ١٩٤٧ م , حين ابتداء سهم الشيعة بالصعود مرة أخرى في بلادهم مع ضعف النفوذ البريطاني , وكان في منصب وزير الاقتصاد خمس دورات , وكذلك وكيلاً للمواصلات والمالية والمعارف وغيرها , وهم من عائلة (الاحول) العلمية الدينية النجفية البغدادية^{٣٨٤}. وقد انتهت بعض المقاولات الحكومية الكبيرة في العهد العراقي الملكي بمرور الزمن إلى تنفيذ يد بعض ذراري الأسر العلمية الدينية النجفية الذين عملوا في التجارة^{٣٨٥}.

^{٣٨٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٨٥ □ ١٠٠ و ١٠٦ □ ١٠٧

^{٣٨٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٢١

وكانت المرجعية الدينية العليا في العراق قد استحكمت أغلب أمورها بيد الشيخ (محمد تقي

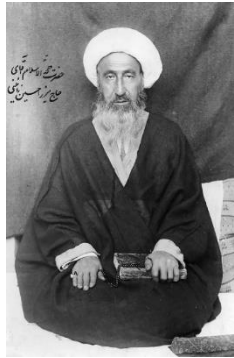


السيد ابو الحسن الاصفهاني

الشيرازي) , ثم بعد وفاته انتقلت تلك السلطة الدينية بين رفيقه الدراسي السابق من مدرسة الميرزا (محمد حسن الشيرازي) في سامراء الشيخ (محمد حسين النائيني) سليل عائلة مشيخة الإسلام الرسمية في

أصفهان الإيرانية , وبين السيد (ابو الحسن الأصفهاني) , لتكون

كلها بيد المهاجرين من أصفهان مركز الدولة الإيرانية القوي , وكان (الأصفهاني) أشهر بين العامة , فيما كان (النائيني) أوضح عند الخاصة^{٣٨٦}.



الشيخ محمد حسين النائيني

وكان كتاب (النائيني) الموسوم "تنبيه الأمة وتنزيه الملة" دورة سياسية نظرية , مقدمة ومرتفعة على كتاب (الكواكبي) الموسوم "طبائع الاستبداد" الوصفي البسيط الذي حظي بعناية أكبر من كتاب (النائيني) لأسباب طائفية ربما , أو موضوعية بنحو ما . إلا أن (النائيني) تخلص عن

ذلك الفكر السياسي الحر والهدف الميداني العملي نتيجة ما استسلم له من محيط فقهي معارض غير ميداني^{٣٨٧}.

^{٣٨٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١١٤ □ ١١٦

^{٣٨٧} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٤٥ □ ٢٥٣

فيما كان الفقيه (ضياء الدين العراقي الآراكي) من جملة الفقهاء المعاصرين لمرجعية



(النائيني) في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي , ولم

يخرج بعيداً عن منهجها المدرسي^{٣٨٨}. اذ كانت مرجعية الشيخ

(ضياء الدين العراقي) مثال المرجعية المدرسية المنعزلة , رغم

معاصرتها لجملة من الأحداث المفصلية في تاريخ العراق والشيعنة

طيلة الربع الأول من القرن العشرين الميلادي^{٣٨٩}. وهو ما استقاه من الدور الثاني السلبي

لأستاذه (الاخوند محمد كاظم الخراساني) , والمسلك السلبي الدائم لأستاذه (محمد كاظم

اليزدي) , وأثر لا شك في تلاميذه , الذين كان منهم (ابو القاسم الخوئي) و (محسن الحكيم)

و (عبد الأعلى السبزواري) في العراق , والذين سيطروا على مقام المرجعية الدينية في العراق

وجملة كبيرة من دول العالم لبقية القرن العشرين .

وقد كان السيد (أبو الحسن الأصفهاني) الزعيم الذي شهد يوم وفاته , وما حفل به جثمانه

من تشييع مهيب عظيم في مختلف المدن العراقية ومن مختلف الفعاليات العلمائية والثقافية

والعشائرية والسياسية والإدارية والدولية والإذاعية بالألاف , على عظيم نفوذه بعد رحيل

^{٣٨٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٤٤

^{٣٨٩} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٦٥

الملا (محمد كاظم الخراساني) و (اليزدي)^{٣٩٠}. ان انفرد (الأصفهاني) بالمرجعية الدينية العليا في العراق والعالم بعد وفاة (النائيني). وقد كان لهما نشاط سياسي واضح في الثورة الدستورية (المشروطة) في إيران , مطالبين بحق الشعب في المشاركة في الحكم , ولم يكن لهما نشاط مهم مشابه في العراق . إلا أنهما عارضا بشكل سلبي الإجراءات البريطانية في العراق بعد الاحتلال ومحاولتها تأسيس الحكومة في العراق منذ الثورة العراقية الكبرى في العام ١٩٢٠ م , دون أن يكون لهما تنظيم ومشروع عمل واضح في تلك المعارضة , أو تنسيق شعبي واضح المعالم , فتم نفيهما إلى إيران , ثم عادا بشرط ألا تكون لهما تدخلات سياسية في المملكة العراقية , فوافقا , في واحدة من اسوأ تجليات الأنانية والرغبة في شغل منصب غير منتج , وفي لحظة أكدت رواسب ما قبلها من مرجعيات شبه متصوفة وأسست لمرجعيات مدرسية صامتة اعتزلت السياسة كليا .

حيث صارت كتب (النائيني) مثالا واضحا على علم " الحواشي " و " التقريرات " الجديد , الذي انتقل بالمرجعية الدينية الإسلامية الشيعية من علوم الميدان وأحوال الزمان إلى " المدرسية " , سوى كتاب " تنبيه الأمة " الذي أصدره (النائيني) قبل انفراده بالمرجعية الدينية لدعم الثورة الدستورية في إيران , ثم عاد لسحبه من السوق وشرائه بثمن كبير لإتلافه . وقد كان السيد (ابو القاسم الخوئي) أبرز الوجوه التي أنتجتها مدرسة الشيخ (محمد حسين النائيني) , والذي كان عصره منذ سبعينات القرن العشرين حتى بداية التسعينات منه فترة صمت مطبق للمرجعية الدينية النجفية وانحدار للثقافة الشيعية

^{٣٩٠} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٢١ □ ٢٨

العامّة وضياع لجهود علماء كبار وسيل من الدماء البريئة لم ينقطع بعده . إذ اكتفت مدرسته بجهود التعليم الكلاسيكي , دون التدخل الحقيقي في الشأن العام فضلاً عن السياسي , وكان ولداه قد تعاونوا فعلياً ثم انتقلت عائلته إلى البريطانيين^{٣٩١} .

وكانت تلك الموجة الإيرانية من المجتهدين والمراجع في النجف الأشرف غير ناجحة في إدارة دفة الصراع الحقوقي في إيران , حيث اغتتم وزير دفاع القاجاريين (رضا شاه بهلوي) اتفاه في النجف الأشرف مع خمسة من الفقهاء (محمد حسين النائيني, ابو الحسن الأصفهاني , جواد الجواهري, محمد علي بحر العلوم , مهدي بن محمد كاظم الخراساني) في العام ١٩٢٥ م للاستحواذ على السلطة الإيرانية وفرض الأحكام العسكرية والانتقال بإيران إلى الحكم المركزي المتشدد وقمع مؤسسة الفقهاء بالعنف , رغم تعهده لهم بتوفير الحقوق الدستورية والدينية إذا نجح في إسقاط حكم القاجاريين , حيث فقدت الحوزة العلمية دورها التاريخي في إيران بظهور (رضا شاه بهلوي) , الذي تمتع بعلاقات متينة مع الغرب جعلت نظامه مدلاً في المنطقة لعقود , وقد سار على خطى (مصطفى كمال اتاتورك) المتطرفة في إحياء العلمانية في تركيا والتخلي عن الاسلام , لكنه فشل في حل مشاكل الشعب الإيراني , الذي غيّر اسم بلاده من (فارس) إلى إيران , حتى أسقط البريطانيون حكمه في العام ١٩٤١ م ونفوه وجاءوا بولده (محمد رضا بهلوي) , وهو ما يشير إلى اليد البريطانية

^{٣٩١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١١٤ □ ١١٦

الخفية أو العلنية وراء تلك الخدعة الكبرى ، فضل معزولاً وولده عن الشعب الإيراني ، حتى اسقطته الحوزة العلمية الإيرانية بقيادة السيد (روح الله الموسوي الخميني) في العام ١٩٧٩ م واقامت نظام "الولي الفقيه" . وهو أمر يكشف مدى افتقاد العراق وإيران حينها لقيادة دينية باستطاعتها تمييز الحق من الباطل^{٣٩٢} .

وقد كانت الفترة التي أعقبت وفاة السيد (ابو الحسن الأصفهاني) في العام ١٩٤٦ م ، ولدة عقد من الزمن ، خالية من النشاط السياسي المعتد به للمرجعيات الدينية ، بعد التركة الانعزالية التي تركها (الأصفهاني) لعقدين من الزمن . حتى ظهور مرجعية السيد (محسن الحكيم) العربية التي بدأت نشاطاً اجتماعياً أكثر منه سياسياً^{٣٩٣} .



السيد حسين البروجردي

وقبل (الخوئي) توجهت رغبات الكثير من وجوه المدرسة النجفية في تلك الفترة إلى السيد (حسين البروجردي) بعد وفاة السيد (ابو الحسن الأصفهاني) لزعامة الشيعة في العالم عن طريق حوزتها . وهو مرجع ديني من أهالي مدينة (بروجرد) الإيرانية ، والذي انتقل لاحقاً لزعامة عامة في مدينة (قم) وبالتالي إيران^{٣٩٤} .

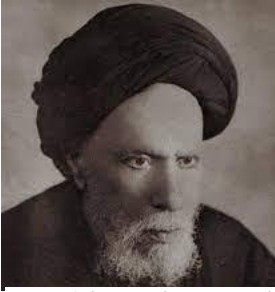
^{٣٩٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ٢٣٦ □ ٢٣٨

^{٣٩٣} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ٢٦٦

^{٣٩٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف ، ج ٢ ، ص ٤٨

وكان (محمد باقر البيرجندي) من أعلام المجتهدين الإيرانيين الذين حصلوا على إجازات متعددة من كل مدارس العراق الفقهية الإمامية , لا سيما من الميرزا (محمد حسن الشيرازي) والسيد (حسن الصدر الكاظمي) والسيد (محمد كاظم اليزدي) , لكنه لم يبرز كقائد ميداني أيضاً^{٣٩٥}.

بينما اعتزل جملة من علماء العراق في منازلهم , بعد غلبة العنصر غير العراقي على



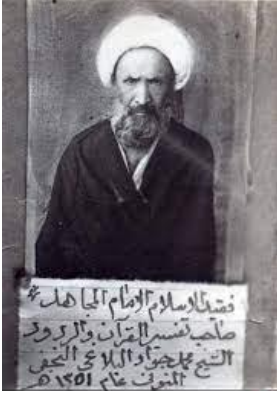
السيد محمد الحسيني البغدادي

المرجعية الدينية النجفية العليا , في العهد الملكي , مثل السيد (محمد بن صادق العطار البغدادي) , رغم كونه مرجعاً للتقليد كان يقيم الصلاة في الصحن الحيدري , وهو ابن أحد رجال العراق البارزين في

قتال الاحتلال الإنكليزي , وعميد لأسرة علمية وتجارية وأكاديمية كبيرة في العراق , اشتهر منها المؤرخ الكبير المعروف السيد (عبد الرزاق الحسيني) الذي أرخ تاريخ المجتمع والسياسة في العراق بشكل فريد^{٣٩٦} . وهذا قاد لا شك باتجاه سلبي لا يلمس الواقع العراقي , ثم هو لن يتفاعل لاحقاً مع الواقع الإسلامي العالمي بثقة .

^{٣٩٥} تراجم الرجال , ج ٣ , ص ٩٤

^{٣٩٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٩٦



وكان من الملفت أنه رغم شهرة وعظمة ما أنتجته حوزة الشيخ (محمد جواد البلاغي) في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي من علوم وردود منطقية ودفاع عن الاسلام أمام هجمات التبشير المسيحي والدعوات إلى الإلحاد والخلاعة ودفاعه عن مذهب أهل البيت أمام هجمات الوهابيين السلفيين وبعض الفرق الأخرى المنتحلة صفة

الإسلام أو المنشقة عنه , وقد كان يجيد اللغات العبرية والإنكليزية والفارسية , ويزور معابد اليهود وكنائس النصارى ويطلع على مؤلفاتهم , حتى تمت ترجمة كتبه في أوروبا إلى الإنكليزية في وقت مبكر , وكان من تواضعه وصفاء نيته أن يطبع بعض مؤلفاته بأسماء مستعارة , الا أن العامة من الناس لم يلتقوا حولها في غالبهم , سوى الخاصة منهم . ربما لأنه كان كأصحاب علي بن ابي طالب يمتري لنفسه بنفسه ويكون في الناس كأحدهم , لا كما شاع في بعض شأن أهل زمانه وعصره من متداولي العلم من تعظيم للنفس والبدن . وقد كان يعيش على محصول ارض ورثها عن أبيه^{٣٩٧} .

وكانت العوائل الدينية العراقية في منتصف القرن العشرين الميلادي ونهاية الخمسينات بدأت تألف وجود المرجعيات الدينية المدرسية غير الميدانية , كما في مرجعية السيد (حسين بن علي الحمّامي) , الذي ورث مدرسة المرجع السيد (ابو الحسن الأصفهاني) وتربى في

^{٣٩٧} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٢٠٩ □ ٢٢٦

المدارس الدينية غير العراقية تماما , وهي المدرسة التي تعهدت فيما سبق بالابتعاد عن العمل السياسي , فكان مثلاً للمرجعية الدراسية البحتة ومقدمة مهمة لاختراق هذا النوع من المرجعيات غير العملية للساحة العراقية وبداية لعصر الخمول المفرط , ولهذا كان من المتوقع والواقعي أن يوصي السيد (ابو الحسن الأصفهاني) بمرجعيته وخلافته بعده . كما هو واضح من أساتذته (ملا كاظم الآخوند) و (محمد كاظم اليزدي) و (شيخ الشريعة) و (ميرزا محمد الطهراني) و (محمد حسين النائيني) , وفي مؤلفاته المدرسية البحتة بنظام



السيد حسين الحمادي

الحواشي . وصار بعض المؤلفين والمثقفين العراقيين يرون هذا النوع من المراجع وأولادهم مثلاً كاملاً لرجل الدين , مما سيفتح الباب مستقبلاً لجعل مؤلفات اولئك المثقفين معياراً مشوهاً لفهم وظائف المرجعية الدينية^{٣٩٨} . وصارت صفة الاعتزال سمة مميزة للكثير من رجال الدين , حتى وصل الأمر بباحث ومؤرخ عراقي مثل (محمد علي التميمي) في خمسينات القرن العشرين أن يرى رجل الدين الحقيقي هو المنعزل المنكب على الدرس فقط^{٣٩٩} .

^{٣٩٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٦٥ □ ١٧٤

^{٣٩٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١١٣

وهذا يعني أنه مع زيادة التفاعل الحضاري والمدني للجمهور الشيعي في العراق مع مؤسسات الدولة كانت المرجعية الدينية تختفي كمؤسسة ميدانية وفاعلية عملية وتتحول إلى مؤسسة مدرسية بحتة وبنك غير نشط استثمارياً , مما سمح بظهور الانقلابات العسكرية الطائفية المضادة التي وجدت جمهوراً بلا قيادة وقيادة بلا جمهور .



الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

وكان رجال الدين العرب في العراق من المدرسة الدينية النجفية يتوسعون في مؤلفاتهم إلى مختلف ميادين المعرفة والعلوم , ويكتبون في مختلف المجالات , ويحاولون معاصرة البحث العلمي ولمس جذور الصراع الحضاري العالمي , وتثقيف العامة وتوسيع مداركهم. فيما كانت المرجعيات الدينية غير العربية المشهورة المتصدية في النجف الأشرف تعاني ضيق التأليف في

نطاق البحث الفقهي^{٤٠٠}. فقد كان الشيخ الفقيه (محمد الحسين آل كاشف الغطاء) يقوم بجمع مختلف المؤلفات العلمية المكتوبة في النجف الأشرف ويضعها في المكتبة العامة التي أسسها^{٤٠١}. وكان الشيخ (محمد حسين كاشف الغطاء) يوفد الفضلاء من رجال الدين إلى أقاليم متعددة منها عربستان للتبليغ الديني^{٤٠٢}, إذ كان لأهل (الحويزة) الكعبيين دور مهم

^{٤٠٠} انظر : موسوعة "مشهد الإمام" للتميمي

^{٤٠١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٣١

^{٤٠٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٢٧

ومشاركة في الحياة العلمية والدينية في النجف وكربلاء خلال القرن العشرين , ذكر منهم الكثير صاحب كتاب "مشهد الإمام" , فقد اعتنى أعلام ومشايخ من قبيلة (بني كعب) في العراق وإيران بالكتب والمكتبات طيلة الفترة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري^{٤٣}. وكان المرجع الراحل الشيخ (محمد الحسين كاشف الغطاء) من الامثلة السامية للمرجعية بالقياسات العراقية , تلك الشخصية المتحركة المعطاءة , فهو لم يكن حبيس



من اليمين: الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين والإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في لقطة تذكارية (القدس الشريف سنة ١٩٢١ م)

جدران منزله , ولم يكن يتحدث بتميع خادع , وطريقته في الكلام لم تكن تمثيلية , بل كان كأبناء مجتمعه , كان الشيخ يلتقي الناس , ويخطب فيهم , ويعظهم , ويشخص مشاكلهم , ويتحدث الى عقلائهم وزعمائهم ,

وكان يدرّس ويؤلف ويخطب ويوجه وينصح , ولم يحتج زائره الى بطاقة تزكية , او الى موعد مسبق , لأن ذلك ليس من شأن المرجع العلوي , وكان نكياً لم يندع بمنظمات كبرى ولا مؤتمرات للمؤامرات , فوجّه رسالة الى مؤتمر الغرب في (بحمدون)^{٤٤}, كانت اشعاراً للغرب انه يتعامل مع عقول تعمل , لا عقول غافية , وحضر مؤتمر (القدس) , ولم يجد الاختلاف المذهبي عائقاً , وتكلم بلسان (علي بن ابي طالب) , فلم يستطع ابناء باقي المذاهب الا

^{٤٣} انظر كتاب (تراجم الرجال)

^{٤٤} طبعت في كتاب (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون)

الاعجاب بمنطقه , وما كان من القلب فهو الى القلب , فصلت جموع مذاهب المسلمين خلفه على ارض (القدس)^{٤٥}, وكان في (مصر) مبعوث مبادئ (علي بن ابي طالب) , كأنما هو يريد ان يكمل مسيرة جده (الاشتر) التي توقفت اضطراراً في الطريق , لكنها لم تتوقف عن انتاج الفحول من ابناء (محمد) و (علي) , فسمع منه المصريون مقالة جده , ورسائل إمامه . ووقف - وهو الغريب في ارض مصر - بوجه المبشرين بدين الغرب , فكان يحضر ندواتهم , كأنه من عامة الناس , وفي فقرة الاسئلة يقوم كأنه سائل , ليفحهم ويستنقذ المسلمين من ابناء (مصر) , حتى حاولوا قتله تحت جناح الظلام .



آل كاشف الغطاء في لقاءاته العشائرية



آل كاشف الغطاء والعلماء



^{٤٥} موسوعة النجف الأشرف / ج ١٩ / جعفر الدجيلي



الشيخ محمد كاظم شمشاد

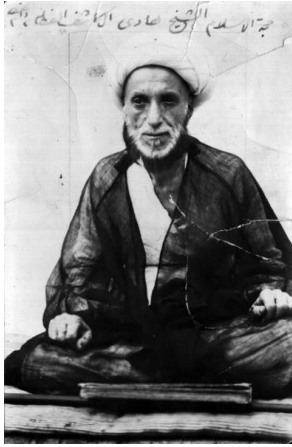
وخلال هذا الانشغال العربي النخبوي والقبائلي الميداني تمكنت عوائل غريبة من تحقيق نفوذ واسع في النجف الاشرف , كان له مدخلية مؤثرة في مسار الاتجاهات المرجعية مستقبلا . فقد كان (آل شمشاد) عائلة هندية مهاجرة الى العراق في نهاية الحكم

العثماني وبداية النفوذ العسكري الإنكليزي سنة ١٩٠٠ م , تنهي نسبها إلى الصحابي الموالي (جابر بن عبد الله الأنصاري) , واشتهرت باسم الشيخ (شمشاد حسين الهندي) , الذي كان من الغريب أن اختاره البريطانيون مجتهداً ثانياً في تقسيم ثروة مملكة (اوده) الهندية في العراق , رغم عدم شهرته أو شهرة عائلته . والتزم ولده الشيخ (محمد كاظم) مجالس (النائيني) و (الخوئي) وصار مسؤولاً عن رعاية وتنظيم حياة الطلاب الهنود في النجف الأشرف^{٤٦} .

وقد ساهم التحالف العسكري والسياسي بين الحكومة المذهبية السنية في العراق وقوات الاحتلال البريطاني في عزل مدينتي النجف وكربلاء , للتخلص من تأثير القيادة الدينية فيهما ذات فضاء الحرية الأوسع . مما أدى إلى تجاوز نسبة البطالة في النجف الاشرف

^{٤٦} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٨٩ □ ١٩٠

٥٠٪ ، وانعدام الخدمات بصورة شبه تامة ، وانهييار التجارة . ساعد في ذلك أيضاً اتخاذ بغداد عاصمة للعراق ، وهجرة الكثير من العشائر إليها ، بحثاً عن الفرص الاقتصادية والسياسية . مما اضطر القيادة الدينية النجفية والجمهور الشيعي إلى التمرد في العام ١٩١٨ م ، والحراك في العام ١٩٢٧ م ، والثورة في العام ١٩٣٥ م . التي كان فيها لوجهاء النجف العرب الوطنيين دور مهم فيها ، مثل (حميد خان، علي الشرقي ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، هادي آل كاشف الغطاء ، محمد بحر العلوم ، جواد الجواهري ، محمد جواد الجزائري) . إذ كانوا يبحثون عن تمثيل شيعي اكبر من الناحيتين الاقتصادية والخدمية ، اللتين تحاصرهما الحكومة تحت إشراف القوات البريطانية ، ومن الناحية السياسية ، التي اقتصر دور الشيعة فيها على وزارة المعارف . ليزداد تمثيل الجمهور الشيعي تدريجاً ، حتى وصل بعضهم إلى وزارة الداخلية أو رئاسة الوزراء .



الشيخ هادي آل كاشف الغطاء



السيد حميد خان الخلاق النجفي



الشيخ جواد الجواهري



الشيخ محمد جواد الجزائري يمين الوسط

لكنّ ذلك الإهمال الخدمي والسياسي أنتج ضعفاً اقتصادياً ملموساً في الوسط الشيعي , مما جعل الكثير من الشباب يهاجر نحو العاصمة بغداد أو مراكز المدن , ومن ثم يبتعد عن تأثير المرجعية الدينية , وجعل البعض الآخر في نهاية أربعينيات القرن العشرين يذهب بعيداً في اتجاه مذاهب سياسية علمانية , ظناً منه أنها تساعد وضع مجتمعه البائس اقتصادياً , كالشيوعية. لكنّ كل ذلك لم يكن سوى مسار مدروس من قبل البريطانيين , ساهم في انقسام المجتمع الشيعي , وانحلال بعض أقسامه أخلاقياً^{٤٧}.

وتأسست " جمعية منتدى النشر " النجفية الثقافية العلمية الدينية الحديثة في حدود سنة ١٩٤٤ م , لترقى بالمنبر الحسيني والوعظ الديني , وضمت نخبة من وجوه البيوت العلمية

^{٤٧} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٨ □ ٩

الدينية النجفية من العلماء والأدباء , إلا أنها واجهت عاصفة من جهلة العوام بتحريض من متلبسي ثوب الدين المترزقين به , فغلقت أبوابها , بعد أن فشلت المرجعية الدينية الكبرى في إدراك أهميتها وحمايتها بما لها من سلطان الكلمة والنفوذ . فخرس العراق بضياح تلك الخطوة الأولى المؤسسة فرصة الرقي بالمنبر ليقود الناس , فكانت النتيجة أن ينحدر الكثير من الخطباء وينحدر معهم المجتمع^{٤٠٨} .

وكانت معظم القبائل العراقية تأتي تطلب بنفسها من المرجعيات الدينية أن ترسل إلى ديار تلك القبائل من يقودها ويصلحها , وكانت المرجعيات ترسل معهم أو إليهم فعلاً من يعيش بينهم ويغير حالهم . الأمر الذي يكشف عن حالة عامة اجتاحت المجتمع العراقي بعد نشوء دولته الحديثة واستقلاله التام عن التخلف العثماني والاستقلال الشكلي عن الاستغلال الانكليزي , جعلت هذه الحالة معظم تلك القبائل تبحث عن المدنية والسلام وترك مجتمع البداوة والتعرب . إلا أن كل ذلك كان بعد ذلك ضحية الانقلابات العسكرية الأعرابية بمساعدة البريطانيين وإهمال بعض المرجعيات الدينية المتصدية حينذاك وقلة وعي بعض زعماء القبائل^{٤٠٩} .

وكان للشيعنة في الفترة من منتصف الأربعينات من القرن العشرين السهم الكبير بتطوير الحياة المدنية في العراق , بمجرد أن ضعف النفوذ البريطاني في العراق , حيث بدأوا بسلب الميزات الاحتكارية من يد الشركات الأجنبية , وعملوا على توطيق الإدارات العامة , وتنمية

^{٤٠٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ٢٦٤

^{٤٠٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٤ , ص ١٥٣

الموائى والطرق والسكك الحديدى , والاستماع إلى كلام العلماء الأعلام فى النجف الأشرف ,
وسن القوانين المدنية والوظيفية , وعقد الاتفاقيات الدولية , لا سيما النفطية منها , والتركيز
على تنمية واقع صغار الفلاحين والموظفين , وحل مشاكل الإسكان , وخدمات الماء , كما فعل
السيد (ضياء جعفر الاحول الموسوي) فى الفترة ١٩٤٧ - ١٩٥٣ م , حين توليه منصب
وزير الاقتصاد خمس دورات والمواصلات والاشغال والشؤون الاجتماعية ووكالة وزارات
المواصلات والمالية والمعارف وغيرها^{١١}. وهذا لا شك , مع عوامل اخرى , وصلت إلى ارتباط
الوصي على العرش (عبد الإله) بابنة اكبر زعيم قبلي شيعي وهو أمير قبيلة (ربيعة) ,
سرّع من حث الأجانب عملاءهم فى الجيش العراقى -الذي لم يكن بعد قد نفذت فيه المدنية
الشيعية بشكل واف , وكان يعاني بداوة التأسيس الطائفي والأجنبي- على تنفيذ انقلاب
تموز ١٩٥٨ م وانهاء الحكم الملكي فى العراق. وبالفعل بدأ منذ ذلك اليوم نجم الشيعة
بالأفول فى الحكومات العراقية , وارتفع منسوب الطائفية والعسكرة , وتدنت الأخلاق ,
وانهار بناء المدنية بالتدريج . وقد كان النظام الطائفي السني هو سبب سقوط الملكية فى
العراق , كما سبباً فى سقوط الدولة العثمانية فى البلاد العربية , إذ كان الاعتماد على هذا
النظام فى قيادة الجيوش قد حرم الدولتين من سيطرة الفكر الشيعي المتمدن الثابت على مبدأ
حماية الإسلام والنظام العام فى حينها , إذ انفلت عقال الضباط العرب والشركس وغيرهم عن
جيش العثمانيين , والتحق أغلبهم بالإنكليز تحت مسمى الثورة العربية , كذلك انفلت ذلك
العقال فى الجيش الملكي العراقى تحت مسمى الأحزاب القومية والشيوعية .

^{١١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ١٠٨ □ ١١٠

ورغم وجود مرجعيات أخرى كالسيد (هادي علي الحسيني الحائري) من كبار مراجع التقليد في كربلاء توفي ١٣٦٨ هجرية^{١١}، إلا أنه بدأت في نهاية الحكم الملكي في العراق في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين تتكشف معالم المرجعيات الدينية الشيعية العاملة النشطة الواعية المدركة لأبعاد اللعبة الدولية والمحلية، مع زيادة الوجود الشيعي في مفاصل الدولة العراقية، فكانت شخصية تم تجاهلها شعبياً لفترة طويلة نسبياً مثل شخصية الشيخ (محمد الحسين كاشف الغطاء) يحظى بتوصيف " سماحة الإمام الأكبر والمصلح الأعظم " رغم أنه لم يحرز مقام المرجعية العامة للشيعية أو تثني له الوسادة كما يجب^{١٢}، فقد كان الشيخ (محمد الحسين كاشف الغطاء) يشرف ويتابع ويمتدح حتى عمل السياسيين الشيعة في الحكومة العراقية الملكية، مثل عمل النائب والوزير لعدة دورات السيد (ضياء جعفر)^{١٣}. وهو ما كان انقلاب العسكر على الملكية في ١٩٥٨م طريقة للخلاص من معالمة كزمان للوعي. فقد كان الشيخ (كاشف الغطاء) يدرك أن القوى المحلية التي عملت واستفادت من العثمانيين هي ذاتها القوى التي تعمل وتستفيد من وجود البريطانيين والحكم الطائفي، فقد كان وزير دفاع المملكة العراقية الحديثة المنشقة على العثمانيين مثلاً (حسام الدين) هو ذاته ابن (جمعة بك) قائم مقام العثمانيين أنفسهم على مدينة النجف الأشرف!^{١٤}. وكان علماء الشيعة في منتصف القرن العشرين الميلادي يدعون إلى الوحدة ونبذ

^{١١} معجم رجال الفكر في كربلاء، ص ٢٥٨

^{١٢} مشهد الإمام أو مدينة النجف، ج ١، ص ٢٥٧

^{١٣} مشهد الإمام أو مدينة النجف، محمد علي جعفر التميمي، ج ١، المطبعة الحيدرية، المقدمة

^{١٤} مشهد الإمام أو مدينة النجف، ج ١، ص ٢٢٤

الطائفية كلما سنحت لهم فرصة وتوفرت لهم الكلمة , رغم أنهم من الفرسان وأهل البيان , لا سيما عند موسم الحج في بلاد الحجاز^{٤١٥}.

ويبدو أن المرجعية الدينية اتخذت منذ تولي (ابو الحسن الأصفهاني) منصبها اتجاهين , الاول والاشهر والاكثر نفوذاً متفرع عن مدرسة الميرزا (محمد حسين النائيني) , والثاني ملتقى يجمع مسلكين , المسلك الاولى تلاميذ البيوتات العراقية العريقة مثل (آل كاشف الغطاء) و (آل ياسين) , والمسلك الثاني تلاميذ "منتدى النشر" العراقيين الذي جمع جهود العديد من الاسر والشخصيات الدينية والعلمية والادبية العراقية . والاتجاه الاول تأثر بقرار وتعهد مؤسسيه للقوى البريطانية والحكومية بعدم التدخل في السياسة , وقد سحب اليه مجموعة من البيوتات العراقية في الجملة وبالتدريج , اما الثاني فكان وارثاً لبقايا الثقافة الميدانية والثورية للمرجعيات العراقية القديمة , وقد احتاج العاملون ضمنه الى الصمود والتضحية . ومن مشاهير الاتجاه الاول (الخوئي) وتلامذته , ومن مشاهير الاتجاه الثاني السيد (محمد باقر الصدر) وتلامذته .

وقد وصل الامر أن تم نفي السياسي العراقي (تقي المصعبي) الكربلائي سنة ١٩٦٣ م في جمهورية القوميين الطائفيين العسكر , رغم تخرجه من معاهد أوروبا السياسية , حتى توفي

^{٤١٥} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ١٥٦

خارج العراق , ويبدو من مؤلفاته أن سبب نفيه هو رفض السلطة لمعتقداته المذهبية وأنه لم يرق لهم تتبعه للمسائل التاريخية^{٤١٦}.

ورغم مساهمة وجود الشيخ (مرتضى الانصاري) كمرجع ديني اكبر للشيعة في العالم في نمو النجف الاشرف اقتصادياً منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي , حتى وفاة المرجع الديني (ابو الحسن الأصفهاني) في منتصف القرن العشرين , حيث فقدت مدينة النجف الاشرف دورها الريادي , بسبب ضغط النظام السني في العراق , وضغط المدارس العلمانية الحكومية على مدارس النجف الدينية , وظهور جيل من الشخصيات النجفية والشيعية منخرطة في التوجهات العلمانية الحكومية . مما رفع من تأثير المدارس الدينية لمدينة (قم) الإيرانية . لا سيما مع وجود مرجعيات دينية نجفية أقل فاعلية مثل السيد (محسن الحكيم) و (ابو القاسم الخوئي) . ليتم توجيه ضربة كبيرة لدور مدينتي النجف وكربلاء من خلال نظام البعث الصدامي الذي قضى على الكثير من مفاصل الحركة العلمية والأدبية والسياسية في المدينتين , وعزز ذلك بالقطيعة الشيعية – الشيعية التي أنتجها حربه ضد الجمهورية الإسلامية في إيران في ثمانينيات القرن العشرين . حتى انقطعت الكثير من عرى التواصل الشيعي الداخلي في العراق نفسه , لا سيما بين العشائر والمرجعيات الدينية^{٤١٧}.

^{٤١٦} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ٣٣

^{٤١٧} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ١١ □ ١٢

ورغم أن القضاء في العراق الملكي كان يعتمد على الأسس الشرعية الإسلامية في بعض جوانبه , بقسميه الجعفري الشيعي والسني^{١٨} , إلا أن زمان مرجعيتي السيد (محسن الحكيم) و (الخوئي) كان زمان ضياع ذلك القضاء وتلك الأسس لصالح القوانين الوضعية .

و حين وصلت المرجعية الدينية النجفية إلى السيد (ابو القاسم الخوئي) كانت قد اكتسبت كليا صفة المدرسية , وانتفت عنها حقيقة القيادة , ولم يكد يحس شيعي في العالم سوى بما كتبه من تقارير وأبحاث , وما قد يخرج عن مكتبه من بعض المساعدات . وكان هو وليد تام لمرجعيات غير عراقية , وأستاذ أنتج غلبة مرجعيات غير عراقية . فكان أن غابت كليا فكرة المرجعية الإمامية القائدة , وأصبح الشيعة نظريا تحت رعاية مرجعية دينية كبرى , وعمليا متفرقين مشتتين بلا راع^{١٩} . وكان السيد (علي اكبر الخوئي) والد زعيم الحوزة العلمية الشيعية السيد (ابو القاسم الخوئي) , والسيد (عبد الله الخوئي) شقيق السيد (ابو القاسم) يقيمون في كربلاء^{٢٠} . وقد اعترض السيد (محمد مهدي الكاظمي الأصفهاني) على ثناء مؤلف كتاب "مشهد الإمام" على المرجع الديني (ابو القاسم الخوئي) , واعتبره في غير محله وزيادة عن اللزوم , رغم أن الأخير كان من معاصري (الخوئي) ومن قدماء علماء العهد الملكي في العراق , مما يكشف عن اطلاع خفي يعلمه هو عن (الخوئي) ولم يعلمه الناس^{٢١} .

^{١٨} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٣ , ص ٥٧ و ٦٨

^{١٩} مشهد الإمام أو مدينة النجف , ج ٢ , ص ٣١ □ ٤٤

^{٢٠} معجم رجال الفكر في كربلاء , ص ١٤٢

^{٢١} مشهد الإمام أو مدينة النجف , محمد علي جعفر التميمي , ج ٣ , المطبعة الحيدرية ١٩٥٥ م , ص ١٣ □ ١٥



السيد محمد مهدي الاصفهاني
الكاظمي

ورغم أن جهود العلماء في احياء الحركة العلمية في النجف الاشرف والجنوب والاستثمار فيهما لمحاربة الأفكار الشيوعية كانت تركز إلى فاعلية مرجعيات حركية مثل (محمد حسين كاشف الغطاء , عبد الكريم الزنجاني) في منتصف القرن العشرين^{٢٢} , إلا أن انقسام



المجتمع الشيعي باتجاهين فكريين , ديني و شيوعي , فرض حتمية الصدام بينهما , فكانت النتيجة انحسار المد الشيوعي , بفضل "جماعة العلماء في النجف الاشرف" , التي أصبح بعض اعضائها نواة لـ "حزب الدعوة الإسلامية" . كما ساهم في رجوع الفكر الإسلامي إخفاق الفكر القومي في تجربته السياسية. إلا أن الفكر القومي في العراق بقيادة (حزب البعث) استخدم العنف

^{٢٢} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٩

للقضاء على الحركة الإسلامية عموماً , وحزب الدعوة الإسلامية خصوصاً , حتى قام بإعدام الرمز الإسلامي الكبير للشيعة والحزب السيد (محمد باقر الصدر) في بداية الثمانينات^{٤٣} .

لقد كان ابتعاد المرجعية الدينية عن المسار السياسي كلياً , وعن المسار الاجتماعي جزئياً , تركاً صريحاً للناس والشيعة بالخصوص في مهب الرياح الحزبية العلمانية والقومية العاتية التي انفجرت في العراق ودول العالم منذ اربعينات القرن العشرين الميلادي , فكان من الطبيعي تشظي ذلك المجتمع بين هؤلاء وأولئك , لا سيما بعد ظهور الحكومات الانقلابية العسكرية التي أسست جمهوريات طائفية شديدة العلمانية والتبعية للغرب . وكانت تلك هي بداية الانقسام الفكري الشيعي .

فظهرت اولى الحركات التنظيمية الحزبية للشيعة على يد الشيخ (عز الدين الجزائري) في النجف الاشرف في العام ١٩٤١م باسم "منظمة الشباب المسلم " بشكل شعبي سري , التي تفرعت عنها "منظمة المسلمين العقائديين" النخبوية الجامعية . ثم انبثق "حزب الدعوة الإسلامية " في نهاية الخمسينات , لتكون النتيجة الحتمية تصادم هذين التنظيمين في ظل غياب الراعي المرجعي الحقيقي .

لقد كان من المحتوم والمنطقي أن يبحث الشباب الشيعي عن أطر سياسية تطالب بحقوقه , بعد غياب المرجعيات الدينية التي قادته لقرون بشكل مباشر , وكان من المتوقع أن يتيه في

^{٤٣} مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , ص ٩

ظل هذا الثوب الجديد غير المعتاد عليه , كما كان من الطبيعي أن تنساق تلك التنظيمات الى قيادات فردية متضاربة وغير مؤهلة روحياً ومعرفياً لهذه المهمة الكبرى , في مجتمع اعتاد على القيادة الهرمية المباشرة ذات المؤهلات والاستعدادات الروحية والمعرفية العالية . إذ كان تخلي المرجعية الدينية عن دورها السياسي وجزء كبير من دورها الاجتماعي سر انحدار المجتمع الشيعي في العراق , بعد أن قادته الأنظمة الطائفية العسكرية والمجموعات الحزبية القومية والشيوعية العلمانية التائهة إلى رمال جرداء .

فكان من الطبيعي أن يتحرك جملة من العلماء العراقيين لتأسيس كيان تحت عباءة المرجعية



الشيخ محمد رضا آل ياسين وسط

الدينية لكنه خارجها لمواجهة المد والغزو الثقافي الأجنبي الخطير , وسط ضياع الكثير من أبناء المجتمع الشيعي في

صحراء التخبيط السياسي والاجتماعي



الشيخ مرتضى آل ياسين

الذي أنتجته تلك الفترة المتأزمة . فتأسست "جماعة العلماء" بقيادة المرجع الشيخ (مرتضى آل ياسين) في العام ١٩٥٨ م , وكان لها دور مهم في إعادة إحياء روح المجتمع الشيعي العراقي بعد انقطاع , ومن خلالها ظهرت شخصية مرجعية عظيمة ومؤثرة غيرت مفاهيم

المرجعية الدينية واربكت خصوم الشيعة وأثرت في المجتمع السياسي والاجتماعي العراقي

طيلة العقود اللاحقة , وهي شخصية السيد (محمد باقر الصدر) , صاحب كتاب "اقتصادنا" وكتاب "فلسفتنا" المشهورين في الأوساط العالمية فضلاً عن المحلية , والذي غير في شكل ومضمون المدرسة الفقهية والأصولية النجفية بشكل جديد واضح . والشيخ (مرتضى آل ياسين) شقيق المرجع الديني الشيخ (محمد رضا آل ياسين) , بدأوا في النشاط الفكري والادبي بهدوء حين آلت المرجعية الدينية اليهم , وهم أحوال السيد (محمد باقر الصدر) صاحب المرجعية الحركية الأشهر بعد ذلك .

بينما انتقلت زعامة حوزة (قم) بعد وفاة السيد (صدر الدين الصدر) في منتصف الخمسينات إلى السيد (حسين البروجردي) حتى بداية الستينات من القرن العشرين , الذي سلك بها على الطريقة المدرسية , في ظل اشتداد البطش الأمني البهلوي حينها . في حين كان السيد (محسن الحكيم) على الجهة المقابلة في العراق يحاول في ذلك الوقت إعادة إحياء الروح الاجتماعية للحوزة العلمية النجفية^{٤٤}.



السيد حسين
البروجردي



السيد صدر الدين الصدر

^{٤٤} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣١٤

وتأسست في إيران عند بداية الخمسينات جمعية دينية لمواجهة النشاطات البهائية كان اسمها (الحجتية) ، على يد (محمود ذاكر زاده الحلبي) ، والتي تسبب تشدد النظام السياسي وضعف مستوى قاداتها الفكري تدريجياً في إيمانها بضرورة عدم تحريك أي ساكن سياسي قبل ظهور الإمام الحجة ، وقد تناست بمرور الأيام حجمها وصارت تواجه مسيرة العلماء المجتهدين. ونتيجة لايمانها المطلق بضرورة السكون والسلبية السياسية اختارت إتباع مرجعية (الخوئي) الدينية وتركت المرجعيات الدينية العاملة في إيران ، فيما ارتبطت فكراً بكتابات السيد (مرتضى العسكري) المذهبية ، وعارضت □ مثل أي جماعة ضعيفة الأصل الفكري □ منهج الفلسفة كليا . ثم كان لها دور سلبي تجاه الثورة الإسلامية في إيران ، لولا تدخل السيد (الخميني) وتحجيمه لنشاطها^{٤٢٥}.



السيد مرتضى العسكري

^{٤٢٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، ص ٣٢٨ □ ٣٣١

فيما توزعت مرجعية حوزة (قم) العلمية بعد رحيل السيد (حسين البروجردي) في بداية الستينات على عدة مراجع , منهم السيد (محمد رضا الكلبايكاني) , والسيد (محمد كاظم شريعتمداري) , والسيد (شهاب الدين المرعشي) , إلى نهاية ثمانينات القرن العشرين الميلادي .



السيد محمد كاظم شريعتمداري يسار والسيد الخميني يمين



السيد محمد رضا كلبايكاني



السيد شهاب الدين المرعشي

وقد امتازت تلك الفترة بالمنهج المدرسي شبه التام , بينما بلغت مؤسسة (قم) العلمية مرحلة كبير من النضج المؤسسي والنمو الأكاديمي وتأسيس مكاتب ضخمة جداً . لكن لم تسمح مرجعية (الخوئي) الضخمة إعلامياً لتلك المرجعيات الدينية من الانتشار في العالم الإسلامي الشيعي , لا سيما بعد قيام الجمهورية الإسلامية في إيران وفرض الحصار الدولي الاقتصادي والإعلامي السياسي والطائفي على البلاد الإيرانية . ولم يكن من منهج ميداني مختلف حينها سوى منهج مرجعية السيد (روح الله الخميني)^{٤٢٦} .



السيد محسن الحكيم

لقد اتسمت المواجهة بين المرجعية الدينية بقيادة السيد (محسن الحكيم) والأنظمة الانقلابية العسكرية الطائفية في العراق بالتصاعد , من المواجهة الثقافية خلال فترة حكم (عبد الكريم قاسم) , حيث كان السيد (محسن الحكيم) يرتب الأوراق الاجتماعية التي بعثرتها المرجعيات غير العربية التي سبقته , وكان في مواجهة فكرية مع

الشيوعيين الملحدون والقوميين الطائفيين , وقد نجح في جزء كبير منها إذا تم النظر إلى سوء التركة التي ورثها مبعثرة عن غيره , إلا أنه فشل في منع تغيير القوانين العراقية على يد الشيوعيين في تلك الفترة حين ابعدها قسراً عن الإسلام , ثم المواجهة السياسية ضد مجموع

^{٤٢٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣١٤ □ ٣١٥

النظام الطائفي في الفترة العارفية , ثم المواجهة السياسية والأمنية مع نظام البعث بعد ١٩٦٨ م إلى غاية وفاة السيد (الحكيم) في العام ١٩٧٠ م , حيث شهدت اعتقالات تعسفية بالجملة , واعدامات مخطط لها , وتهجير لطلبة الحوزات العلمية الدينية غير العرب , أدت بالسيد (محسن الحكيم) إلى عقد مؤتمر شعبي علمائي كبير في مدينة (الكاظمية) لاستعراض القوة أمام السلطات البعثية العسكرية الطائفية , إلا أن السلطة لم ترسل أحد للتفاوض مع السيد (الحكيم) , بل أرسلت رجالها لاعتقال العشرات من الناس والعلماء كان منهم بعض أبناء السيد (محسن الحكيم) نفسه , دون أن يجد السيد (الحكيم) قواعد شعبية حقيقية لنصرته , فكشفت السلطة أن هناك خلافاً جسيماً في المنظومة الشعبية والكوادر الوسطية والقيادية الشيعية , مما جعلها تتوحش إلى حد لم يشهد له التاريخ العراقي مثيل طيلة الثلاثين سنة اللاحقة , حتى أنها أهدمت أشهر شخصية عسكرية شيعية عراقية (رشيد الجنابي) ومجموعة من القيادات العسكرية والدينية .

لا سيما أن واحدة من أهم المرجعيات الدينية التي تزامنت مع مرجعية السيد (محسن



السيد محسن الحكيم في لقاءاته

الحكيم) كانت مرجعية دينية مدرسية بحتة , تمثلت في شخصية الشيخ (حسين الحلي) الذي يعود بنسبه الى قبيلة عربية مهاجرة , كما أنه تلميذ مرجعيتي (النائيني) و

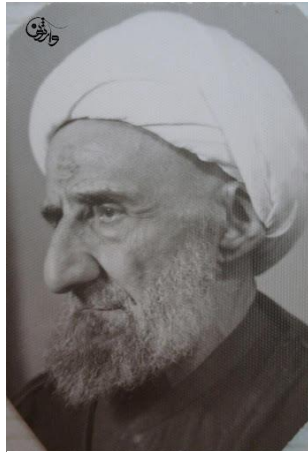
(العراقي) المدرسية , واستاذ لأغلب المرجعيات الدينية المدرسية حتى وفاته في العام ١٩٧٤م



السيد محسن الحكيم وسط



من اليمين: السيد الخوئي، السيد محسن الحكيم، السيد محمود الشاهرودي والسيد علي التبريزي



الشيخ حسين الحلّي

وقد كان هذا الخلل والانفصال بين المرجعية الدينية والقواعد الشعبية ناشئاً كنتيجة مباشرة لعقود المرجعيات الدينية التي أعقبت ثورة العشرين في العراق , من انعزالها السياسي , وغربتها عن المجتمع العراقي القبلي , ورحيل الكوادر الوسطية الناشطة , وهجرة أبناء القبائل العربية العراقية إلى المدن واختلاطهم بالفوضى الأخلاقية والاجتماعية والسياسية , حيث راح تتجاذبهم الأحزاب والنوادي والمقاهي , وتنشئهم المدارس الحكومية الطائفية الموجهة , كما ازداد بعضهم جهلاً بعد عزله عن منظومة الخدمات التعليمية والثقافية الرسمية ومنعه من مصادر الوعي القديمة غير الرسمية . فكانت وسائل المواجهة غير جاهزة بيد السيد (محسن الحكيم) , وكان عليه صناعة القاعدة الشيعية الشعبية من جديدة قبل استخدامها كسلاح في المواجهة , إلا أن عذره ربما سرعة التغييرات السياسية وحجم سوء الصنيع الذي بدأته الأنظمة الانقلابية العسكرية الطائفية شديدة العلمانية , وهي خليط عجيب من التناقضات لا يجمعه الا العمالة لبريطانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية , وعدائه للشيعنة عموماً , حيث وجد هؤلاء القوميون أن الأنظمة الانقلابية العسكرية المدعومة غربياً بديل موضوعي للفترة الطائفية العثمانية .



الشيخ احمد الواتلي

لكن كان من ثمرة هذا العمل الثقافي والاجتماعي للمؤسسة الدينية النجفية , لا سيما تأسيس المكتبات العامة واحياء المناسبات الدينية والدعوة إلى الدراسة الدينية في النجف الأشرف , ظهور مؤسسات أكاديمية مهمة مثل "كلية الفقه"

التي خرّجت جيلاً مؤثراً طيلة عقدي الثمانينات والتسعينيات مثل الشيخ (أحمد الوائلي) والسيد (محمد محمد صادق الصدر) , و "كلية أصول الدين" في بغداد .

كما كان هذا النشاط الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي يؤتي ثماره ببطئ , حيث كانت حركة السيد الشهيد (محمد محمد صادق الصدر) تعتمد بشكل كبير على ثمرات وجوده لاستنهاض المجتمع العراقي الحر في التسعينات , كما كانت كل الأحزاب والقوى العراقية الناشطة طيلة السبعينات والثمانينات والتسعينيات وبعد سقوط النظام البعثي الصدامي في ٢٠٠٣م تنتمي بشكل أو بآخر إلى جذور ذلك الحراك , لا سيما إلى نشاط السيد (محمد باقر الصدر) . وكان من الواضح أنه كلما ابتعدت القيادة المرجعية في النجف الأشرف عن الأجانب واقتربت من العرب العراقيين ينشط المجتمع الشيعي العراقي بشكل ملحوظ , فقد كانت مرجعية (الخوئي) عملياً شبه غائبة عن كل ذلك النشاط طيلة فترة السبعينات والثمانينات .



السيد محمود الحسيني
الشاهرودي

لقد كانت وفاة السيد (محسن الحكيم) تعني حصر المرجعية الدينية النجفية في شخصيتين غير عراقيتين من الحوزة المدرسية الغالبة في النجف رغم جهود السيد (الحكيم) , هما (محمود الشاهرودي) الذي توفي في العام ١٩٧٦م دون أن يحقق قاعدة شعبية , والسيد (ابو القاسم الخوئي) الذي حظي بدعاية منظمة جعلته منفرداً لعقدين في

هذا المركز .

وخلال مرجعية السيد (محسن الحكيم) صدر قانون الإصلاح الزراعي في العراق , بعد انقلاب العسكر في ١٩٥٨م , بعدما صدر قبله قانون مماثل من العسكر في مصر في عام ١٩٥٢م , وقد تم سنّ مثله بعد انقلاب اليمن لاحقا , سلبت الحكومة عبره الأرض من كبار الفلاحين . وحكومة ١٤ تموز العسكرية أصدرت القانون في الشهر التاسع من عام ١٩٥٨م , فيما هي قد تشكلت في الشهر السادس من نفس العام , فكيف صاغت قانوناً يمثل هذا التعقيد وهذه الأهمية في غضون شهرين ! . ولم ينتبه الناس إلى أن هذه "الحكومة الثورية" اخذت الأرض لتعطي بعضها لقبائل كانت تدور في الصحراء ولا تملك أرضاً لأسباب طائفية , ولتجعل العراق منذ ذلك الحين يستورد الغذاء عن طريق الشركات الأجنبية , حيث اصبح جنوب العراق الخصب أرضاً بوراً , ان كان الفلاحون الصغار لا يستطيعون تمويل زراعة هذه الأراضي الكبيرة , فيما كانت الحكومة كانت تركز جهودها في تثبيت وتمويل قبائل بعينها في مناطق أخرى , مع ذر الرماد في عيون بعض أهالي الجنوب وخذاعهم لفترة مرحلية لا تغني ولا تسمن من جوع . فلقد كانت الأنظمة الملكية السائدة في مصر والعراق واليمن - على طائفتها وبطنها - مهنية وعلمية وأقرب الى الفهم الحضاري من حكومات العسكر اللاحقة . والغريب أن هذه الانقلابات حدثت في عشرية واحدة من السنين للفترة ١٩٥٢ - ١٩٦٢م , الأمر الذي يكشف اشتراكها في المصدر . وهي متشابهة في السلوك والنتيجة . ففي مصر التفت مجموعة من الضباط حول (محمد نجيب) , لما له من كاريزما داخل الجيش الملكي ,

ليغدروا بالحكم الملكي الخديوي , ثم غدرت مجموعة من الضباط القوميون ب(محمد نجيب) واسقطوه . وفي العراق التفّت مجموعة من الضباط حول (عبد الكريم قاسم) , لما له من كاريزما داخل الجيش الملكي , ليغدروا بالحكم الملكي الفيصلي , ثم غدرت مجموعة الضباط القوميون والبعثيين ب(عبد الكريم قاسم) واسقطوه . وفي اليمن التفّت مجموعة من الضباط حول (عبد الله السلال) , الذي أرسله إمام اليمن بنفسه الى العراق للدراسة في الكلية العسكرية , وأخرجه ولي العهد اليمني من السجن بنفسه , بعد أن غدر بعائلة الأئمة وقربه , وغدروا بحكم أئمة اليمن , ثم غدرت مجموعة من الضباط الناصريين القوميون من فرقة المظليين ب(عبد الله السلال) واسقطوه . والنتيجة أن مصر والعراق واليمن صارت في ذيل قائمة شعوب العالم , بعد أن كانت قبل هذه الانقلابات بستان العالم .

إنّ قيام الدولة العراقية الحديثة بعد ثورة الشعب العراقي الكبرى بقيادة الحوزة العلمية والنخب الاجتماعية , شهد تسليم السلطة من قبل الاحتلال البريطاني الى عناصر كان أغلبها يقيم خارج العراق ولا يحظى بوجود على الارض ومصاب برفض ونبذ اجتماعي , بسبب تكوّنها من الضباط الذين خانوا الدولة العثمانية وأيدوا الوجود البريطاني الاستعماري , كما انهم كانوا جزءاً مهماً من ماكنة سحق الأغلبية الشيعية في زمان العثمانيين لاعتبارات طائفية . في الوقت ذاته قامت القوات البريطانية بالتعاون مع المرتزقة الجدد بمحاربة وإيذاء كوادر الجمعيات الاستقلالية , التي قادت جهود محاربة الاحتلال البريطاني ودعمت ضمناً القوات العثمانية لاعتبارات دينية واقليمية , وكانت تتمتع بدعم ووجود

جماهيري كبير , بسبب ارتباطها الوثيق بالقيادة الدينية العراقية , وتشكلها من عناصر نخبوية بعيدة عن الغنائم العثمانية او المصالح البريطانية . هذا كله جعل من السلطة العراقية - بكل كوادرها الإدارية والعسكرية - تعيش عقدة النقص والحاجة امام بريطانيا والأجنبي عموما , كما تعيش عقدة العداة للشعب . واستمرت هذه العقد بالتطور والتعقيد مع مرور الزمن , ومع استمرار المقاومة الشعبية لهذه الظاهرة الدخيلة والمفروضة , ومع ازدياد الوجه الطائفي للحكومة العراقية البريطانية .

وقد عملت السلطات المشتركة على دمج مجتمع البداوة في صحارى العراق ضمن الحكومة والادارات المختلفة في المدن والقرى , واعتماد الإبعاد الكلي لمن يعارض او عارض الوجود البريطاني , مستغلة الرؤية الدينية لغالبية الشعب العراقي آنذاك - الشيعة - التي تحرم العمل تحت ولاية الظالم والسلطات الجائرة , الامر الذي افرغ الساحة تماما امام عناصر البداوة والطائفية , وامام صنائع بريطانيا .

والنخب العراقية كانت في الغالب ضمن الدائرة الشيعية , وكان الاقتصاد الشيعي هو الأفضل لخصوبة الارض وحركية المجتمع وتمدنه , لذا كان ابتعادهم - لأسباب دينية او سياسية - فرصة لاستيلاء غلظة البدو وأجلافهم على الادارة , مما سمح بدوائر ومؤسسات تحمل عقل الصحراء الغريب .

ورغم ان الشعب العراقي انطلق في ثورة العشرين - وقبلها ثورة بني مالك ١٩١٩ - تحت تنظيرات دينية ووطنية تقودها الحوزة العلمية , الا ان المرجعية الدينية المدرسية التي كان لها اليد العليا فوق المراجع الموجودين آنذاك لم يكن لها مشروع سياسي ولا اداري , وإنما

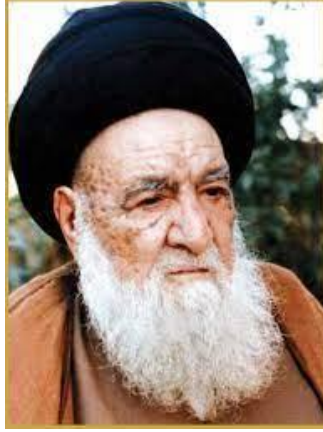
كان تساير الحركة العشائرية النخبوية للمجتمع الشيعي بعفوية فقط , وهذا ما لا يتناسب والعقل التأمري البريطاني , ولا يمكن له صدّ غنائمية وانتهازية البدو , لذلك انخفضت نسبة التجار الشيعة بعد عقد واحد على قيام الدولة العراقية , بعد أن كانت نسبتهم قبل ذلك كبيرة . وتكمن خطورة ذلك في أهمية القدرة المالية في التعليم وتأسيس المشاريع حينها . كما تم لتلك الأسباب مجتمعة تصفية النخب والقادة الدينيين الشيعة خلال فترة وجيزة , دون وجود مشروع مرجعي او سياسة مرجعية موازية وواضحة تناسب الحدث او تكافئ الدم العراقي المواجه .

في خضم ذلك كان التعليم قد جمع بين ظواهر العسكرة والطائفية والعشائرية , وتم انشاء اجيال من العقول المشوهة , وأنتج الصراع الاجتماعي اجيال من المضغوطين نفسيا , وتسببت الدماء السائلة بشرخ وجرح اجتماعي خطير , وتسبب الانتقال من ريف الجنوب الى المدن المحاصرة - بسبب السياسة التطويقية المتعمدة - الى انهيار النفس والقيمة لدى الانسان الشيعي , كذلك فعل دمج الصحراء باللون الأخضر ضمن قطاعات مباني واحدة , ديموغرافيا , الى بروز ظواهر وامراض اجتماعية كبيرة .

انّ ضياع التاريخ والجهد الثوري الشيعي واستلابه وحصار اقتصاد الجنوب والوسط وغياب المشروع المرجعي المنقذ وصعود الانتهازيين والنفعيين في كل الاطراف تحت ظلّ الظروف المشوهة تلك , وكذلك عقدة التاريخ والحاجة للأجنبي التي عاشها الطرف السلطوي وما جلبه من أمراض الصحراء , كل ذلك أنتج شخصية ادارية وسياسية عراقية مريضة ومشتتة .

وفي السبعينات , وبعد تكريس السلطة لصالح حزب (البعث) العفلقى كان الوضع يشهد موقفاً طريفاً , حيث وصلت قيم البداوة والانهيال القيمي والمهني - بفعل هذا التيار الصحراوي المائج منذ قيام الدولة العراقية الحديثة - الى مرحلة الصراع بين طرفي نقيض في الحزب , فمن جانب كانت هناك الكوادر الأكاديمية التي تمثل واجهة الحزب الفنية والإدارية , ومن جانب اخر كانت هناك الكوادر العشائرية الصحراوية التي كانت تشغل مراكز أمنية واستخبارية , وجميعها تحت نظر الادارة العسكرية التي ضعفت كثيراً بسبب انهيار القيم العسكرية تحت ضغط الغنائمية والانتهازية الصحراوية . فشهدت فترة الصراع بينهما سيلاً من الدماء وتلوياً للسمعة , ولما كانت الكوادر الأكاديمية في الغالب من الجنوب او الوسط العراقي الشيعي فقد كان من السهل تخوينها واتهامها بالعمالة , وجرّ العشرات الى المقصلة بجنائية مبهمه لواحد . ولما كانت الكوادر الصحراوية غير قادرة على استلام السلطة , لافتقارها العلمي , فقد شكّل الحزب لجاناً ترتبط كل واحدة منها بوزارة , وتشرف على عمل وقرارات الوزير الذي كان غالباً من الطرف الأكاديمي , ويدير تلك اللجان احد الصحراويين , حتى وصل الامر الى تصفية كل الكوادر الأكاديمية وتسليم السلطة مباشرة الى الصحراويين الامنيين .

ولما انهارت المؤسسة القضائية - بعد السياسية والإدارية - لم يبق امام الفرد العراقي سوى الأمراض النفسية والاجتماعية , وتضاعفت العقد التي تعيشها القيادات الإدارية , وصارت تتباهى بالإساءة للمواطن وخدمة السلطان .



السيد ابو القاسم الخوني

ورغم اتساع رقعة طلبه (الخوئي)^{٤٢٧} وشمولها العشرات من مختلف دول العالم , إلا أن طلبه (الخوئي) القلائل المشهورون بالعمل السياسي والجهادي , مثل السيد (محمد باقر الصدر)



الزعيم الأفغاني السيد محمد سرور واعظ

في العراق والسيد (محمد حسين فضل الله) في لبنان والسيد (محمد سرور واعظ) المجاهد بالكلمة ضد الأنظمة الديكتاتورية والشيوعية الموالية للاتحاد السوفيتي في أفغانستان , لم يكونوا في عملهم الناشط ذلك ينتمون إلى مدرسته في شيء من هذا الجانب كما توهم بعض

الباحثين , بل هم طلبته في الحدود الفقهية والأصولية المدرسية فقط لا غير , بل إن السيد (محمد حسين فضل الله) كان متأثراً بالسيد (محمد باقر الصدر)

^{٤٢٧} المؤلف يتحدث عن فترة الثمانينات وفترة التسعينات من القرن العشرين الميلادي وما بعدها كشاهد على عصره , بصورة مباشرة أو غير

نفسه , الذي هو تلميذ المدرسة الحركية العراقية وكان خلفاؤه الفكريون في خصومة مع ورثة (الخوانساري) الفكريين , بينما كان السيد (محمد سرور واعظ) ابن عائلة دينية أفغانية ومدرسة (كابُل) الدينية وقد نال الاجتهاد من السيد (محسن الحكيم) وتأثر به . ورغم شهرة مدرسة (الخوانساري) علمياً إلا أنها مدرسة لم يكن لها من علاقة بالسياسة في ظل تلك الظروف الصعبة التي عاشها العراق من جو سياسي إرهابي بعثي مشبع بالطائفية المتطرفة . ولم يكن لمدرسة (الخوانساري) من علاقات دينية أو اجتماعية أو سياسية بالثورة الإسلامية في إيران التي قامت سنة ١٩٧٩م بقيادة السيد (روح الله الخميني) , فنجح نظام (صدام) البعثي في ترويج شعارات ودعايات حزب البعث الطائفية المعادية للإسلام وسلوكياته المعادية للشيعنة في الأوساط الشيعية التي تاهت منذ منتصف السبعينات وفترة الثمانينات في سكرة اللاوعي . وقد كان (الخوانساري) يخشى او تخشى حاشيته ربما أن يتم إخراجهم من العراق باعتبارهم غير عراقيين , وهي ذات الأنانية التي جعلت مرجعيات (الخراساني) و (الأصفهاني) تبيد ما صنعته مئات السنين من الجهاد العلمائي الشيعي . فكانت مرحلة مرجعية (الخوانساري) فترة انقطاع شبه تام بين الشيعة وحوزتهم العلمية , وفترة ذهبية للسلطات الطائفية والعلمانية الظالمة التي لم تجد من مشروع يواجهها , سوى نشاطات فردية وحزبية متفرقة لم تجن سوى الموت الذريع^{٤٢٨} .

^{٤٢٨} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٦٧ □ ٣٠٧

وفي مثال ناتج عن فترة الخمسينات والستينات في العالم الإسلامي الشيعي كان هناك مفكران



د. علي شريعتي

, خرجا من رحم المجتمع الشيعي , هما (علي شريعتي) في ايران و (هادي العلوي) في العراق , والأول سلك طريق البحث العلمي والمنهج الأكاديمي والأجواء الدينية الحوزوية , والثاني سلك طريق نقاشات المقاهي والتيه المعرفي ومنتديات النوادي , فصنع الأول ثورة

الإسلام في ايران , وضاع الثاني في غياهب الماركسية دون أن يعرفه الكثير من العراقيين رغم أنه ابن رجل دين .

لقد وعى السيد (محمد باقر الصدر) كل هذا الانقطاع اللاواعي في تاريخ الشيعة , وكل ذلك الانحسار العملي والنظري الذي تعيشه المرجعية الدينية منذ عصر (ابو الحسن الأصفهاني) , فبدأ نشاطه بوجود مرجعية السيد (الحكيم) لرد الأفكار الشيوعية وغيرها التي غزت الأمة الإسلامية ومنها العراق , فكانت كتبه العملاقة "فلسفتنا" و "اقتصادنا" , ثم توجه لبناء النخبة التي من وظيفتها صناعة وقيادة القاعدة الشعبية التي لم يلتفت إلى جديتها السيد (محسن الحكيم) , كما أنه قرر تغيير ما توارثته الحوزة العلمية من مناهج معرفية ودراسية بما يواكب تطور مسيرة الإنسان , فتعرض لحرب شنعاء من جهتين , داخلية من حاشية مرجعية (الخوانساري) , تعرض خلالها للتسقيط حتى أوقف درسه العالي لفترة , وقد

شكى كل ذلك ل(الخوئي) عدة مرات , وخارجية قاسية يشنها النظام البعثي الطائفي عليه وعلى تلامذته , فكان كل ذلك يصب في خسارة كل شيعة العالم , بل وكل المسلمين , لقيادة دينية مميزة ونوعية كان من الممكن أن تسير بهم فيما لم يعرفوا من قبل من النجاح^{٤٩}.



السيد محمد باقر الصدر

وتبنى السيد (محمد باقر الصدر) فكرة "المرجعية الصالحة" , التي عنى بها المرجعية المؤسساتية , أو التي أسماها "الموضوعية" بديلاً للمرجعية الدينية الفردية , التي تقوم على أساس شخص المرجع الديني والعمل العشوائي العفوي , والتي أسماها "الذاتية" التي تنتهي ثمرتها بموت شخص المرجع . وتقوم مؤسسات المرجعية الصالحة على مجموعة من اللجان المنظمة , التي تهدف في عملها إلى توفير المشورة للمرجع الديني , كما أنها الأداة التنفيذية له باعتباره نائب الإمام المعصوم , ومن وظائفها الاشراف وتطوير المناهج والكيانات والبنى التحتية والإنسانية للحوزة العلمية , كما تشرف على توسيع وامتداد عمل وكلاء المرجعية الدينية الصالحة , ويرجع إليها تنظيم الأمور المالية , ويقع على عاتقها الإحصاء والمتابعة والتحليل

^{٤٩} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٢٦٧ □ ٣٠٧

. ولعل أهم ما توفره مؤسسات المرجعية الدينية الصالحة المساعدة في اختيار المرجع الديني الجديد , وتوفير المساحة والظروف الملائمة لعمله من حيث انتهى المرجع الديني الذي كان قبله لا من الصفر , كيلا يستنزف التغيير جهود وموارد الأمة . كما أن مؤسسات المرجعية الدينية الصالحة تكون مؤهلة للدخول في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأكاديمي . ومن أهدافها فتح فروع الحوزة العلمية في المحافظات المختلفة , واستقطاب الكفاءات الأكاديمية المتخصصة .

وعلى المرجع الديني الواعي العمل على تأهيل المجتمع الإسلامي لقبول وتطبيق فكرة المرجعية الصالحة قبل تصديه لها , كمرحلة مقدمات واجبة عليه ومن وظائفه . كنا أن عليه السعي لتطبيق ما يمكن توفيره من أجزاء وآليات تلك الفكرة قبل تمام القدرة على إيجادها^{٣٠}.



الشهيد الصدر مع ابن عمه السيد موسى الصدر في صور أثناء زيارته إلى لبنان
سنة ١٩٦٩

^{٣٠} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣٨٨ □ ٣٩٧

ولم تساعد ظروف السيد (محمد باقر الصدر) الأمنية والحوزوية على إنشاء تلك المؤسسة الدينية المهمة , لكنه وضع الأسس العامة لفكرتها , مما مكن وريثه المرجعي السيد (محمد محمد صادق الصدر) من البدء بإنشاء المزيد من تلك اللجان بنحو يفوق ما كان معروفاً قبل تصديه , حيث كان العمل يعتمد على نظام العائلة والحواشي والمحسوبة. فكان وريثهما العلمي والحوزوي الشيخ (محمد اليعقوبي) اقدر على تأسيس مجموعة ضخمة من اللجان والمؤسسات المنظمة المساعدة للمرجعية الدينية , واستطاع تفريع ونشر المؤسسات الحوزوية العلمية في مختلف المحافظات العراقية , واستقطبت مرجعيته النخب الأكاديمية بشكل ملفت , حتى صار وجود حملة شهادة الدكتوراه والأطباء والمهندسين والصيادلة وباقي التخصصات الأكاديمية من المعممين وغيرهم في مكتبه أو في فروع مؤسسات مرجعيته أمراً مألوفاً .

كذلك سرت تأثيرات فكرة السيد (محمد باقر الصدر) تلك وتطبيقات السيد (الصدر الثاني) والشيخ (محمد اليعقوبي) لها إلى باقي الكيانات المرجعية في الحوزة العلمية بالتدرج , لاسيما بعد سقوط نظام (البعث) وتوفر الإمكانيات المادية والبشرية والرسمية الضخمة لدى المرجعيات الدينية المدرسية , والتي لم يعد بالإمكان إدارتها بصورة عشوائية , لكنها ظلت خاضعة تحت يد العائلة والحواشي , فظهر فيها تقصير وقصور جَمّ .

بينما صارت فكرة المرجعية الدينية الصالحة تلك تطبيقاً عملياً ورسمياً موسعاً في الجمهورية الإسلامية في إيران بعد قيام نظام الولي الفقيه فيها .

وقد بلغ استياء السيد (الصدر) ذروته حين صرّح (الخوئي) للصحافة العالمية التي جاء بها نظام البعث إليه في العام ١٩٧٧م بأن "شيعة العراق بخير" , رغم الجور والتعذيب والتهجير والمضايقة التي يتعرض لها الآلاف منهم , ومنهم السيد (محمد باقر الصدر) نفسه الذي اعتقله النظام البعثي وأساء إليه , فحصلت القطيعة التامة بين المرجعيتين رغم حرص (الصدر) لسنين على حفظ وحدة الحوزة والمرجعية الدينية . لكنّ (الصدر) كان وريث تاريخ وزعامة وفكر وصاحب مشروع , بينما كان (الخوئي) ظاهرة علمية ابرزتها الظروف الإعلامية والأمنية والسياسية ككيان منفرد لا يشاركه أحد إلا أسقط .

فسار (الصدر) وفق رؤية "تحطم المرجعية الدينية وهي متحركة افضل من تحطمها وهي ساكنة" كما عبّر الباحث (جودت القزويني) , فبدأ في مواجهة شاملة ومطالب بالحريات مع السلطة البعثية , التي واجهته بكل قسوة .

لقد بدأ نظام البعث يحاول منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران كسب ود العشائر الشيعية , ويخدعها بوعود الإصلاح في البنية التحتية المنهارة في مناطقها , كما راح يمد بعض شيوخ العشائر بالمال والهدايا التي يتم إنفاقها على ملذاتهم , كما كان جهازه الإعلامي والتعليمي يقطع الفكر الشيعي عن مصادر تغذيته الرئيسية , ويغذيه بفكر طائفي , بينما سارع إلى زراعة أئمة مساجد يعملون في أجهزة السلطة وزرع الحوزات العلمية بعناصر الأمن والمخابرات. فكان من الضرورة صدور فتوى السيد (محمد باقر الصدر) التي تحرّم الانتماء لحزب البعث , حيث كان ذلك الحزب يحصر الانتماء السياسي إليه فقط .



السيد محمد باقر الصدر

ورغم جهود السيد (الصدر) وتأييده المطلق للثورة الإسلامية في إيران ومساهماته الفكرية والتنظيمية فيها إلا أن الجهود الإيرانية لم تكن منظمة في دعمه , وعذرها يومئذ ربما حداثة النظام الإسلامي فيها وفوضى التشكيل في السنة الأولى من عمرها , فكانت برقية منسوبة للسيد (الخميني) تدعو (الصدر) للبقاء في النجف الأشرف وحمابتها سبباً مباشراً لإدانة (الصدر) من قبل النظام البعثي العفلقي الصدامي , والتي يرجح بعض الباحثين أنها من تسريبات تيار (محمد الشيرازي) الذي سيطر على القسم العربي في إذاعة طهران في السنة الأولى للثورة , بغاية الإساءة للسيد (الصدر) نفسه . إلا أن السيد (محمد باقر الصدر) في حزيران ١٩٧٩م اختار تهنئة السيد (الخميني) كمرجع قائد أسس دولة تقوم على الإسلام في إيران الكبيرة , صارت حافزاً لجميع المسلمين في العالم , بعد مرحلة من الضعف والتخاذل في كثير من مفاصل المرجعيات الدينية . وقد جاءت الوفود الشعبية العراقية مؤيدة لرسالة السيد (الصدر) تلك , مما عنى للسلطة البعثية الصدامية في العراق إمكانية قيام ثورة

مماثلة في العراق بقيادة (الصدر) , وعنى لمرجعية (الخوئي) قيام مرجعية عراقية عربية
حركية ميدانية , وعنى للقوى الغربية المشرفة على عمل (البعث) النصراني في العراق قيام
الجماهير بقوة نحو الإسلام من جديد بعد انقطاع لعدة عقود . لذلك وبعد اثني عشر يوماً من
رسالة التهنية التي بعثها السيد (الصدر) إلى السيد (الخميني) تم اعتقاله من قبل النظام
البعثي الصدامي , فخرجت الجماهير وقد اربعت السلطة , التي اضطرت للإفراج عنه في
نفس اليوم وإخضاعه للإقامة الجبرية , فأصدر بياناته الاخيرة معلناً وجوب الثورة ضد هذا
النظام البعثي الظالم الديكتاتوري أو العمل على حدوث ذلك . فبادرت السلطة في خطوة
خطيرة , وبعد بأسها من استحصال إدانة من (الصدر) للثورة الإسلامية في إيران أو تحريم
الانتماء للأحزاب الإسلامية أو سحب فتواه في تحريك الانتماء لحزب (البعث) العقلي
النصراني , لاعتقال آلاف الشباب المسلم المؤمن , لا سيما من القيادات العلمانية , في ظل
صمت مطبق من مرجعية (الخوئي) , ودعم مادي وإعلامي دولي منقطع النظير للنظام البعثي
في العراق , فكانت قيادة (البعث) بعد ذلك قادرة على اعتقال وتعذيب وإعدام السيد (محمد
باقر الصدر) واخته الكاتبة العلوية (بنت الهدى آمنة الصدر) خلال أيام من نيسان
١٩٨٠م بلا مقاومة شعبية تذكر . كما أصدرت حكماً غريباً غير مسبوق بإعدام كل انتمى
لحزب (الدعوة الإسلامية) بأثر رجعي أو من تشك السلطة في انتمائه إليه أو تأييد أفكاره .
وكانت تلك الفاجعة مناسبة أفرغت الشارع العراقي , لا سيما الشيعي , من قياداته
وشخصياته النوعية , فمنحت فرصة كبيرة للمغمورين والمخمورين للظهور والبروز في
الشارع الشيعي , وفرصة اكبر لمرجعية (الخوئي) بالانفراد التام بالمنصب الاعلى في مذهب

أهل البيت , لولا وجود مرجعية السيد (الخميني) العاملة , وفي العراق انفردت بذلك المنصب حتى ظهور مرجعية السيد (محمد محمد صادق الصدر) في بداية تسعينيات القرن العشرين .



السيد محمد باقر الصدر والسيد الخميني في العراق

إن مرجعية السيد (محمد باقر الصدر) جاءت بما هو جديد ومطور في المجالات الفكرية , بما في ذلك السياسية , التي قارنت الديكتاتورية منها بالفرعونية وحكمت عليها بالزوال وفقاً لسنن التاريخ , بعد أن كشفت عن أنها مقيدة للحرية والإبداع , وأنها ناشئة عن تأثير المجتمع البشري بمثل أعلى منخفض , والمجالات الدينية الفقهية والأصولية , التي سعت إلى تطوير مناهجها , كما أسست لجعل تناولها الحوزوي أكاديمياً لا عفويّاً , وفتحت آفاقاً أخرى في علم الاصول وفي لغة الفقه , بعد أن أسست في نهاية الخمسينات وبداية الستينات لفلسفة إسلامية تواجه بصلابة المدرسة المادية الشيوعية التي لم ينجح مفكروها في رد ما كتبه (الصدر) حتى سقوطها في نهاية الثمانينات من القرن العشرين , كما أسس لمبادئ

اقتصادية إسلامية استخدمها الإسلاميون في مواجهة الغزو الثقافي الغربي للعالم الإسلامي ،
فيما ساهمت في نهضة التجربة الإسلامية الثورية العملية التطبيقية في إيران ، وتحفيز رؤى
عملية لإنشاء المؤسسات الاقتصادية والمالية في العالم الإسلامي السني . وهو في كل ذلك
الجهد الفكري يستنطق القرآن الكريم ، وينطلق منه ، في إعادة إحياء جلية لمنهجه . لقد كان
الفكر السيد (محمد باقر الصدر) ، بالإضافة إلى الثورة الإسلامية في إيران ، ركيزة عملية
للحركة الإسلامية الشعبية والتطبيقية في العالم الإسلامي بكل مذاهبهم ، بالمباشرة ، أو
بالتحفيز ، بعد مرحلة الموت السريري التي تسببت بها الأحزاب السياسية القومية
والشيوعية ومجمل الأنظمة الانقلابية العسكرية الديكتاتورية القمعية^{٣١} .



السيد محمد باقر الصدر ومجموعة من طلابه

^{٣١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، القزويني ، ص ٢٦٧ □ ٣٠٧

كان اعتقال وتعذيب السيد الشهيد (محمد باقر الصدر) من قبل حزب (البعث) الإجرامي اختصاراً مدى جدية المرجعيات الدينية في العراق في الدفاع عن حرمة المذهب الشيعي الإمامي , واعتقال وتعذيب أخته العلوية (بنت الهدى) فحماً لما تبقى من شهامة ورجولة وفحولة المجتمع الشيعي في العراق , وكان إعدامهم مقدمة للحرب العراقية – الإيرانية , التي كانت مطحنة للشيعية , لا سيما ببقاء مرجعية (ابو القاسم الخوئي) المدرسية , والذي ابتكر له لقب "زعيم الحوزة العلمية" لإضفاء صفة "رئيس الجامعة" عليه بدلاً من المرجع والقائد الميداني للشيعية الإمامية في إيران والعراق^{٤٣٢}.



السيد محمد باقر الصدر وأخته العلوية الشهيدة بنت الهدى

وكانت رسائل السيد (محمد باقر الصدر) الثلاث إلى الشعب العراقي منذ سجنه الاجباري في بيته في ١٩٧٩م إلى شهادته على يد نظام صدام العفلي التكريتي البعثي تشهد التصاعد في خطابها , من المطالبة بإعادة الشعائر الدينية إلى الإذاعة العامة واحترام حرية الممارسات الدينية , إلى احترام الإنسان العراقي وكرامته وعدم اعتقاله خارج دائرة القضاء , إلى

^{٤٣٢} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٣٣٥ □ ٣٣٦

مخاطبة السنة والشيعية والعرب والأكراد جميعاً وبيان عشائرية وعقلية ومسيحية وغربية هذا النظام واجرامه وارهابه وفساده الأخلاقي ، والدعوة إلى الوقوف الدائم بوجه عصابته. وكان السيد (الصدر الأول) يراقب خروج أغلب الطلبة الكبار غير الغرب إلى الخارج ، بينما يذهب الطلبة العراقيون شهداء الواحد تلو الآخر^{٤٣٣}.

ولم تكن خطابات السيد (محمد باقر الصدر) الثلاث تصل إلى الشعب العراقي ، بسبب الطوق الأمني المفروض على السيد (الصدر الأول) ، وبسبب اعتقال وشهادة العشرات من طلابه ، وبسبب الطوق الإرهابي الأمني والعسكري المفروض على الشعب العراقي ذاته واعتقال وتعذيب وشهادة الآلاف من أحراره وأبناء الإسلام فيه ، وبسبب انقطاع حوزة السيد (الخوئي) عن التواصل معه أو الاهتمام بنشاطاته . فلم تكن تلك الخطابات المحفزة قادرة على تنشيط دماء غيارى العراق إلا بعد حين . كذلك لم تكن كلمات وخطابات السيد (الخميني) تصل إلى الشعب العراقي لنفس الأسباب . فكان الشباب الصغار في الشعب العراقي يدخلون في دوامة غسل العقول بكتابات وشعارات حزب (البعث) العقلي وتمجيد شخصية (صدام) الإرهابية طيلة فترة الثمانينات ، بدلاً عن عن مبادئ الإسلام وشخصيات المرجعية الدينية . لا سيما مع رحيل جيل كامل من حملة رسالة الإسلام في سجون حزب (البعث) العقلي التبشيري وكواليس نظام (صدام) العشائري الإجرامي ومعتقلات القوى العسكرية الطائفية والعنصرية ، وانتعاش البؤر والشخصيات المنبوذة في الوسط الاجتماعي الشيعي وصعودها بديلاً فاسداً عن الجيل السابق . فكانت تلك الفترة فعلاً نفقاً مظلماً مليئاً

^{٤٣٣} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ، ص ٣٩٨ □ ٤٠٥

بالدم والشهداء والتزوير , حذفت جيلاً من النجباء الذين تم إعدامهم في قرون من الزمن , وانتجت أجيالاً تائهة ضائعة سكرى , لولا مجيء مرجعية السيد (الصدر الثاني) التي أحييت الكثير من أجزاءها الميتة.

فبدأت الحرب البعثية الصدامية على إيران الإسلامية , في العام ١٩٨٠م , نيابة عن الأمريكان والغرب وقوى الخليج الطائفية , وكان الشيعة طرفي تلك الحرب , حيث المدافعون عن حريم ثورتهم في إيران , والشيعة العراقيون المغيبون في ظل غياب القيادة المرجعية الميدانية وتكريس قوة المرجعية المدرسية وقيمها الجديدة غير الجادة , وكذلك التغيير الذي أحدثه اختفاء أغلب قادة الشيعة المحليين الذين قضاوا في سجون البعث أو برصاص رجاله , وتأثير فترة الانتقال من الريف القيمي إلى المدينة المختلطة في الستينات والسبعينات , وانحسار التأثير المالي والتجاري للشيعة بعد سلب أراضيهم بقانوني الإصلاح الزراعي في ١٩٥٨م و ١٩٧٠م , فكان الجنود والضباط الشيعة العراقيون في مقدمة جبهة الحرب , بينما يقبع الآخرون في الخلفيات في النوادي العسكرية وكماثن الإعدام , حتى انتشرت الجثث في جميع مدن جنوب العراق , بينما كان مظهرها نادراً في وسطه الأعلى وغربه , حتى ذاعت مقولة المرأة التكريتية السنيّة حين اخبروها بمقتل أحد أقاربها حين أجابت " وهل انتهى الشروكية " وتقصد أهل الجنوب الشيعة .

ولأن الأمريكان فشلوا في تحقيق تقدم عسكري في إيران , وشعروا بالرعب بعد سقوط طائراتهم الثلاثين في صحراء (طبس) الإيرانية التي أرادت تحرير رهائن السفارة الأمريكية , دون تدخل أو علم من الجانب الثوري الإيراني ,

فكان هدفا الحرب تلك القضاء على الثورة الإسلامية الشيعية في إيران , أو مقتل أكبر عدد من شيعة البلدين . تحت تأثير القرار الأمريكي والغربي , حيث قرأت بنفسها تقريراً صدر في نهاية الثمانينات عند انتهاء الحرب بين الطرفين يكشف أن العراق مديون لبريطانيا وحدها بضعف خزينته مقابل الأسلحة والعتاد فقط , بينما كشف لي مجموعة من الجنود الذين شاركوا في معركة تحرير (الفاو) أنهم كانوا يدخلون إلى المخابئ الإيرانية بكل سهولة لأن المخابرات الأمريكية شوشت على كل وسائل الاتصال العسكرية الإيرانية .

وبعد فترة الانقطاع والموت التي شهدتها الحوزة العلمية في النجف الأشرف طيلة فترة تسفير طلبتها أو قتل الطلبة العراقيين الجدد الذين حثتهم مرجعية السيد (محمد باقر الصدر) على الالتحاق بها , شهدت الحوزة العلمية استقطاب مجموعة من الطلبة العرب الخليجيين في نهاية الحرب العراقية الإيرانية في العام ١٩٨٨ م , والذين سرعان ما رجعوا إلى بلادهم بعد غزو نظام صدام للكوييت في العام ١٩٩٠ م^{٤٤}.

حيث عند انتهاء الحرب , وفراغ الامريكان والغربيين من حاجتهم إلى شيعة العراق , كان من اللازم القضاء عليهم , أو على قيمهم وأخلاقهم على الأقل , لا سيما في ظل وجود نظام

^{٤٤} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٣٣٥ □ ٣٣٦

طائفي ناصبي في السلطة , فتم دفع نظام (صدام) البعثي باتجاه الكويت في العام ١٩٩٠ م , ثم استغلال ذلك في فرض حصار خانق على العراق لأكثر من ثلاثة عشر عاما , لم يعاني منه إلا الشيعة , لسببين , أن الآخرين كانوا في كل مراكز السلطة السياسية والاقتصادية والعسكرية , ينهبون ما شاءوا , وأن الشيعة تحكمهم ضوابط شرعية كثيرة تمنعهم من النهب . فمات وهلك الكثير منهم , وانكسرت أخلاق وقيم الكثيرين , وتغيرت المفاهيم والعلاقات .

وكان وجود (الخوئي) إشارة أكيدة لخسارة المجتمع الشيعي انتفاضته الشعبانية في العام ١٩٩١ م , بعد أن أسقط أربعة عشر محافظة من مجموع ثمانية عشر محافظة عراقية , لأنه لم يكن جاداً في تبني المفهوم السياسي للتاريخ الشيعي , بل والعراقي . كذلك لم تكن قوى المعارضة الإسلامية الشيعية في الخارج تملك جدية مناسبة لإقامة دولة إسلامية في العراق في ظل سيطرة عائلة (الحكيم) البراغماتية على مفاصل تلك المعارضة الرئيسية , لا سيما العسكرية .

وبعد رحيل (الخوئي) برزت أسماء العديد من المرجعيات الدينية الشيعية في العالم



السيد الخميني في بداية انتصار الثورة الإسلامية في إيران

الإسلامي في فترة التسعينات من القرن العشرين الميلادي .

ففي إيران كانت مرجعية السيد (روح الله الموسوي الخميني) الميدانية هي الوحيدة المختلفة عن جميع المرجعيات الدينية الإيرانية

والعراقية المدرسية . حيث قاد الحراك الجماهيري الشيعي ضد الديكتاتورية البهلوية منذ منتصف القرن العشرين الميلادي , وتعرض رجال الدين والجماهير لحملة بطش بهلوية كبيرة قاسية في بداية الستينات نتيجة هذا الحراك , وتم نفي السيد (الخميني) إلى تركيا ثم إلى العراق منذ منتصف الستينات , ثم أخرج النظام البعثي العفلقى إلى فرنسا بعد رفض الكويت استقبله , وقد ظل يقود الحراك الإسلامي الشعبي الإيراني , وكتب خلال تلك الفترة نظريته في "ولاية الفقيه" , حتى نجح في هز عرش الديكتاتور البهلوي , فقامت الحركة الجماهيرية المباشرة الأولى في بداية العام ١٩٧٨م في مدينة (قم) الدينية , ثم انتصر الشعب الإيراني في بداية العام ١٩٧٩م , وأعلن منذ ذلك الحين قيام أول جمهورية إسلامية معاصرة تقوم على قواعد مذهب أهل البيت .

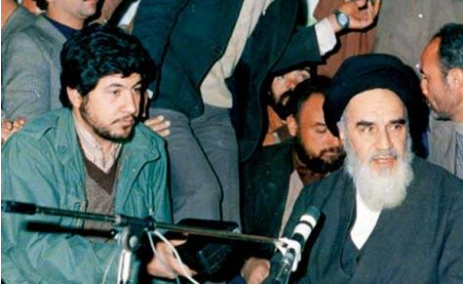
وقد حظيت الثورة بمباركة المرجعيات الدينية المدرسية في (قم) للسيد (محمد رضا



السيد الخميني بين الجماهير

الكلبايكاني) والسيد (شهاب الدين المرعشي) , فيما لم تكن علاقة السيد (محمد كاظم شريعتمداري) بها طيبة , كذلك لم تكن لمرجعية (الخوئي) في العراق من علاقة بتلك

الثورة , لما اعتادت عليه وألفته تلك المرجعيات المدرسية من منهج ساكن وحواشي توغلت في "الشأنية" .



السيد الخميني في لقاء عام

وقد طبقت الثورة مبادئ "ولاية الفقيه" على نظام الحكم , فصارت الأمة تختار "مجلس الخبراء" , الذي يختار قائد الثورة من المجتهدين العاملين ,

والذي يشرف على مفاصل المؤسسة الدستورية وعلى عمل القوات المسلحة وعلى السلطة القضائية , بينما يختار الشعب "مجلس الشورى" ورئيس الجمهورية الإسلامية^{٤٣٥}.

وكان من نتيجة ذلك الخيار الشعبي الثوري الإسلامي للشعب الإيراني أن فرضت عليه الدول الغربية التي تحرر من سيطرتها والقوى السياسية الإسلامية الطائفية المحيطة به حصاراً إقتصادياً وسياسياً وإعلامياً خانقاً منذ العام ١٩٧٩م إلى اليوم , أي لأكثر من أربعين سنة , كذلك شنّ النظام البعثي العفلقى الصدامي حرباً ضروساً مهلكة عليه منذ العام الأول للثورة حتى العام ١٩٨٨م نيابة عن الدول الغربية والعربية التي دعمت نظام (صدام) بالمال والسلاح والمعلومات . لكن استطاع خلالها الشعب الإيراني المسلم بناء دولة متقدمة مكتفية ذاتياً وقوية وداعمة لكل قضايا الأحرار في العالم لا سيما قضايا المسلمين وأهمها قضية فلسطين .

^{٤٣٥} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣١٥ □ ٣٢١

ولم تكن تلك الثورة الإسلامية ونظام "ولاية الفقيه" من مفردات فكر السيد (الخميني) وحده , ولا من آثار بحوث الشيخ (مرتضى الأنصاري) أو السيد (أحمد النراقي) في القرن التاسع عشر الميلادي , أو نتيجة حركة المحقق (الكركي) في زمان الدولة الصفوية , بل هي ثمرة مطلقة للرؤية السياسية المجموعة لدراسة أهل البيت ومذهب التشيع , ونتيجة مباشرة لتطور فكر وأساليب القيادة في المؤسسة الدينية الشيعية لا في أصل مبررات "ولاية الفقيه" , وكسب مباشر للظروف التي صنعتها الجماهير بثورتها على السلطة الظالمة , كما كانت خلافة (علي بن أبي طالب) وولايته مكسباً مباشراً للثورة الإسلامية الشعبية لاهل العراق ومصر والمدينة على سلطان بني أمية ممثلاً ب(عثمان) . فمتى كانت الظروف مهيئة والفقهاء واعٍ ناضجاً والجماهير طائعة مضحية كانت القدرة على صنع الدولة الإسلامية مناسبة . والأمر كذلك في دولة النبي نفسها .

إلا أن ثورة السيد (الخميني) وقيادته للشعب الإيراني المسلم كانت مفاجأة للجميع , في ظل تصور الجهات الدولية الغربية والسياسية العلمانية المحلية موت المرجعيات الميدانية الشيعية وانقضاء زمانها بفعل بطش السلطات البريطانية والطائفية في العراق ولبنان والعلمانية المتشددة في إيران , وبفعل تمركز المرجعيات الدينية المدرسية وحواشيتها النرجسية في الوسط الشيعي . كما أن الجميع كان يتصور ضياع مبادئ وعقيدة الجماهير الشيعية في إيران والعراق بتأثير فترة التيه العلماني والقمعي طيلة الفترة من نهاية العشرينات إلى نهاية السبعينات من القرن العشرين , أي خلال نصف قرن . لكنهم نسوا أن

رسول الله محمداً نفسه جاء في وسط من الفوضى المعرفية والأخلاقية , ليصنع دولة الإسلام والأخلاق , برجال خُلِقوا لأجله .



السيد الخميني في السلطة

فكان الفقهاء (الميرزا جواد التبريزي , السيد محمد الروحاني , الشيخ محمد علي الآراكي , السيد محمد الشيرازي , السيد حسن القمي , الشيخ حسين علي منتظري , الشيخ محمد فاضل اللنكراني , السيد محمود الهاشمي , الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني , السيد محمد الشاهرودي , الشيخ محمد تقي بهجت) , وكلهم توفاهم الأجل المحتوم , والسيد (كاظم الحائري) , الذي أعلن انسحابه عن مقام المرجعية الدينية مؤخراً لأسباب صحية , وأوصى باتّباع السيد (علي الخامنئي) مرشد الجمهورية الإسلامية في إيران , والسيد (صادق الشيرازي) مرجع المدرسة الشيرازية , والشيخ (ناصر مكارم الشيرازي) صاحب تفسير "الأمثل" , كذلك الشيخ (حسين الوحيد الخراساني) , واخيراً تصدى السيد (موسى الشبيري

الزنجاني) هم المرشحون لمقام المرجعية الدينية بعد رحيل السيدين (الخميني) و (الخوئي)
في ايران .



السيد محمد الروحاني



الميرزا جواد التبريزي



السيد محمد الشيرازي



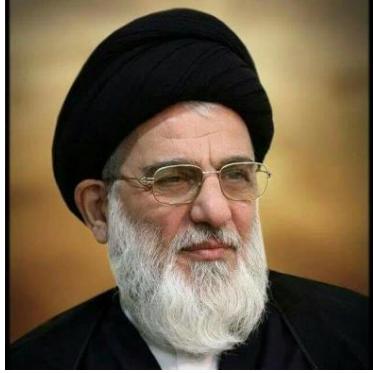
الشيخ محمد الاراضي



السيد حسن الطباطبائي القمي



الشيخ حسين علي منتظري



السيد محمود الهاشمي



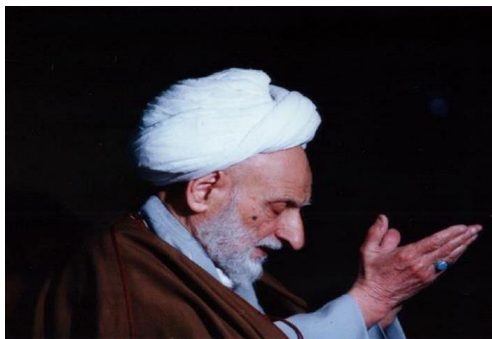
الشيخ محمد فاضل اللنكراني



السيد محمد الشاهرودي



الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني



الشيخ محمد تقي بهجت



السيد كاظم الحانفي



السيد علي الخامنئي



الشيخ الوحيد الخراساني



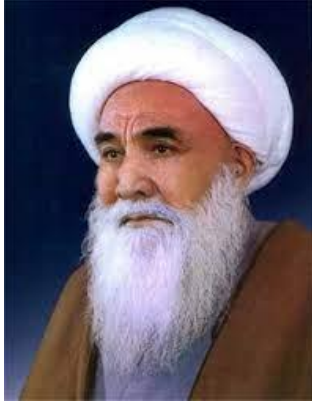
السيد موسى الشبيري الزنجاني



الشيخ ناصر مكارم الشيرازي



السيد صادق الشيرازي

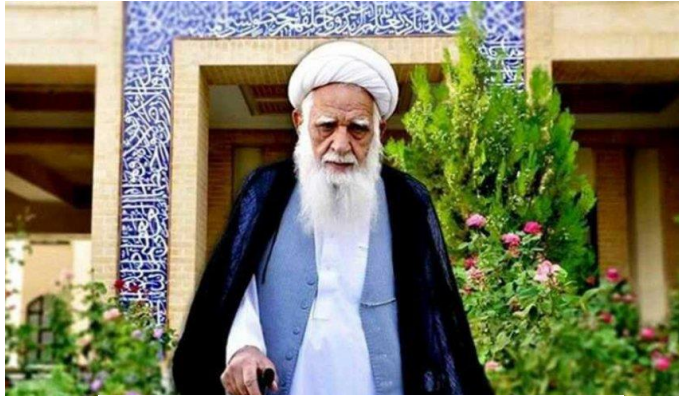


الشيخ قربان علي المحقق الكابلي

وكان من المجتهدين العاملين في الساحة الأفغانية الشيخ (قربان علي المحقق الكابلي) , الذي درس في العراق , قبل عودته إلى بلاده وبدء نشر الثقافة الإسلامية هناك , ثم تصدى للمرجعية الدينية بعد هجرته إلى إيران إثر الحرب الأهلية الأفغانية , حتى توفاه الأجل

في العام ٢٠١٩ م . كذلك كان هناك الشيخ (محمد آصف محسني) ,

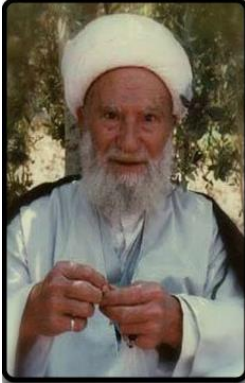
الذي درس في العراق منذ الستينات حتى عودته إلى بلاده , وهو من أبرز المؤسسين للكيانات العلمية في أفغانستان , وأبرز القادة الشعبيين الميدانيين والمرجع الاجتماعي والسياسي لشيعة تلك البلاد , ومن أهم عوامل توحيد مواقف الشيعة هناك , وتقريب كلمة المذاهب المختلفة , والسبب في اعتراف الحكومات الأفغانية بالمذهب الشيعي رسمياً , وسعى جاهداً لإقرار قانون الأحوال الشخصية الجعفري لولا الضغط الدولي , حتى وفاته في العام ٢٠١٩ م .



الشيخ محمد آصف محسني



الشيخ محمد آصف محسني في احدى المؤتمرات



الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي

وفي لبنان الشيخ (محمد تقي الفقيه) ، والسيد (محمد حسين فضل الله) الذي كان له دور سياسي مهم في الشأن اللبناني في ثمانينات القرن العشرين ، حيث كان وكيلاً عن مرجعية (الخوئي) ، حتى عرض نفسه



السيد محمد حسين فضل الله

للمرجعية الدينية فتعرض لهجوم منظم من أنصار ولاية الفقيه في إيران وصل إلى حد إخراجهم من الملة ، وكانت له مساهمته في الشؤون الأمنية والإنسانية في بلاده ، وعُرف بثقافته وتفاعله مع الشباب ، رغم ما كانت عليه من ملاحظات مرجعية حول حقيقة اجتهاده ، كما أنه

كان عرضة لسهام المدرسة الشيرازية بسبب إثارته لتساؤلات عقائدية اعتبرتھا المدرسة غير قابلة للنقاش , حتى وافاه الأجل المحتوم , كما وافى الشيخ (الفقيه) .

وفي العراق (الشيخ محمد أمين زين الدين , السيد علي البهشتي , السيد حسين بحر العلوم ,السيد محمد علي الحمامي) الذين توفاهم الأجل . و(الشيخ علي الغروي , الشيخ مرتضى البروجردي) , وهما فقيهان مدرسيان كبيران , لا سيما الشيخ (الغروي) المرشح الأوفر حظاً في الأوساط المرجعية المدرسية , وقد اغتالهما نظام (البعث) الصدامي . والسيد (محمد سعيد الحكيم) , حفيد السيد (محسن الحكيم) , وهو مرجع مدرسي لم يحقق قاعدة شعبية مناسبة , توفي مؤخراً في نهاية الربع الأول من القرن الحادي والعشرين . والشيخ (بشير الباكستاني النجفي) الذي لم يكن له من التقليد في العراق شأن يُذكر , وقد شكك السيد (محمد الصدر الثاني) في إخلاصه . والشيخ (محمد اسحاق الفياض الأفغاني) وهو كذلك مرجع مدرسي , يكاد مكتبه أن يكون تابعاً لمرجعية السيد (علي السيستاني) الذي طغت مرجعيته عالمياً بعد رحيل كل هؤلاء المراجع في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين الميلادي , وهي البارزة إعلامياً اليوم . والسيد الشهيد (محمد محمد صادق الصدر) تلك المرجعية الدينية الميدانية التي أعادت رونق ودور هذا المنصب طيلة فترة التصدي من العام ١٩٩١م إلى شهادته باغتياله من قبل النظام البعثي الصدامي العفلق في العام ١٩٩٩م^{٣٦} .

^{٣٦} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٣٣٢ □ ٣٣٤



السيد علي بهشتي



السيد حسين آل بحر العلوم



الشيخ محمد امين زين الدين



الشيخ علي الغروي التبريزي



الشيخ مرتضى البروجردي



السيد محمد علي الحمّامي



السيد محمد سعيد الحكيم



الشيخ بشير النجفي الباكستاني



السيد محمد محمد صادق الصدر



السيد علي السبيستاني

ان عند رحيل السيد (ابو القاسم الخوئي) في العام ١٩٩٢م , بعد سنة من الانتفاضة الشعبانية في العام , تصدى للمرجعية الدينية السيد (عبد الأعلى السبزواري) , الذي لم يعيش أكثر من عام واحد بعدها , شهد خلاله مواجهة حادة مع أبناء (الخوئي) , الذين قيل أنهم اشترطوا عليه إبقاء جزء كبير من أموال الحقوق الشرعية – التي كانت تجتمع عند والدهم بصفته مرجعاً للشيعة الإمامية – عندهم , لكنّ (السبزواري) رفض كما انتشر من خبر حينها , فبث ولدا (الخوئي) الإشاعات المغرضة ضده , ويقال أن غيره قبل أن يعطيهم ما أرادوا , وكان من تلاميذ أبيهم ومدرسته التقليدية , فاختار أبناء (الخوئي) العيش في لندن وبدء علاقاتهم التجارية والسياسية هناك , وصار لمؤسستهم دور كبير في نشر اسم المرجعية الدينية العليا في دول العالم .

فكانت الخلافات حتمية بعد رحيل (الخوئي) للأسباب أعلاه , ولعدم وجود اسم لمرجعية قديمة مثله , كما أنه لم يعمل على تهيئة خليفة واضح له في ظل انقطاع الشيعة عن المرجعية الدينية طيلة فترة السبعينات والثمانينات من القرن العشرين بسبب الخوف من الإرهاب البعثي الصدامي .

فظهرت أسماء عديدة , مثل الشيخ (علي الغروي) والشيخ (مرتضى البروجردى) والسيد (محمد علي الحمامي) والسيد (حسين بحر العلوم) والسيد (علي السيستاني) , وكلهم ينتمون إلى المرجعية المدرسية المتأثرة بمسلك (الخوئي) ومن قبله , لكن أشهرهم كان الشيخ (الغروي) , فيما تميزت مرجعية السيد (محمد محمد صادق الصدر) المختلفة , والتي كان لها قضية ومشروع وهدف واضح .

ورغم انبثاق مرجعية السيد (محمد محمد صادق الصدر) بعد رحيل (الخوئي) في ١٩٩٢ م , وانتشارها شعبياً بعد رحيل السيد (السبزواري) في ١٩٩٣ م , إلا أن مرجعية السيد (علي السيستاني) بدأت تحقق مواطني قدم معتداً بها في الأوساط الحوزوية في إيران والعراق , من خلال قدرتها المالية الضخمة , التي ورثتها عن مرجعية (الخوئي) بالاتفاق مع عائلته , وبدأت توزيع الرواتب الشهرية على الطلبة في البلدين , في حين لم يكن بمقدور باقي المرجعيات حتى طبع رسالتها العملية^{٣٧} . فكانت المرجعيات الدينية الأخرى تذوب شيئاً فشيئاً في مرجعية السيد (علي السيستاني) بسبب الحاجة المالية , حتى اختفت عملياً , ولم

^{٣٧} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , القزويني , ص ٣٣٧

يبقى عليها إلا التدريس الذي انقطع عنه السيد (السيستاني) نفسه وتركه لأولاده , وكان الوكلاء الكلاسيكيون يفضلون الانضمام الى مرجعية قادرة او غير ناضجة الى تمويلهم . وهذا يكشف أن الحقوق الشرعية هي التي تصنع القوة للمرجعيات الدينية وتعمل على انتشارها , كما حققت من قبل للميرزا (محمد حسن الشيرازي) , الذي كان يدرك أبعاد طريقة الانتشار , فكان أول من جعل طريقة الاحتفاظ بالحقوق الشرعية مركزية يديرها هو وعائلته , وهذا ما ورثته مرجعية (الخوئي) ثم (السيستاني) عن مدرسته .

بينما في إيران سيطرت مرجعية ولاية الفقيه على مسار الأحداث والمجتمع , لاسيما بعد انتصار إيران الإسلامية في اختبار الصمود أمام الحرب العالمية عليها والحصار الدولي الغربي غير التقليدي , لكن يمكن وصفها بأنها اقرب إلى مفهوم (الخراساني) في روايات اهل البيت , الذي يحمل نوايا حسنة صادقة في نصرته للمذهب الشيعي الإمامي والإسلام , لكنّ رايته ليست أهدى الرايات كما تعبّر الروايات , لأنه يستخدم وسائل اقرب إلى الدنيا من الدين في نصرته تلك , أو أنها عسكرية في غالبيتها , على خلاف (اليمني) الذي تكون رايته أهدى راية , رغم أنه أقل من (الخراساني) حركة عسكرية , بل ربما فكرية أكثر .

عن (هشام بن سالم) عن (أبي عبدالله الصادق) أنه قال (اليمني والسفياني كفرنسي رهان)^{٤٣٨} . و(الخراساني) , الذي يمكن القول انه الحركة الشيعية الاكبر المعاصرة لكل من (اليمني) الصالح و(السفياني) الطالح , مع ذلك فالخراساني في الروايات , رغم ضخامة

^{٤٣٨} احداث آخر الزمان في روايات اهل البيت , إسماعيل إبراهيم الحريري العاملي , دار المحجة البيضاء , ط ٢٠٠٦م , ص ٢٤٧

حركته ونواياه الطيبة تجاه تسليم الراية للإمام المهدي , الا انه ليس صاحب راية الهدى , ولن تلتوي عنق من التوى عليه الى النار , كما جاء في اخبار اليماني مثلا.

لكنّ الحماسة تدفع الشباب في كثير من الاحيان نحو الجهة الاكثر صخباً او اشهر اعلاميا , إلا أن ذلك في قضية المهدي - التي هي قضية هادئة منذ ولادة الإمام - لا يمكن ان يكون منتجا , لأن هذا السلوك قد يأخذهم بعيداً عن الراية الاهدى , والأخطر انه قد يجعلهم تحت راية السفيناني - على الفهم الحالي له - دون فطنة منهم وتحت تأثير مجموعة من الاصوات التي تنطلق وفقاً للتأثير العاطفي , خصوصاً داخل المجتمعات المتشعبة من قرنين او اكثر او اقل بقليل , لأسباب تربوية ورواسب البداوة وتشيعهم في زمان التأثير الفكري الصفوي والعثماني العاطفي غير العميق تاريخياً .

ان جميع الاشكالات تكشف بوضوح ان العقدة الاساسية هي القدرة على التشخيص , تشخيص القيادة الواعية او تشخيص العدو او تشخيص الموقف الاصلح , وكل ذلك يتطلب حكمة وعمقاً وهدوءاً , وهي مفاهيم يصعب توفرها مع سرعة الاحداث وسيطرة الإعلام والفكر الفئوي والعاطفي وغلبة التأثير السياسي على التأثير الفكري .

وبعد دراسة مجموعة من الروايات لن يجد الباحث منها دفعاً باتجاه حمل السلاح او الضوضاء والصخب , بل ان من الواضح جداً ان هذه الروايات لا تتحدث سوى في العلامات والجماعات والقيادات والقدرة على تشخيصها , ولم تطلب اكثر من الانتباه والحنكة والفطنة , بل ان شكلها العام ومضمونها يبدوان انهما يعلمان الشيعة كيف يشخصون الموقف الصحيح . فليس المهم ان يكون المؤمن مع جهة محددة في عالم الصراع القائم , بقدر ما ان يكون

محتاطاً في المواقف , بمعنى انه اذا كان يعلم عدم قدرته على التشخيص فالروايات لم تطلب منه اكثر من الصبر وانتظار المهدي انتظاراً ايجابياً , يمهد له الارض بالحكمة . اما اذا كان قادراً على التشخيص ولديه الآليات المناسبة فالبحث يكون مقدماً عن صاحب الراية الاهدى وهو (اليمني) .

فعن (الفضيل ابن يسار) قال (سألت أبا عبدالله عن قول الله عزوجل ” يوم ندعوا كل اناس بإمامهم ” فقال: يا فضيل اعرف إمامك , فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرك تقدّم هذا الامر أو تأخر , ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الامر كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره , لا , بل بمنزلة من قعد تحت لوائه)^{٤٣٩} .

ثم قام النظام الصدامي البعثي باغتيال معظم تلك المرجعيات المشهورة , ورحلت أخرى بالوفاة , وانزوت غيرها , ولم يتبق في الساحة الشيعية العراقية الا مرجعيتان بارزتان , إحدهما مدرسية على مسلك (الخوئي) تماماً ومعادية لنظام الولي الفقيه الشيعي الآخر في إيران , والثانية هي المرجعية (الصدرية) التي تحركت ببطئ لتثبيت أقدامها في المجتمع العراقي , وبحذر لتجنب الصدام مع نظام البعث , لكنها سرعان ما اثرت في المجتمع العراقي الشيعي , بواسطة صلاة الجمعة , وبتدخلها الميداني من خلال شبكة وكلائها الشباب وسعة تأليفاتها واستقطابها للعقول الشيعية وتحريكها لدماء كانت قد جمدت

^{٤٣٩} الكافي , الشيخ الكليني , ج ١ , ص ٣٧١

خلال العقدين السابقين ، كما أنها أعلنت تبنيها لمفهوم ولاية الفقيه النظري . فكانت النتيجة ظهور موجة معرفية وحركية إسلامية شيعية جديدة أربكت حسابات الأمريكان والغرب ونظام (صدام) ، وعجلت بقرار اغتيال السيد الشهيد (محمد محمد صادق الصدر) ونجليه في العام ١٩٩٩ م . فكان المجتمع العراقي قد صار على قسمين ، أحدهما حامل يرث المرجعية المدرسية ، التي وسمت بالتقليدية الكلاسيكية ، وهذا الوصف غير صحيح لأنها ليست تقليدية بل مبتدعة من عشرينات القرن العشرين الميلادي ، والتقليدية ذهبت بذهاب رجالها الحليين ، وقسم ناشط حركي واعي قارئ ، تسبب وجوده في قرار الأمريكان بدخول العراق في العام ٢٠٠٣ م لتصفيته فكريا . فكان وجود مرجعية ميدانية حركية واعية أمراً ضرورياً لمواجهة المد الاستعماري الفكري الأمريكي والغزو الثقافي الأجنبي .

استغل السيد (الصدر الثاني) تعقيد الأمور في العراق لفترة ما بعد غزو الكويت وفرض الحصار على الشعب العراقي ، وتأثيرات الانتفاضة الشعبانية الشيعية حين سقطت بيد المنتفضين من داخل العراق أربعة عشر محافظة من أصل ثمانية عشر. فكان نظام صدام بحاجة إلى كسب ود الشيعة ، بعد أن ذبح أبناءهم في العام ١٩٩١ م ، كذلك كان بحاجة إلى كسب ود الجمهورية الإسلامية في إيران للحصول على مساعدات إنسانية ، بعد تطابق رؤى محيطه العربي مع رؤى الأمريكان ، وفي أحسن الأحوال كانت الأنظمة العربية الصديقة له تستغله . فكان التغاضي عن مرجعية السيد (محمد الصدر) الثاني ، غير المعروفة والمرتبطة بمرجعية السيد الشهيد (محمد باقر الصدر) نسبياً وسببياً ، إشارة من النظام إلى الشيعة في العراق برغبته بالتغيير ، حيث تزامنت مع حملة النظام الإيمانية الإعلامية ، بعد سنين من

تبني الانحراف الأخلاقي والفكري , كذلك هي إشارة إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية ببدء صفحة جديدة تنطلق من عائلة (الصدر الأول) نفسه . وفعلاً كان السيد (الصدر الثاني) أحد أركان الوساطة التي زارت الجمهورية الإسلامية لتسهيل مرور المساعدات الإيرانية التي تدفقت لاحقاً . رغم أن هذه السلطات كانت اعتقلت وعدّبت السيد (الصدر الثاني) ثلاث مرات في السبعينات والتسعينيات. والاعتقال الأخير بعد الانتفاضة الشعبانية في العام ١٩٩١م جدد ثقة الحكومة البعثية بقرار تغاضيها عن مرجعية السيد (محمد الصدر) , بسبب ما رأته من نكران المرجعيات الدينية المدرسية المعتقلة معه لشخصه , فتوقعت منذ تلك اللحظة أن الخلاف سيتوسع وينشق الصف الشيعي أكثر لو تُركت تلك المرجعيات الدينية تواجه بعضها , بلا مؤونة طائفية حكومية .

لكن كان النظام يعي تماماً أن هذه المرجعية الصدرية لا تملك من الأموال والرجال ما يساعدها على النمو أو تبني أي مشروع جاد , وهو يعلم أن أموال الشيعة مخزنة في بيوت المرجعيات الدينية المدرسية . لكنّ النظام نسي الله , فأنساه نفسه .

فتبنى السيد الشهيد الصدر مشروع إعادة تأهيل الكوادر الوسطى , وربط الحوزة العلمية بالمجتمع , وإعادة العلاقة مع الشباب , والجامعات , حتى نمت وتطورت تلك النواة إلى ظاهرة ناشطة , صنعت ظواهر أنشط , في حركة مستمرة , لا سيما بعد تبنيه منبر صلاة الجمعة في المحافظات العراقية , ثم صلته بنفسه في مسجد الكوفة ذي القداصة الخاصة عند الشيعة وعامة المسلمين. كما أنه انفتح على المذاهب والديانات الأخرى , بل على البؤر المنحرفة في المجتمع وذكرهم بقيمتهم الإنسانية فضلاً عن الدينية . فأعاد السيد الصدر في

سنتين ما ازاله (البعث) في عقدين , وأحيا من أمر المرجعية الدينية ما امانته المرجعية الدينية المدرسية في عقود , من نفوذ الحوزة العلمية ومطالبتها بالحقوق , ونشاط الثقافة العامة , وترك علائم الجاهلية . لا سيما مع تبني السيد (محمد محمد صادق الصدر) لولاية الفقيه , التي أغضبت الإيرانيين والسلطات العراقية , لكنها صنعت الشعب العراقي من جديد , بعد انقطاع تسببت به عزلة المرجعيات المدرسية .



السيد محمد الصدر وأولاده

فكانت الجماهير العراقية كأنها بانتظار من يعيدها إلى عصور المرجعيات الدينية الميدانية , تلتف في حشود كبيرة حوله , حتى حسده أقرانه وجيرانه , وحقد عليه وخاف منه نظام صدام .

فيما فتح خطوط اتصال جديدة داخل الجمهورية الإسلامية في إيران , لم تنجح كثيراً بسبب تأثير قيادات المعارضة العراقية حينها ومعلوماتها المضللة والتي تستمد جزءاً كبيراً من شأنيها من ارتباطها بحركة السيد (محسن الحكيم) السابقة , فتم غلق مكتبه الذي لم يمر

على افتتاحه سوى اسبوع واحد من قبل السلطات الأمنية الإيرانية المرتبطة بمعلومات عائلة السيد (محسن الحكيم) واعتقلت السيد (جعفر الصدر) ممثل (الصدر الثاني) والابن الوحيد للسيد (محمد باقر الصدر) بعد أن احتفى به مجمل العلماء هناك والذين غيروا رأيهم بمجرد أن دعا إلى مرجعية السيد (الصدر الثاني) , ففتح السيد الشهيد الصدر خطوط اتصال داخل المعارضة العراقية ذاتها , لكنّ القدر لم يمهلّه .

فكان مشروع السيد (محمد محمد صادق الصدر) قد نجح في إعادة صورة وقيمة المرجعية الدينية الميدانية التاريخية , وبيان الشخصية الحقيقية الطبيعية المتواضعة القوية لها , لا تلك التي صارت اقرب إلى التمثيل والتكلف بسبب ما تعيشه من شأنية وندرجسية , وجمع شتات تلك المرجعية الميدانية عبر ربطها بأسس الفلسفة والعرفان والعمل , وفرض نفسه حاكماً على القلوب , رغم انف النظام الذي كان حاكماً على النفوس . وترك المجتمع الإسلامي الشيعي بعد رحيله غير المجتمع الشيعي الخامل قبله . فصارت صورته مقياساً معيارياً لشكل المرجعية الدينية المقبول , كما كانت صورة إمامه علي بن أبي طالب مقياساً معيارياً للحاكم المقبول عند شيعة العراق .

إلا أنه كان ضحية جهل جزء كبير من الناس , لا سيما في الأرياف التي فقدت وعيها خلال فترات الحكم الطائفي القومي والبعثي , وضحية حسد الأقران , ومسلك المرجعية الدينية المدرسية , وسوء ظن الجيران , وحقد النظام الظالم , وتخطيط ومكر القوى الاستكبارية .

غير أن ما تركه من أسس علمية جديدة في الدراسات الحوزوية , لا سيما جامعة الصدر الدينية , وما فتحه من باب التحاق الطلبة العرب بالدراسات الحوزوية العليا بعد أن كانت

شبهه محصورة بغيرهم , وما نشره من ثقافة عامة , وما نبّه إليه من محظورات , وما ركزه من قيم , وما صنعه من رجال وعلماء , ظل باقياً مستمراً مؤثراً رغم خطورة وضخامة ما استجد بعده من تحديات ومؤثرات وخصوم . أو كما يرى بعض الباحثين أن تاريخ حركة السيد الشهيد الصدر الثاني (محمد محمد صادق الصدر) مشابه كثيراً لتاريخ حركة الشهيد الثاني (زين الدين بن علي الجبعي العاملي)“^{٤٠}.

إلا أن الفوضى التي أحدثتها السلطات الأمريكية في العراق أدت إلى ظهور وسائل إعلام موجهة صنعت عنواناً جديداً يقابل عنوان “الولي الفقيه” , يسلب امتيازاته ويتخلى عن مسؤولياته , وهو عنوان “المرجع الأعلى” , بعد فترة تمهيدية تشابه فترة صناعة العباسيين للمذاهب الجامدة الأربعة ظهر فيها مصطلح إعلامي آخر هو مصطلح “المراجع الأربعة” , لقطع الطريق على أي محاولة مرجعية خارج إطار المرجعيات المدرسية التي يمثلها هؤلاء الأربعة .



صورة للمراجع الأربعة بعد ٢٠٠٣ م تضم الشيخ بشير النجفي الباكستاني يمين , السيد محمد سعيد الحكيم , السيد علي السيستاني , الشيخ محمد اسحاق الفيض بيسار

“ المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣٣٨ □ ٣٤٨

وهذا اللغظ الإعلامي والانانيات الحزبية والجماعية فرض على القوى الشيعية الحركية الميدانية التي تنتمي كلها للمرجعية (الصدرية) الاولى والثانية القبول والتماهي مع تلك المرجعية المدرسية بعد لمعان نجمها في سماء القوى الشعبية بضغط الإعلام الموجّه .

وحين قدم المحتل الامريكي - الذي كان اخر أمل للعمل الديمقراطي والمهني لدى الكثيرين - وعمل على تعزيز وتكريس الفساد والعقد الاجتماعية واستعان بالأحزاب النفعية والشخصيات الانتهازية فقد الكثيرون قدرتهم على المطالبة , فذابوا في المشروع الامريكي المتمم للمشروع البريطاني الصحراوي . ولأنّ المرجعية الغالبة على الساحة - بقوة الاعلام - لم تكن تملك مشروعا ايضا ولم تكن كفؤا لإدراك خطورة العودة الى تشتت العشرينات , وكذلك إيمان الغالبية من المتدينين بحرمة التعامل مع الاحتلال الأجنبي , فقد استغلّ المرضى النفسيون وربائب سنين الصحراء والانتهازيون هذه الجواء لبدء مرحلة اخرى من مراحل الضغط الاجتماعي ودكتاتورية الادارة وعقدها .

من هنا - وبعد عقود الخبرة - انفجرت النفوس المريضة للكثيرين , وصار الفساد والتملق هو المقياس الذي يتم على اساسه استخدام الإدارات الجديدة , لا سيما في ظلّ التنافس بين الأحزاب السياسية وبين العشائر والمناطق والمقاولين .

ولمّا كان المتدينون فعلا والأخلاقيون وذوو القيم من الصعب استدراجهم نحو هذه الدائرة فقد عملت الأحزاب والجماعات المتنافسة على كسب كوادر البعث والصداميين , ومن ثمّ بعثنة

الحلقة الإدارية الوسطى , لكيلا تنكشف عورة كوادر هذه الأحزاب العلمية والأخلاقية والمصلحية امام الكوادر الوطنية المهنية المستقيمة , التي لن تستجيب لو تمّ استخدامها لاوامر وعبثية هذه الأحزاب , كما تفكّر قيادات السياسة العراقية .

بعد كل هذا لم يعد للقيمة والاحترام الاجتماعي والمهني من اثر الا ما رحم ربي , ولم يعد المواطن يستغرب دكتاتورية وتناقض وتصحرّ المؤسسات والدوائر الحكومية , بل والأهلية , فالمرض اصبح عاما , وعدم احترام الانسان اصبح أمرا طبيعيا , ومن الغريب جدا ان يرى المجتمع مديرا او مسؤولا او قياديا او سياسيا يحترم مواطنا , او ان يكون له عقلا اداريا يساير التطور والتقدم الإنساني , وعسكرة الدوائر والمؤسسات صارت جزءا من المنظومة العقلية للمجتمع والسلطة , والدكتاتورية والفردية الإدارية أضحت مستساغة ومألوفة , وعلى المواطن ان يعيش امام الدوائر كما يعيش الجندي في ساحة العرصات والتدريب العسكرية , وربما لا توجد دائرة او مؤسسة - الا ما ندر وشذّ - فيها مكان استراحة لمن يراجعها .

انّ التاريخ والواقع يثبت بوضوح ان الإدارات والقيادات العراقية تعيش أمراضاً وعقداً نفسية واخلاقية كبيرة وخطيرة , تنعكس على ادائها وأوعى المستوى المجتمعي , وترتد نحو المواطن ذاته وتنقل اليه العدوى , لذلك من الطبيعي والعقلاني والعلمي اعادة تأهيل جميع هذه الكوادر وعرضها على الاخصائيين النفسيين , وإدخالها في دورات محلية ودولية للمعالجة , والعمل على توسيع حلقة هذه المعالجة لتشمل كل الكوادر الإدارية .

لم يعد من السهل التعويل على حوار الأفكار , فلم يعد للجماهير قدرة كبيرة على قراءة النصوص او فهم المنهجيات , فهم يعيشون ثقافة المقدس , وترى كل فئة ان اي انتقاد لقيادتها تجاوزاً لخطوطها الحمراء , وتعيش استعداداً مؤكداً للانقضاض العنيف على الاخر . فيما تكون هذه القيادات صاحبة الاستطاعة الحصرية على اعادة ادلجة اذان وعيون جماهيرها , لذا يمكن للاجتماعات المنعقدة داخل المجالس الخاصة فقط الخروج بنتائج مشتركة , او تتحرك كتلة من خارج تلك المجالس تحمل خصائص الشخصية النبوية لتغيير واقع الجاهلية المعاصرة وإعادة الجماهير الى وعيها الإنساني , والسعي نحو دولة الانسان , لا إنسان الدولة , ومن ثم تكسير مفاهيم الاستعباد والاستغلال والتجهيل والتدجين .

وفي ايران كان السيد (روح الله الخميني) هو القيادة والمرجعية الدينية الميدانية للجمهورية الإسلامية في إيران طيلة عقد من الزمان , بوجود مرجعية دينية كبيرة داخل إيران هي مرجعية الشيخ (محمد علي الاراضي) , تقابلان مرجعية السيد (ابو القاسم الخوئي) في العراق والعالم .

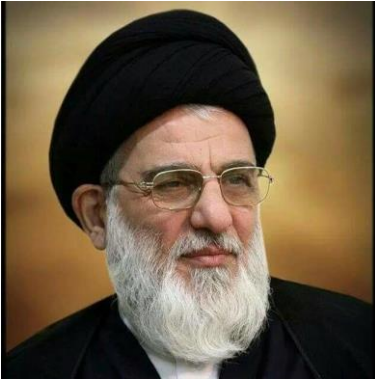


السيد علي الخميني قائد الجمهورية الإسلامية في ايران

كما كان هناك خليفة السيد (الخميني) المرشح الرسمي والشعبي بشكل ملحوظ وهو الشيخ (حسين علي منتظري) , والذي تمت

الإطاحة به قبل وفاة السيد (الخميني) بقرابة شهرين بسبب بعض آرائه السياسية

والإدارية. فكان البديل فقيه غير مشهور في الوسط العلمي والديني , لكنه معروف في الوسط السياسي الإيراني , وهو السيد (علي الخامنئي) رئيس الجمهورية الإسلامية . وكان اختياره إلغاءً عملياً لمبدأ الاعلمية في اختيار الولي الفقيه , والاكتفاء بمبدأ الفقاهة العامة^{٤١}.



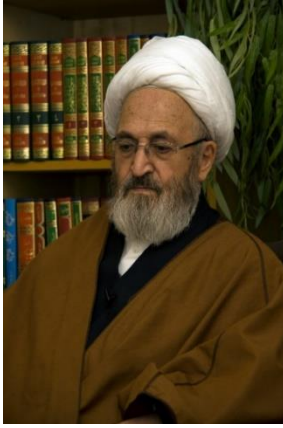
السيد محمود الهاشمي

وهذا ما فتح الباب واسعاً أمام تصدي عدد كبير من المجتهدين لمنصب ومقام المرجعية الدينية في إيران , لا سيما الراحل السيد (محمود الهاشمي الشاهرودي) تلميذ السيد (محمد باقر الصدر) والسيد (الخميني) و السيد (الخوئي) ,

وأحد أبرز الأساتذة الأعلام , ورئيس المعارضة العراقية لفترة طويلة , وأهم المرشحين لمقام المرجعية الدينية العليا في إيران , بالإضافة إلى أهم المناصب القضائية والإرشادية هناك , بل والمرشح الإيراني الأهم للدخول في الوسط المرجعي العراقي , الأمر الذي تسبب بحدوث اضطراب داخل مكاتب المرجعيات الدينية المدرسية في النجف الأشرف , لولا أن وافاه الأجل المحتوم في العام ٢٠١٨ م , ومثل الشيخ (يوسف الصانعي) الذي توفاه الأجل , والشيخ (عبد الله الجواد الأملي) , وهو من تلامذة السيد (محمد حسين الطباطبائي) ومن المهتمين بالفلسفة والعمل السياسي , والشيخ (جعفر السبحاني) , وهو كذلك من أساتذة الجامعات الإسلامية الكبار ومدراء المؤسسات العلمية ومن المهتمين بالفلسفة أيضاً , والشيخ (أسد الله

^{٤١} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣٤٩ □ ٣٥٣

بيات زنجاني) ، الذي لا يبدو أنه على وفاق مع مؤسسات الولي الفقيه في إيران واقرب إلى الجهات الأخرى ، و (محمد ابراهيم جناتي) ، الذي هو مرجعية علمية أكثر من كونها عملية ، و (محمد علي كرامي) ، و (حسين مظاهري) في حوزة مدينة أصفهان ، و (شمس الدين محمد مجتهدى) .



الشيخ جعفر السبحاتي



الشيخ عبد الله جوادي أملّي



الشيخ يوسف الصانعي



الشيخ محمد علي كرامي



السيد محمد حسين الطباطبائي



الشيخ حسين مظاهري



الشيخ أسد الله بيات زنجاني



الشيخ محمد ابراهيم جناتي



الشيخ شمس الدين محمد مجتهدى



السيد محمد تقي المدرسي

كذلك تصدى لمقام المرجعية الدينية في العراق في مدينة كربلاء السيد (محمد تقي المدرسي) , وهو ابن عائلة دينية كربلائية , كما أنه ابن للمدرسة الشيرازية في بعض وجوهها الحوزوية , يميل الى المرجعية الميدانية أكثر من النسق الآخر للمرجعية الدينية , وقد أشرف

على العمل السياسي العراقي المعارض لفترة طويلة في فترة الحكم الديكتاتوري الطائفي , وهو صاحب قلم وفكر , لكنه لم يستطع تحريك الجماهير العراقية بالشكل المناسب عند



السيد هادي المدرسي

عودته الى العراق بعد ٢٠٠٣م في ظل سطوة
ونفوذ المرجعية الدينية المدرسية وفوضى
الأحزاب البراغماتية , فسعى هو وأخوه السيد
(هادي المدرسي) لبناء حصانة فكرية للمجتمع

, لكنها لم تكن المهمة السهلة أمامهم , ولم تكن مرجعيتهم قادرة على جمع وقراءة أدوات
الحركة الاجتماعية المناسبة .



السيد كمال الحيدري

ومن المتصددين لمقام المرجعية الدينية مؤخراً كان السيد (كمال
الحيدري) , وهو من المهتمين بالفلسفة كذلك , والذي استغل
شهرته في البرامج العقائدية الإعلامية وتصدى لمقام المرجعية

الدينية , إلا أنه على ما يبدو ظن أن تلك الشهرة تشفع له في مجال
القيادة الميدانية , لكنه ظهر متردداً في أول اختبار بعد تصديه حين انتقد مسلك المرجعية
الدينية المدرسية العليا ثم سحب كلامه وتراجع عن تصريحه بتصريح مناقض , الأمر الذي
كشف له قبل غيره أن البحوث النظرية التي تساعده على إنجازها مؤسسات بحثية غير
مقام المرجعية الدينية العظيم والعملي , فكانت النتيجة أنه -كغيره- بدأ يغازل الطرف

المخالف ويبحث عن الإثارة الإعلامية , بعد أن عجز عن توفير مساحة شعبية له توافق ظنه الذي تصدى به لهذا المقام .



الشيخ فاضل المالكي

كما حاول الشيخ (فاضل المالكي) الأشتر النخعي التصدي للمرجعية الدينية , ومغازلة الوضع السياسي والجماعاتي في العراق , معتمداً على شهرته في الخطابة الحسينية أكثر من اعتماده على قنوات المؤسسة الدينية نفسها , حتى وصل

الامر أن كتبت عنه بعض القنوات المؤيدة لمرجعيته عبارات كبيرة لا مبرر لها في الواقع مثل "المجدد" و "المجاهد" , وهي مصطلحات تنتشر في الأجواء الشيرازية أكثر من غيرها , دون أن يكون للرجل من أثر حقيقي في الوسط الحوزوي العلمي او الوسط الاجتماعي الإمامي . ودافع الرجلين على ما يبدو الاستعجال والغضب من ظواهر المحيط في عالم المرجعية الدينية .



الشيخ محمد سند

وكان ممن تصدى لمنصب المرجعية الدينية في النجف الأشرف الشيخ (محمد سند) البحراني , وهو من تلامذة المرجعية الدينية المدرسية في مدينة (قم) الإيرانية , وبالذات المجموعة الأقرب للفكر الأخباري , إلا أنه لم يتصد للمرجعية الدينية هناك , بل

أعلن تصديه في مدينة النجف الأشرف التي لم يتلق العلم فيها , وهو رغم احتكاكه سياسياً بالحكومة الطائفية في بلاده البحرين إلا أن ذلك كان خارج نطاق ثقافته الحوزوية على ما يبدو ونتيجة الاضطرار الناشئ عن الضغط الشعبي , وله كتابات تعتمد الروايات ضعيفة السند , ورغم ذلك تبنته مرجعية السيد (علي السيستاني) مؤخراً , وفتحت له باب التدريس في مساجد الصحن الحيدري العلوي الذي تديره , ووصفته مجلة الروضة الحيدرية الالكترونية التابعة لمركز الأبحاث العقائدية التابع لمرجعية السيد (السيستاني) ب"محقق قدير.. وباحث متبحر.. وعالم مجدد" , رغم إقراره بعدم وجود إجازة اجتهاد خطية لديه^{٤٢}.

الشيخ محمد السند (دامت توفيقاته)



آية الله الشيخ محمد السند دام طله 22 محرم 1431 - 8/1/2010

محقق قدير.. وباحث متبحر.. وعالم مجدد.. تفوق في الدراساتين الأكاديمية والحوزوية.. وتفانى في طلب العلم والمعرفة.. يتسابق مع الزمن بجذ وإخلاص.. نال مرتبة العلم والاجتهاد.. له آراء ونظريات وتصورات علمية، أثنى الساحة الإسلامية بكتبه العلمية الرصينة، وعلى الرغم من تواضعه الشديد، له هبة ووقار ودماثة خلق قل نظيرها.. وهو في بلاد الغربة كان قد رأى رؤيا بأنه يدرّس في إحدى غرف الصحن الشريف، وبالفعل تحقّق الحلم بفضل الله تعالى وببركة صاحب المرقد باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، فدرسه الآن عامر في الصحن الحيدري الشريف في جامع عمران بن شاهين.

آية الله الشيخ محمد السند الذي التقيناه في بيته، وقد لاحظنا عليه علو الهمة والجذ في العمل وشدة الاعتناء بمحدثه مهما كانت علميته، وعدم الجزع من السؤال واللحاجة من المقابل، وأجرنا معه حوارات مطوّلة استمرت لأيام عدة، واخترنا جزءاً من هذا اللقاء تقدّمه لقرّائنا الكرام.

سؤالنا التقليدي كان عن بطاقته الشخصية فاجاب مشكوراً؟

محمد ابن الحاج حميد منصور سند، ولدت في بلاد البحرين في مدينة المنامة في أسرة شيعية موالية ومحبة لأهل البيت (عليهم السلام)، سنة الولادة 1382هـ في شهر رجب أو جمادى، ترعرعت في وسط العاصمة حيث كانت تحيط بنا الكثير من الحسينيات والمساجد، وكانت بيئة مملوءة بالحبّ والولاء لمحمد وآل محمد (صلوات الله عليهم).

والذي كان يزاوِل مهنة التجارة الحرة، وهو من طبقة ثرية، وكان لديه الكثير من المعارف على مستوى البحرين، كانت جدّة الذي المرأة الفاضلة خطيبة ذائعة الصيت في الخطابة الحسينية، وكانت تبين الكثير من المسائل الفقهية، وكذلك من طريق الأم كانت لدي جدّة موسوية معروفة في الخطابة النسائية.

وكان الجد الخامس لي من الثوار، وهو من الحركة التحريرية في بلاد البحرين، واستشهد مع أربعة ثوار كانوا يطالبون بتحرير البحرين، وفي العائلة الكثير من أهل الأدب والشعر.

سألنا سماحته عن دراسته الأكاديمية، ففضل قائلاً:

دخلت المدرسة الابتدائية وأنا في سن الرابعة وستة أشهر حيث كان أحد معارف والدي في وزارة التربية وساعدني على ذلك من خلال اختياري وقيل دخولي إلى المدرسة، وبالفعل دخلت الابتدائية وتفوقت فيها، وكذلك في المرحلة

لقاء مكتبة الروضة الحيدرية بالشيخ محمد سند ووصفه بالمحقق والمجدد

^{٤٢} لقاء خاص مع الشيخ محمد السند من قبل مكتبة الروضة الحيدرية , موقع مكتبة الروضة الحيدرية الإلكتروني ٢٢ محرم ١٤٣١ -

ما الاجازات التي حصلتم عليها؟

لم أكن أطمع في الإجازات المكتوبة فقد تعلمت من أستاذي الكبار وهو شعاري: الإجازة لا تخلق شيئاً غير موجود، ولا الشيء الموجود إذا أثبت وجوده يحتاج إلى إجازة مدونة، ولكنني حصلت على شهادات شفهية كثيرة من أستاذي وبمحضر الدرس العام من السيد الروحاني والميرزا، ثم الأملي ومن السيد الفاني، والشيخ التبريزي، والشيخ الوحيد الخراساني.

أول كتاب قمتم بتأليفه؟

أول كتاب ألفته كان عام 1412 هـ وهو (دعوى السفارة في الغيبة الكبرى) ويقع في جزأين، ثم توالفت بعدها مؤلفاتي.

لو تحدثنا عن الاجتهاد والمجتهد فمن برايكم يطلق عليه هذا اللقب؟

الفقيه أو المجتهد هو الذي له بناء علمي في الساحة العلمية والحوزوية وليس الذي توثقه ورقة، بالرغم من عدم نكران أهميتها فالمجتهد هو الذي لديه نظريات علمية وابتكارات وآراء في القضايا العلمية على وفق أصول علمية صحيحة، أتذكر كلمة للميرزا النائيني وهي في غاية الروعة:

اعلموا أن الذي يديم الحوزة العلمية ليس الاجتهاد، والذي يزيد عمر الحوزة العلمية ليس المجتهدين، الذي يديم عمر الحوزة العلمية التحقيق، الذي يديم عمر الحوزات العلمية هم المحققون، وهذا ما أكدته آية الله السيد الروحاني قال: التحقيق وراء الاجتهاد وإن صمام الأمان للشريعة والتشيع وللحوزات العلمية هو التحقيق، وإذا هبط المستوى العلمي، لا سمح الله، فهذا أكبر ضربة للحوزات العلمية، فلا يكفي الدراسة والاجتهاد، وإنما يجب الإنجاز وبحث آفاق الحوار والبحث والتقصي.

اجابة الشيخ محمد سند انه لا يملك اجازة اجتهاد وأنها غير ضرورية

انّ عنواناً غريباً ظهر في نهايات القرن العشرين الميلادي ، لا يمتّ الى "ولاية الفقيه" ، ولا يقتصر على عنوان "المرجعية الدينية" ، كان هو عنوان "المرجع الأعلى" . وقد سبقه في الظهور – تمهيداً له □ عنوان "زعيم الحوزة العلمية" . وهما لا شكّ عنوانان يبحثان عن مزايا "الولي الفقيه" من الطاعة والحاكمية ، ويهربان من مسؤولية "قيادة الأمة" نحو سبيل الرشاد بصفة رسمية مباشرة ، بكل ما تتطلبه من الجد والاجتهاد والتضحية . لذلك يمكن القول – بضرر قاطع – أنهما وضعا للالتفاف والتمويه ، حيث ثبوت الحاجة الى "حاكمية الولي الفقيه" عملياً ، من خلال ما أثبتته التجارب العراقية والايروانية واللبنانية خلال قرن من الزمان ، في الوقت الذي خشي أولئك الفقهاء على حياتهم ، حيث يستلزم القول بولاية

الفقيه المواجهة مع الطواغيت في التقدير الأعلى , وإصلاح المجتمع بعملية ومشروع واضح في الحد الأدنى.

وإذا كان أولئك الفقهاء الذين لا يستطيعون مجابهة المجتمع في انحرافه , ويفتون بتقوائية اجتماعية تتجنب اثاره الناس ضدهم , فيصمتون , او يدورون حول الشأن المنحرف في فتياهم , فهم أقل استطاعة عند تعلق الامر بالسعي في إقامة حاكمية الله وسنّ قوانين الشرع , حيث يواجهون الظلمة والمفسدين.

ولقد كانت هذه العناوين مثل "زعيم الحوزة العلمية" و "المرجع الأعلى" وليدة الحاجة السياسية لبعض الجهات الاسلاموية المعارضة , إبان حكم طواغيت حزب (البعث) , وبعد الاحتلال الامريكي للعراق في ٢٠٠٣ م . حيث انهم يؤمنون بالولاية الفقهية في جمهورية ايران الاسلامية , وبذلك هم يقولون بنظرية ولاية الفقيه , لكنهم في الوقت ذاته مضطرون للتعامل مع المرجعيات الدينية المدرسية في العراق , والتي لا تؤمن بالعمل السياسي , ليواجهوا بها المرجعيات العراقية القائلة بولاية الفقيه , والتي يرون انها احقّ منهم في قيادة الشعب العراقي , بل العالم الإسلامي . ومن هذه المرجعيات العراقية التي وقف ضدها قادة هذه الجهات الفئوية كان أولئك الناشئين في المدرسة الصدرية ذات الحركة المرجعية الميدانية . فردد أولئك الحزبيون بالتعاون مع منظومة "الحواشي" عنوان "زعيم الحوزة العلمية" , لتعظيم شأن السيد (الخوئي) سياسياً , والذي هو رغم شأنه العلمي المعروف فعلاً , إلا أنه ما كان أبداً كفواً ليقود الأمة زعامة وولاية . ثم اخترعوا عنواناً آخرًا , اكثر حداثة

, وأقرب الى مفهوم "الولي الفقيه" , هو مصطلح "المرجع الأعلى" . ليرتكبوا بذلك جناية علمية وعقائدية واجتماعية وسياسية , عانى ويعانى منها الشيعة الإمامية الى الآن .



السيد ابو القاسم الخوئي

وهذه العناوين الملتفة لم تكن قائمة على أساس شرعي روائي عن المعصوم أو فلسفته , كما هو الحال مع عنواني "المرجعية الدينية" و "الولي الفقيه" . وليست تقوم على ترجيحات عقلية مقبولة , حيث سيكون لازم الترجيحات العقلية القول بولاية الفقيه رأسا , بل هي فقط نص إعلامي أكثر انتشارا .

لكنّ هذه العناوين كانت مناسبة للأعبين الدوليين والمحليين الكبار في العراق حين تمّ طرح هذه العناوين . فسلطان (البعث) الطاغوتي كان يرى في نفخ شكل هذه المرجعيات التقليدية جدار صدّ داخلي لدى الشيعة لمواجهة أيّ تحرك معارض اجتماعياً وحوزوياً , قد تقوده المرجعية الصدرية الولائية , وبذلك ستستطيع هذه العناوين الرائجة سحب البساط من المرجعيات الفاعلة والعاملة , وبصمتها يصمت الشعب . أمّا الأمريكان والغرب عموماً فكانوا يعدّون لمشروع تغريبي وتخريبي , يفضي الى التقسيم والوهن والتمزّق في العراق , ولن تعي

خطواته الّا المرجعيات الميدانية ذات المشروع , كما هي المدرسة الصدرية , التي يمكنها ان تقود الناس وتزيدهم وعيا , لذلك كان من المناسب جداً وجود بدائل غير جاهزة للعمل السياسي بتاتا , الّا بنحو إعلامي ظاهري . فيما كانت بعض الفئات في الجمهورية الاسلامية في ايران تخشى من ظهور عناوين ولائية تنافس مقام الوليّ الفقيه في ايران , بالإضافة الى أن مؤسسات الجمهورية الاسلامية تأثرت بمعلومات عراقية مضللة فرضتها المنافسات العائلية والحزبية .



السيد محمد باقر الصدر

وكان افتقاد هذه العناوين علمياً وواقعاً لمستند شرعي إسلامي يوجب أن تُوجد لها مستنداً عملياً يدعمها اجتماعياً , فصارت مؤسسات الحاملين لهذه الألقاب من العقبات في طريق حملة رسالة الأنبياء من المراجع الميدانيين . فهم وَإِنْ اخذوا ما ليس لهم , لكنّ

حواشيهم لم تكتفِ بذلك , بل راحت تهاجم كلّ مرجع ميداني , وباسم الدين ! , كما فعلت من قبل مع السيد (محمد باقر الصدر) . ولذلك اصبح "الصمت" مقدساً , بعد أن كان عيباً . وصار الشعب العراقي الثائر لقرون متطاولة يرى الثورة خروجاً على الدين والعقيدة .

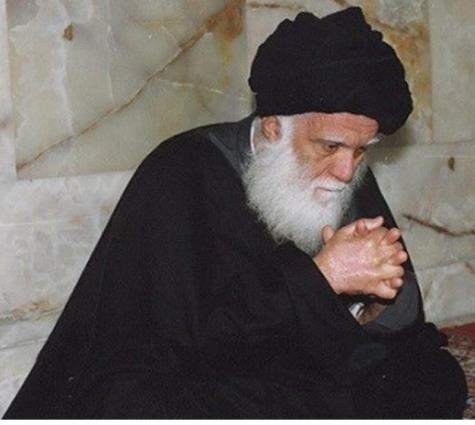
ولم تكن هذه العناوين قد أخذت شرعيتها من نص معصوم , كما انها لم تسر بمبدأ (الشورى) حتى , حيث يجتمع على تسميتها مجموعة من الفقهاء , وبذلك هي خارجة على النصوص الشرعية للمدرستين الشيعية والسنية , وليست سوى صدى لرغبة لا علنية لبعض النفوس .

ولو كانت هذه الزعامات قد اكتفت بالانعزال عن العاملين الاجتماعي والسياسي - وهو مبنائها النظري - لكان الامر يهون - من احدى جهاته - , لكنها كانت تتصدى مزاجياً , ودون مشروع واضح المعالم , بما يعيق عمل غيرها من المرجعيات الميدانية .

فحين كان لزاماً عليها نصررة المشروع الاصلاحى (الصدري) في السبعينات او التسعينات من القرن العشرين , كانت تشيع حرمة ذلك المسلك النهضوي ضمناً , او مباشرة . وحين توجب أن تتدخل في الشأن السياسي والثقافي بعد سقوط الصنم الطاغوتي بعد ٢٠٠٣ م , لاسيما بعد أن تشابه تاريخ (حزب الدعوة الإسلامية) - الحامل لمشعل الفكر الإسلامى الشيعي نظرياً □ مع تاريخ حزب (البعث) , رغم غرابة ذلك للوهلة الاولى , باعتبارهما متضادين , حيث ان لكلا الحزبين ايدلوجيا وثقافة متناقضة كلياً مع الاخر , ولكن حين تجاوز الهالة الاعلامية والاسوار الدعائية لكليهما سوف تبرز رؤية اخرى وواقع مختلف , حيث ان هذين الحزبين الكارزميين تأريخاً واشخاصاً اعتمدا سياسة (انا ربكم الاعلى) سلوكاً , فاشتركا في مفاصل الحركة , والتقيا في عالم السلوك , بمجرد استلامهما السلطة عند تجربة التطبيق , وإن اختلفا في عالم التنظير ودنيا الشعارات , بسبب أن حزب (الدعوة) الإسلامى حين وصل الى السلطة كان بلا مرجعية دينية حقيقية , فلم يختلف عن حزب (البعث)

العلماني شيئاً , ولم يقدم شيئاً للإسلام . لكنها فضّلت الصمت السلبي , الخانق لمشاريع غيرها , بل كانت تتدخل بطريقة تعيق سنّ القوانين الاسلامية , بنحو غريب , وذلك حين تجيب السائل المغرض عن شرعية إيجاد تلك القوانين بما يفهم منه القارئ انها ضد تلك القوانين , او انّ الظرف والزمّن غير مناسبين . حتى تفضّي الفجور والخيانة , بما هو اعظم من قبل . ولن يكون ذلك الظرف مناسباً الاّ حين يظهر الإمام الحجة , وهو بعد ذلك سيكون له شأن اخر.

بل ذهب احد وكلاء المرجعية المدرسية فعلاً في احدى محاضراته الى التصريح بأن (المرجع الأعلى) لا يريد قيام دولة دينية في العراق . وليس هناك نص سياسي أعمق من هذا التصريح , في الوقت الذي يدّعي البعض انّ "المرجعية الدينية" المدرسية لا تتبنى العمل السياسي ! . لكن يبدو أنّهم كانوا على الدوام يستغلون المستوى المنخفض للوعي التحليلي والتفكيكي والسياسي والديني الشرعي لدى الشارع العراقي , الذي أنتجته سياسات البعث الطاغوتي الممنهجة ضد العقل السومري الشيعي , والذي ساهم في تمرير هكذا مواقف تستند الى الالتواء . بل يمكن القول أن التسامح الذي ابداه بعض أبناء الأديان والطوائف والأيدولوجيات الاخرى تجاه سنّ القوانين الاسلامية بمستوى معين , أعلى من تسامح هذه المرجعيات المدرسية امام تلك القوانين . حتى وصل الامر الى تصريح بعض معتمدي "المرجعية العليا" المدرسية من على منبر الجمعة بتخلي تلك المرجعية عن الخطبة السياسية



السيد الشهيد الصدر الثاني



السيد علي السيستاني

لقد كانت شهادة السيد (الصدر الثاني) في العام ١٩٩٩م , على يد نظام البعث الصّدّامي , ثم سقوط ذلك النظام في العام ٢٠٠٣م , فرصة لتوسّع أشهر المرجعيات الدينية المدرسية المعاصرة , وهي مرجعية

السيد (علي السيستاني) . وهو شخصية إيرانية من مدينة (سيستان) مركز إقليم (بلوشستان) اهم المحافظات السنية هناك في جنوب شرق البلاد والموزع بين إيران وباكستان . تحققت لها عوامل الانتشار لعدة أسباب ترادفت لنتيجة واحدة , هي تبني عائلة السيد (الخوئي) لها , لما قيل من وجود اتفاق دعم

مشترك بينهما , وتبني مؤسسات ووكلاء (الخوئي) لها , لما رأوه من تشابه في المسلك المدرسي والمالي بينهما , وتبني جماعة (الخوجة) العالمية في لندن لها , وهي منظمة للشيعه الإثني عشرية من اصل هندوسي افريقي دخل اسلافها في الإسلام الشيعي الإسماعيلي ثم دخلوا إلى مذهب الإثني عشرية في القرن التاسع عشر الميلادي , وتتميز بكثرة التجار فيها وتوزعهم في اهم قارات العالم بقدراتهم المالية العالية , وارتباط تجار الخليج الكبار بها , لما



صفدر جعفر رئيس اتحاد الخوجة
الاثني عشرية العالمي

رأوه من ضرورة اعتماد مرجعية دينية مدرسية غير متحركة
وعدم اتباع مرجعية ميدانية , حفظاً لمصالحهم التجارية وخشية
من اضطرارهم إلى نشاطات تحتك بالسلطات الطائفية في بلدانهم
, وخلو الساحة الشيعية في النجف الأشرف من المرجعيات
الدينية الكبيرة في العمر بعد رحيل أغلبها , كذلك تبني مخالفو
نظام الولي الفقيه في إيران لها , لمناكفة النظام القائم مع بقائهم

ضمن إطار مرجعية قومية إيرانية , ثم أخيراً تبني المنظومة السياسية الحزبية والمؤسساتية
لها في العراق ما بعد ٢٠٠٣ م , لرغبة الجميع في هذا النوع المدرسي من المرجعيات الدينية
البعيدة عن العمل السياسي والميداني الذي لا يتدخل في شأنهم وأفعالهم أو يكبح جماح ما
يريدون , في تناقض من قبل أغلب هذه الأحزاب التي تقوم على أساس القيادة المرجعية
الميدانية نظرياً , ولا تريد لذلك أن يتحقق عملياً , وتناقض من قبل مكتب المرجعية الدينية
نفسه , الذي قال بعدم تدخله في السياسة نظرياً , لكنه مارس ذلك التدخل عملياً^{٣٤٩}.

SECRETARIAT GET INVOLVED secretariat@world-ksimc.org +44 20 8954 9881 WhatsApp Telegram WhatsApp

THE WORLD FEDERATION OF KSIMC

WF COMMUNITY RELIEF EDUCATION Shop DONATE

2 July 2023 / 13 Dhu al-Hijjah 1444

**HIS EMINENCE SAYYID AL-SISTANI'S (D)
LETTER TO THE UN SECRETARY GENERAL**

In the Name of Allah, The Almighty, The Highest His Eminence Sayyid Ali al-Sistani (May Allah SWT prolong his life) has sent a letter to the United Nations Secretary General, protesting the Holy Qur'an's desecration in Stockholm, Sweden. We are sharing this important message of his Eminence with all community members. In the Name of Allah, [...]

READ MORE

الموقع الإلكتروني لاتحاد الخوجة الاثني عشرية العالمي

^{٣٤٩} المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية , ص ٣٤٨ □ ٣٤٩



الشيخ محمد موسى اليعقوبي الأوسي

ولم يبقَ من مرجعية عاملة ميدانية صدرية في العراق سوى مرجعية الشيخ (محمد موسى اليعقوبي) , حفيد الاديب الخطيب المشهور الشيخ (محمد علي اليعقوبي الأنصاري الأوسي) , و(الأوس) من قبائل (سبأ) اليمانية , وقد كان مسؤول الاستفتاءات في مكتب السيد (محمد محمد صادق الصدر) وأحد طلبته الاوائل ورفاق مسيرته المرجعية . كان

عليها مواجهة كل ذلك المد الفكري الأجنبي المشوه , وكل تلك الفوضى الفكرية داخل المؤسسات الدينية الشيعية , وكل تلك الفوضى السياسية الحزبية , وكل تلك الفرقة الاجتماعية .



السيد محمد الصدر والشيخ محمد اليعقوبي في جامعة الصدر الدينية

ففي ظل المشروع اللاديني في العراق , كان الصراع بين الشيعة ونظام (البعث) الصدامي العفلي كان عقائدياً بامتياز , فقد منح الأخير رجالته من الشيعة في الثمانينات الكثير من الامتيازات الخاصة , لشراء ذممهم وكسر مجتمعهم , الا ان العموم رفضوا التعاون معه او الميل الى فكره الدخيل والالاحادي . وأعطى انصار مذهب اهل البيت في هذا الطريق الثوري مئات الالاف من القرابين .

الا ان الامريكان نجحوا بعد دخولهم الى العراق في تحويل انظار الشيعة نحو التعيينات والوظائف والمكاسب الحزبية المادية , حتى ضاعت تلك القيم الفاضلة والمبادئ الثورية في فوضى الصراع الحزبي والنهم المادي . حتى خسر الجميع ولم يربح احد سوى المشروع الأمريكي . فحين ظهرت الى العيان الأجيال الجديدة من الشباب وجدوا اباؤهم واحزابهم في خضم الصراع الفوضوي , فكانت اكبر امانيتهم ان يجدوا الوظيفة او التعيين على دائرة ما . وكان قد انتهى الجيل الذي ضحى بوظيفته وامواله وعشيرته من اجل مبادئه . وكانت هذه اجلى معالم نجاح المشروع الأمريكي .

وقد كان من اهم ملامح نجاح هذا المشروع الأخير خجل الأحزاب والكيانات الإسلامية من طرح اية مشاريع قوانين تستند الى الدين , الامر الذي تطور عملياً الى صيرورة تلك الجماعات عقبات كأداء امام المشاريع الدينية .

لقد أصبحت ولاية الفقيه النظرية التي تفرض واقعيتهما - عملياً - على القيادات الدينية الشيعية , من آمن بها , ومن لم يؤمن . فهناك من الفقهاء من يرى انها ضرورة عقلية ,

تستند الى الأدلة الشرعية , بل وبعضهم يرى انها الأصل , استنادا الى حاكمية الله . ومنهم من يرى خلاف ذلك , ولا يرى للفقهاء اكثر من الولاية الحسبية في زمن الغيبة .

لكنّ الفقيه الوحيد الذي لم يفهم حقيقة موقفه من هذه النظرية , هو المرجع السيد (علي السيستاني) , فقد كان الشائع بين العام والخاص فيما مضى انه لا شأن له بالسياسة , منشغل بالدين عنها .

وربما ظنّ هؤلاء المتحدثون ان الدين هو هذا الذي هم فيه ! , وكأنّ مذهب الشيعة الإمامية لم يقم على رفض حاكمية الظالم ! , متناسين ان كلّ البلاء كان نتيجة رفض الشيعة لتلك الحاكمية , وان كلّ نعمتهم انهم نصرّوا حاكمية أولياء الله , وأنّ دماءهم الزاكية على مرّ تلك القرون لم تكن لتسيل لو اقتصرّوا على دين لا شأن له بالسياسة . والغريب ان هؤلاء الفاضلين الذين عن السياسة يشاركون غيرهم الفخر بتلك الدماء اليوم ! . لكنّهم من جهة اخرى يقول بعضهم ان المرجع (السيستاني) كان قطب الرحي في اعتدال ميزان السياسة العراقية , ولولا مواقفه لكان الواقع العراقي مختلفاً وأكثر سلبية , وليس يُدرى أين ذهبوا بفكرة الاعتزال السابقة ! . ثم في مرحلة اخرى قرر انه لا يعطي رأيه في خيارات الشعب العراقي السياسية , بعد ان وصل الشعب الى منطقة الحيرة , بين المدعيات والمسميات الكهنوتية للسياسيين , وبين واقعهم الفاسد الذي يزكم الأنوف , تحت شعار اخر , تمّ الترويج له إعلامياً , انها " تقف من الجميع على مسافة واحدة " ! . وهي مقولة تخالف الكتاب والسنة بصراحة ووضوح . فهذا القران يصرح ((أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ)) , ((أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم

ساء ما يحكمون)) , ((قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) , ((أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)) .

لكنّ النهج المتأخر لمرجعية السيد (السيستاني) وغيره من فقهاء المرجعية المدرسية في النجف الأشرف – الذين كانت لهم بيانات وفتاوى سياسية مؤخراً – هو عين ولاية الفقيه , من الجانب العملي . رغم انها مرجعيات محسوبة على المدرسة الحسينية , غير الولائية .

ولو أنّ هذه المرجعية , وهي الغالبة على المؤسسة الدينية والاجتماعية والإعلامية الشيعية ولها امتدادها الدولي , كانت قد تدخلت في مجريات الأمور في العراق منذ ٢٠٠٣م او ما تلاها لكانت الدنيا غير الدنيا , ولأرتد الفاسد عن فساده , والظالم عن ظلمه . لكنّ الذي حدث ان بعض السياسيين – الذين كانوا سبباً رئيساً في خلق الأزمات واستمرارها – يطلق تصريحاً في النجف الأشرف يقول فيه " انه يستمد شرعيته من المرجعيات الكبرى المعروفة في النجف الأشرف " , ولم يرد عليه احد ! . حتى كانت نتائج تركه يعيث خراباً , تمزق البلد , وانهيار الجيش , وهوس الطائفية , وارتفاع معدل الفساد , وانخفاض الخدمات العامة , وزيادة الفساد الأخلاقي , وانفجار عدد المليشيات , ... الخ .

ان المرجعية المدرسية المتنفذة صارت – لا شك – هي العقبة امام كل المشاريع الإسلامية في العراق , باتكاء الناس عليها , فيما هي في اقصى جهودها تهتم بإدارة العتبات المقدسة . حتى وصلت الأمور اليوم الى أن المرجعية الدينية المدرسية صار شخصها لا يُدرّس ولا يُؤلف

ولا يُحاضر ولا يرمى ولا يتفقّد ، بل حوّل الإعلام الى "هالة قدسية ملائكية" يمتنع سماع صوتها على غير المعصوم ! .

وكان من نتيجة هذا الانقطاع التاريخي وفقدان الهوية الذي تسببت به المرجعية الدينية المدرسية بروز وشياع ظاهرة الازدواجية ، التي حاول بعض الكتاب الصاقها بالشعب العراقي ، كخصائص متجدّرة ، او كعوارض مكتسبة .

فالعجب كيف ينتقل الناس بصورة زعيم ديني - مدرسي - من كونه احد اهم الأسباب المؤدية لصعود قيادات منحرفة داخل الوسط الشيعي ، وتغلغل عصابات الفساد داخل الكيانات العامة التي ترتبط بمصالح من يمثلهم من شيعة ال البيت ، وتزايد نفوذ العلمانيين الملتحين ، وانتشار مظاهر المجون والخلاعة إعلامياً واجتماعياً ، وانحسار الحركة الميدانية الدينية ، وانتشار مساحة الإلحاد اللاواعي ، وانتهاك الحرمات الآمنة ، وسرقة الثروة الشيعية ، واغداقها على الغير ، والظهور السيء للأفواه المنبرية الطائفية المنفعلة ، وخلق الأزمات الاقتصادية والخدمية في المناطق الشيعية ، وسوء الخدمات ، والفشل الحكومي الطويل الامد ، والانتفاخ المالي لحيثان السياسة والحاصلين على مناصبهم باسم التشيع ، والانهيال المريب للمنظومة العسكرية والأمنية ، الذي تسبب بقتل الآلاف من شيعة آل البيت ، وفي هدر ثروتهم ، وانحلال القيم وخلط الأوراق ، وبروز الشذوذ الفردي والمؤسستي ، وغيرها من المصائب الكبرى ، كلّ ذلك لصمته المطبق ، وافتقاده لمشروع موازي ، يواجه به هذا الإحراق المتعمد للمنطقة الشيعية ، فضلاً عن امتلاكه لمشروع أولي يسبق كل ذلك للنهوض والبناء ، ينتقلون به الى صورة الزعيم البطل الذي يقود العراق نحو الانتصار ،

بفتوى الجهاد المدعاة . فيما يصرّح المتسبب بما جرى من سقوط ثلث البلاد بيد الارهاب عند مدخل دار تلك المرجعية ذاتها أنّه " يستمد مشروعيته من المراجع العليا المعروفة في النجف الأشرف " , بعد أن اعتبرت المرجعية الدينية الميدانية المتمثلة بالشيخ (محمد اليعقوبي) أن ذلك السياسي قد يملك "شرعية الانتخاب" لكنه لا يملك "شرعية الإنجاز" .

فلو كانت المرجعية الدينية المدرسية على قدر مسؤولية اختيار مجموعة سياسية تمثّل المشروع الشيعي ومصلحه , بضمانة المعرفة والارتباط بالمرجعية , وتحت إشرافها , وأشارت الى عناصر الفساد ونبّهت الناس الى مواقعهم , لانتبه الشعب العراقي الى ذلك كله .

من هنا انطلقت عدة أمراض فردية , واجتماعية , تفاقمت بمرور الزمن , وعززتها السلطات المختلفة , لأسباب معروفة , ومن ثمّ الأجنبي , لما يجني من ثمار تورّمها . فكانت الشخصية الثالثة الهجينة هي الاقدر على الاستمرار , خصوصاً مع الضغط السياسي والاقتصادي والامني على الشخصية الراسخة الأصيلة , مما جعلها تنكفاً , ومن ثم تميل للهدوء وأخذ قسط من الراحة , بعد هذا الإجهاد الطويل في ساحة المواجهة التاريخية . كما أنّ الشخصية البدوية الوافدة – التي لها في العراق عدة قرون – فكانت تسعى جاهدة للحصول على ما تستطيع من المساحة الاجتماعية والسياسية الخضراء , إلّا أنّ آلياتها كانت ترى اباحة ما لا تبيحه اليات الاخر . فكانت الشخصية الهجينة تزيد من مساحة وجودها , ووفرت لها القيادة الدينية الشيعية المدرسية بصمتها الغطاء اللازم للانتشار , مع التحوّل من الروح الإمامية الى الصنمية , ومع تزايد اواصر التحالف الغربي – البدوي قوّةً وتقارباً , وبالتالي الهياج ضد الشخصية العراقية الأصيلة .

لذلك لم يكن عجباً أن تتحدّث الجماعة الشيعية في العراق عن حماسها ورغبتها في انتظار إمامها , المصلح العالمي , الذي يحكم بما انزل الله , في ذات الوقت الذي تدافع عن وجود مرجعية مدرسية بلا مشروع , الذي ينادي وكلائه صراحة برفضه - ومعاونه - لقيام دولة دينية في العراق ! . بل ان الامر أشدّ غرابةً معرفة أن المرجع الديني - الذي يُفترض فيه قيادة الشيعة نحو دولة الاسلام والإمامة - هو ذاته من يعرقل سنّ قانون إسلامي على مذهب أهل البيت , يكفله الدستور العراقي المتفق عليه , والحاجة العملية لوجوده , وهو قانون "الأحوال الشخصية الجعفرية" ! . وفي زمان ومكان المرجعية التي تريد نظرياً قيادة الشيعة والمسلمين لبناء الدولة العادلة العالمية , القائمة على حكم الله , أن يتمّ سنّ قوانين تخالف ناموس الطبيعة , فيما تعجز هي عن المساهمة في تشريع قانون يحفظ كرامة الانسان .

فيما كانت "فتوى الجهاد" المؤسسة لقوات الحشد الشعبي العقائدي أهم ما تم ترويجه إعلامياً لإزاحة ما مضى من إهمال المرجعية الدينية المدرسية للشأن العراقي السياسي , لا سيما مع تبنيها لمبنى "عدم التدخل المرجعي في السياسة" . لكنّ الحقيقة الأقرب للقبول هي أنه لم يكن في حساب الأمريكان ولا الخليجيين ولا الإيرانيين ولا الدواعش ما جرى من انطلاق لظاهرة الحشد الشعبي , ولم تكن هناك "فتوى" صحيحة تؤسس لهذه الظاهرة , بل كانت "دعوة" للمواطنين للالتحاق بصفوف القوات المسلحة العراقية القائمة حينها . ولو فعل المواطنون ذلك لكانت مسيرة نحو هلاك مؤكد , في ظل الوضع المزري للقيادة السياسية والعسكرية قبل وبعد سقوط (الموصل) , الذي اتسم بالفساد والصفقات السياسية وجبن الكثير

من القيادات أو تواطؤها . لكنّ خطأ معتمد المرجعية في كربلاء في إيصاله لرسالتها من خلال منبر الجمعة , في ظل ارتبائه بعد وصول داعش الى منطقة (النخيب) عند مشارف كربلاء , خلق فهماً آخر , كان العراقيون ينتظرونه , أنه مفهوم التضحية . فهبت العشائر العراقية الجنوبية , التي تحمل روحاً علوية وموروثاً حسينياً لحماية البلاد والعباد من ذلك الشر المحقق , ولأخذ ثارات أبنائها الشهداء . فقد فهم الناس – بالخطأ – ان هناك فتوى للجهاد , فيما كانت الدعوة تقتضي التطوع ضمن قواطع الجيش القائم الذي انهكته الخيانة وفقد العشرات من أفرادهم ومراتبه . بدليل ان هذه الألوف من المتطوعين لم تجد من يستقبلها أو من يتابعها , لا من الحكومة ولا من المرجعية التي نُسبت لها الفتوى , سوى ما كان من الفصائل الموجودة على الأرض فعلاً خارج سلطة تلك الحكومة وتلك المرجعية , وبدليل عدم وجود نص لتلك الفتوى في أي موقع رسمي لتلك المرجعية , على خلاف ما جرت عليه عادة المرجعيات الدينية من التوقيع على نص فتوى الجهاد . لكن شاء الله أن يحفظ العراق بذلك الخطأ الغير المقصود .

وقد حدثت حالة من الفوضى , ابتدرتها مكاتب مرجعيات أخرى ومساعدات الجمهورية الإسلامية في إيران للملمتها وتنظيمها , بالتعاون مع الفصائل التي كانت جميعها صدرية الانتماء . فحدث الانتصار .

وهذا الخطيب على منبر كربلاء صاحب تلك الدعوة هو نفسه من تم ابتكار منصب المتولي الشرعي له بعد تجاوزه المدة القانونية لإدارة العتبة في كربلاء , ليظل في ذلك المنصب بلا قيد . وهو ذات المعتمد الذي حمل السلاح مع أنصاره ليقاتل جماعة شيعية أخرى تناصر ابن

مرجع آخر للسيطرة على العتبات المقدسة في كربلاء , رغم أن الأول ينتمي الى مرجعية دينية مدرسية لا تؤيد العمل السياسي , فضلاً عن حمل السلاح , والثاني أسس قواته هو الآخر لحماية المرجعيات الدينية والعتبات المقدسة ! .

كما ابتكر من اختارته تلك المرجعية الدينية المدرسية لإدارة الوقف الشيعي في العراق تبرير أنه يملك شهادة المرجعية الدينية بدلاً من الشهادة الأكاديمية التي تشترطها قوانين إدارة الوقف الرسمية . وهي الأوقاف وإدارة العتبات التي لم تنجح طيلة عشرين عاماً في رعاية تفويج الزائرين من شيعة أهل البيت أو خدمتهم بصورة صحيحة , حيث لازالوا يعانون اصعب الأثر بمجرد دخولهم أو خروجهم من كربلاء , ورغم استعانة تلك الإدارة بالمتطوعين المجانيين من محافظات الشيعة المختلفة خلال المواسم الكبيرة بنسبة تتعدى السبعين بالمائة . ولا تفرق عنهم باقي إدارات العتبات التابعة للمرجعية الدينية المدرسية في النجف الأشرف أو سامراء أو غيرها إلا يكون العدد في كربلاء اكبر بكثير والتواجد هناك أشد صعوبة . ولم تعد العتبات إلا مصدر للمخصصات المالية الشهرية وتأسيس الشركات والمؤسسات التجارية التي تدار من ذات الجهات بلا طائل حقيقي لخدمة زوارها.

فضاعت ملامح آثار الوحي وتعاليم مدرسة آل محمد في صخب الفوضى والنزاع والقتل والدمار , ولا زال العراق دولة علمانية صريحة , تستند كلياً الى قوانين (البعث) و(صدام) الفوضوية , في ظل لا مبالاة عامة , وخاصة , لا سيما من جماعات تعطي الشهداء على الأرض ظناً منها ان هذا هو أقصى حدود الواجب الشرعي , وهي بلا مشروع تصب فيه أرباح تلك

الدماء , وتتوهم بأنها ستندجح سياسيا . والحقيقة ان البطولة في الميدان لا تعني النجاح السياسي , لهذا يتم استغلال أمثال هذه الجماعات من قبل مشاريع وأحزاب أخرى بكل سهولة .

ان الفوضى الأخلاقية والمعرفية التي اوجدها الفاسدون في العراق كانت في ظنهم كافية في تأخير مشروع نهضة الإسلام فيه , كما أرادوا وأراد من أوجدتهم . وإنّ الانزياح الأحمر للدم الشيعي في ظلّ الطقسنة والتضحية يُوجد فجوة واسعة بين اهل العراق وبين عقيدة واهداف الائمة الساكنين على ارضه , فيما هناك انزياح أزرق لأرواح طهرت بمقام الشهادة في ساحات الدفاع عن الإنسان في العراق . وإنّ ما جرى في العراق من خلال فرض قانون إدارة الدولة على مجموعة كتابة الدستور –بعد احداث النجف الدامية– أسس لنظام مبادئ دستورية غير سوية في كل الجوانب الاقتصادية والقانونية والتعليمية والأمنية والإدارية والدينية في العراق . كما ان عدم التصدي الحقيقي للمرجعية الدينية المدرسية المؤثرة اعطى الفرصة للأمريكان وللأحزاب المختلفة التي جاءوا بها لتنفيذ رؤاهم المتضاربة والمختلفة , والتي انتجت الدمار الذي يصعب التعافي منه . حتى وصل الحال الى استغلال الشعب وإعطاء ثروته للشركات المتعددة الجنسيات , عن طريق السفارات الاجنبية ومن يواليها , بل عن طريق وزير كان رئيس اللجنة العليا التي شكّلتها المرجعيات المدرسية لتأسيس الكيان السياسي الشيعي الموحد ! .

ان الديموقراطية كانت اختراقاً فوضوياً غربياً , تلج منها المشاريع الاستعمارية بصورة ناعمة . فالديموقراطية مهما استطاعت ان تحقق من حقوق للأكثرية فهي لا بد ان تسحق حقوق

وامتيازات الأقلية , فكيف اذا كانت وبالأعلى الأكثرية . وليس بالضرورة ان تكون الأكثرية نبيلة او صاحبة حق شرعي انساني , فالغرائز البشرية قد تحكم حركتها فعليا , كالأنانية . وقد تساوي وسائل الديمقراطية عند التصويت بين العالم والجاهل , وبين السوي والمجرم , وبين الكبير الناضج والصغير النزق , او قد تصل □ حين لا يلتفت أحد □ الى مساواة العاقل بالمجنون , فجميعهم له صوت انتخابي , لكنّ الأكيد ان ليس جميعهم له عقل انتخابي .

وحيث تتعارض الأفكار التي تتنافس للوصول الى الحكم بالطريقة الديمقراطية بين الإسلام والشيوعية والاشتراكية والرأسمالية , او اية عقيدة أخرى تقوم على أساس شمولها الجذور الأولية لنظام الحكم , ومنها رفض الآلية الديمقراطية والاحتكام الى البعد الفلسفي او الديني مثلا , وأرادت احدى هذه الجهات تطبيق فكرها بعد وصولها الى الحكم بصورة ديمقراطية , تنفيذاً لرغبة الناخبين , عندئذ تعاني الآلية الديمقراطية عقدة غير قابلة للحل او التوافق مع الفكر السياسي المنتصر , فأما الغاء وجوده او الغاء الآلية الديمقراطية ذاتها , او قد يتم التوافق على ألا تنفذ اية جهة فائزة فكرها على الأرض , لحفظ حقوق الآخرين , ومن ثم يكون نظام الحكم عبارة عن فوضى , يتبرأ فيه كل صاحب فكرة منها , وهو الحال في العراق . او قد تراهن المؤسسات السياسية ذات المستوى المتدني على سذاجة الناخبين , لا وعيهم , للوصول الى الحكم , فهي لا تستطيع الارتقاء , فتلجأ الى خفض مستوى الذكاء العام , من خلال اليات الاعلام والاشاعة والتخريب للمنشآت التعليمية والتربوية والأخلاقية , الامر الذي ينتج جهلاً وفساداً مركباً , كما هو حاصل من خلال بعض الكتل البرلمانية العراقية الكبيرة . ففي النظام الديمقراطي تظل النظم التعليمية

والاقتصادية والجنائية والشخصية بلا أسس فلسفية , وانما تقوم على الأسس التوافقية, التي تتغير بين فترة وأخرى , بحسب مصالح الزعماء , الامر الذي ارهق العراقيين جسدياً وفكرياً.

ومن خلال وسائل "القوى الناعمة" والآلة الإعلامية تقوم المؤسسات الأخطبوطية الكبرى في العالم , بما فيها الدول الغربية المتقدمة والحكومات الظالمة , بعملية تخدير والهاء لأجل ابعاد الناس عن المصالح العامة وعن واقعهم وعن مشاكلهم وترك الاحتجاج والمناقشة وخاصة التغافل عن البلاء الوارد علينا من جانب الغرب نفسه . فيوحي الاعلام الغربي للمشاهد ان القيم الاخلاقية والأعمال الصالحة لا جدوى منها وهي مجرد حبر على الورق , ومن ثم تحشر بعض الآراء الفاسدة على السنة الممثلين الذين تعطيهم مكانة مرموقة كالطبيب او العالم او السياسي , وترسل هذه الأفكار الى المشاهد فيتقبلها ويتعبد بها دون ان يعرف ما هو مصدرها او لا يشعر بمدى خطرها على عقيدته . وصارت الصورة اداة للتلاعب , والإرباك القهري الذي يسلب العقل إمكانيته على التحليل والوقوف على الخطأ , ويجعله يجيب عن الأحداث عبر مجموعة من النقاط المسبقة التي صُنعت في عقله , فالإسلام متوحش من اول الامر , وعنيف , وغاية في التخلف , والغرب بريء دائماً وهو الذي يصنع الخير دائماً , وقوى الشر تريد الإطاحة به دائماً . فما صفته مزري ومنحط يتحمله الاسلام عبر ممارسات الإسلاميين مثلاً , دون ان تتحمله الايادي العابثة في القوانين الدولية او المخترقة للثقافات او التي تُمارس سياسة متوحشة في الاستلاب الثقافي للآخر ومحاولة إغائه عبر الأدوات الذكية او البرامج الناعمة . ومن هنا يبدأ الشباب مرحلة من الضياع والتشتت

الفكري , ترفدها الحاجات الغرائزية والحماسة وفقدان المثل بالطاقة اللازمة للانفجار العشوائي , فيشهد الشاب فترة من العداة للذات والبغض للإرث والشبيه , تجعله في خانة المواجهة ضد الوطن , وهو يرى انه في المنطقة الصواب , فيما ان الحقيقة تتلخص في افتقاده حينها للنفس والشخصية الثقافية , وتحوله الى جماد بلا ملامح تستخدمه وسائل التلاعب لتشكيل كائن جديد نافع لمشاريعهم فقط .

وقد يرى البعض هذا القول في المرجعيات الدينية المدرسية قسوة , او أن فيه اساءة لمقامها , ولكن ابن التاريخ الذي لا يعرف الحق بالرجال بل يعرف الرجال بالحق , ويعيش مبدأ "اعرف الحق تعرف اهله" , ومن دماء اجداده سالت على هذه الارض نصرة لمشروع آل محمد منذ (الاشتر) حتى الساعة , سيفهم مفاد هذه النصوص .

فالقضية لا تتعلق □ تاريخياً □ بمسائل فقهية محفوظة , بل بالقدرة والكفاءة لقيادة سفينة الشيعة في كل عصر , والا لاكتفى الانسان بجدهته التي كانت - رغم اميتها - موسوعة فقهية , تعلم شرعة ال محمد بمختلف اقوال الفقهاء السابقين , الا ان تلك الجدة تميزت عن المرجعيات المدرسية انها كانت كلما تذكرت انها حفيدة ذلك الذي " كان لعلي كما كان علي لرسول الله " تشعر بعظم المسؤولية تجاه مشروع آل محمد , فتأخذ على عاتقها تربية اجيال من الناس , انعم الله على من كان منهم .

فمرجعية مثل مرجعية السيد (علي السيستاني) كانت ملزمة □ بحضورها الرسمي والاعلامي □ ان تكون السبّاقة في طرح القانونين الجعفريين وغيرهما منذ سنين مضت . ولعل بعض المتفائلين يقول ان الاستعجال , والرجل لم يبيّن رأيه بعد , امر منكر , لكنّ الرجل لم يعود الشيعه ان يواكب حركتهم , لا سيما العراقيين . ولعلّ من يرجعون الى السيد السيستاني من الشيعة في العالم , الذين لهم قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية , ينتظرون من مرجعيته رأياً فيها , صار بإمكانهم ان يتخذوا ما سيؤول اليه هذان القانونان من مصير عبرة وباباً للفهم .



السيد السيستاني ورئيس مجلس النواب اللبناني



وقد من الامم المتحدة عند مكتب السيد السيستاني



معتد السيد السيستاني في كريلاء مع ممثلة الامم المتحدة

ومن هنا يأتي دور المرجع (اليعقوبي) ناشراً يد الرحمة لرفع معنويات شيعة أهل البيت , بما بذلوا من خدمة لائمتهم المعصومين , وبما بذلوا من دماء في سبيل التحرر , متوعداً الزعماء السياسيين المخادعين بالتفاف خدعهم عليهم , منتقداً عناوين القداسة الزائفة . فيما يتوجه برؤى أهل البيت الى العالم , باحثاً عن المشتركات الإنسانية . فهو يرى أن العراقيين وضعوا انفسهم طريقاً لعبور الباحثين عن القيم والمبادئ العليا , لا انهم فارضون لهذه القيم . رابطاً كل تلك المقدمات بقضية ظهور الإمام الحجة بن الحسن المهدي . متأملاً أن تكون الشعائر الدينية رسالية لا عاطفية جامدة . فيما كانت مرجعيته من المرجعيات النادرة في ذكر أسماء السياسيين الفاسدين صريحا . داعياً قادة البلاد الى التصرف بحكمة , كما دعا الى تأسيس مجلس للحكماء وأهل الخبرة في ميادين الحياة كافة , ليكون منطلقاً آمناً للإصلاح بعيداً عن بؤر الفساد , وليكون الشعب شريكاً في اتخاذ القرار .



الشيخ محمد اليعقوبي خطيباً في الزيارة الفاطمية

إنّ المرجعية الدينية الإسلامية هي احدى ركائز الفكر الشيعي الرئيسة , ومحوره العام في زمان غيَّبة القيادة المعصومة , ويكنُّ لها الشيعة احتراماً وافراً , ويضعونها في مقام سامٍ , باعتبارها حُجَّة المعصوم عليهم كما جاء في وصيَّته .

وفي عام ٢٠٢٢م عرضت قناة (الحدث) السعودية □ في ظاهرة غريبة □ تقريراً عن مستقبل المرجعية الدينية الإسلامية الشيعية في العراق في حال رحل السيد (علي السيستاني) , وعن الوجوه المرشحة لهذا المنصب الشريف , لا سيما بعد رحيل واحد من اهم المرشحين لمنصب المرجعية الدينية في نظر القناة وهو السيد (محمد سعيد الحكيم) , وكان التقرير يركز على شخصية قلَّما سمع باسمها معظم العراقيين وهو الشيخ (محمد باقر الايرواني) , في حال غيَّبت عن تقريرها اهم واكبر مرجعية دينية □ من حيث الاتساع الجماهيري - في العراق بعد مرجعية السيد (علي السيستاني) ألا وهي مرجعية الشيخ (محمد اليعقوبي) .



صورة من تقرير قناة (الحدث) السعودية يظهر فيه الشيخ الايرواني

وقناة (الحدث) تم انشاؤها لمتابعة احداث الثورات العربية في العام ٢٠١٢م , كرديف لقناة (العربية) التابعة لمجموعة (MBC) السعودية , ويملكهم جميعاً (وليد بن إبراهيم بن عبد العزيز الإبراهيم) شقيق (الجوهرة) أرملة الملك (فهد بن عبد العزيز آل سعود) . وبالتالي هي قناة تجمع المتناقضات , حيث هي مملوكة لعائلة فيها مجموعة من اهم رجالات الدولة السعودية وآل سعود , ساهمت في تأجيج الفكر الوهابي المتطرف , والنزعة الأعرابية في الدين , وتغذية الثورات العربية بالطائفية , وكذلك تنتمي لمجموعة إعلامية لها السهم الأكبر في إشاعة روح الخلاعة والفكر الشاذ في العالم الناطق بالعربية , وتكّن ادارتها اقصى المشاعر السياسية ضد دولة مثل العراق , يعزز كل ذلك حاضنة اجتماعية تكفّر ثلثي الشعب العراقي . ومن هنا فإن آخر ما يههما مصلحة المسلمين الشيعة في العراق , فهي لم تلق بالاً لشيعة أفغانستان الذين سلّمتهم الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها في الخليج بقيادة الدولة السعودية الى ايدي المتخلفين الإرهابيين من (طالبان) تحت مرأى ومسمع العالم , ولم يعنها الإهلاك الجماعي للقوى الشيعية في سوريا على ايدي الإرهابيين الذين تدعمهم السعودية بصورة مباشرة وغير مباشرة , حتى ان اغلب السيارات الداعشية □ كما ظهر من تقارير البيع اليابانية □ كانت صفقة سعودية . هذا فضلاً عن تفجير عشرات المدن والأسواق العراقية بأموال وأفراد سعوديين . فلماذا تهتم مثل هذه القناة بمستقبل " المرجعية الدينية الإسلامية الشيعية " في العراق , ولماذا لا تريد لمرجعية الشيخ (محمد اليعقوبي) الدينية الانتشار والتصدي .

ان المرجعية الدينية في النجف الاشرف تُعدّ المرجعية الدينية العليا للشريعة في العالم , ومصدر الاشعاع الاول للفكر الشيعي , فكان لها حصة الاسد في حركة التغيير القيادي والنهضوي , وبرز فيها في التأريخ المعاصر عدّة قادة ومراجع دينيين اصلاحيين تضحويين . والذين كان لهم تأثير في مسار الاحداث التي نيمرُ بها العراق حالياً , ابرزهم ثلاثة مراجع دينيين يُشكّلون مدرسة واحدة وتداخلاً فكرياً مشتركاً :

– السيد الشهيد (محمد باقر الصدر)

– السيد الشهيد (محمد محمد صادق الصدر)

– الشيخ (محمد موسى اليعقوبي)

حيث كان لهؤلاء الثلاثة المراجع الدينيين دفعا واضحا باتجاه ترتيب الوضع الشيعي بصورة خاصة , والوضع الاسلامي بصورة عامة . ولكن ما يهم هي الانتقال النوعية للفكر الشيعي والسلوك المرجعي الديني العام الذي تميّزت به مرجعية الشيخ (محمد اليعقوبي) الدينية عن باقي مراجع الاصلاح والنهضة .

حيث ان المرجع الديني السيد (محمد باقر الصدر) – الذي ساهم بنهضة فكرية عملاقة – اتجه الى مخاطبة النخبة الشيعية العربية بصورة عامة , ولم يتوجه الى القواعد الشيعية بقدر كافٍ . وهذا واضح من كتاباته ومؤلفاته مثل (فلسفتنا) و (اقتصادنا) ولم يحاول السيد (الصدر) الاوّل التحرك باتجاه بيان واقع القيادات الدينية المتصدية حينذاك أمام الجماهير ,

انسجاماً مع ما كان يتبناه من مفهوم المواجهة مع الخارج , خصوصاً مع تزايد المدّ الشيوعي والسلطان البعثي .

وكان السيد (الصدر) الأوّل - في مواجهته للخارج - يقارع الكلمة بالكلمة , والفكرة بالفكرة , والحُجّة بالحُجّة . ولم يعتمد سياسة الالغاء والفتوى التي اعتمدها المرجعية الدينية المدرسية , والتي لم تفلح في معالجة الاوضاع حينها , كما كان متوقّعا من تحركات المرجعية المدرسية .

وكان بعده السيد الشهيد (الصدر) الثاني صاحب نهضة الجمعة , تلك النهضة التي توجّهت الى القواعد الشيعية بصورة رئيسة , بعد ان ادرك (الصدر) الثاني واقع حركة (الصدر) الاول , وخذلان النخبة له , بانسحابها من واقع الاحداث , الّا القليل ممن وافق قوله عملّه . فسار السيد الشهيد (الصدر) الثاني باتجاه توعية المجتمع الشيعي حول ما يحيط به من واقع مزخرف ولكنه فارغ من الداخل . وعمل السيد (الصدر) الثاني على توجيه العقل الجمعي نحو تمييز القيادات الحقيقية . ولكنّه كان يفتقد الى الامتداد الذي يسمح له بالاتصال بالمحيط الشيعي الخارجي , فبقيت حركته ضمن الاطار العراقي . وكذلك كان تركيزه في مؤلفاته ينصبّ على بيان الحكم الشرعي الإسلامي وضرورات تطبيقه , باعتبار جهل غالبية الشيعة حينذاك بالمسائل الشرعية الاسلامية . مع محاولة جريئة وعملاقة منه لزرع قضية الامام المهدي في الشارع الشيعي .

وامتداداً لجهود هذين المرجعين الدينيين العملاقين , واستثماراً لفكرهما , وبالاستفادة من تجارب حركتيهما , نهضت حركة فكرية ضخمة اخرى , تستند الى القواعد الشيعية , وتدرك دور النخبة , يقودها المرجع الديني الشيخ (محمد اليعقوبي) .

ولكن كان واقع هذه الحركة متميزاً هذه المرة , فقد تبنى المرجع الديني (اليعقوبي) فكرة عملاقة يمكن تسميتها " صناعة النخبة " , وذلك بالعمل على رفع مستوى القواعد الشيعية العامة الى مستوى النخبة , ليكون الجميع قائداً في موقعه , وهي فكرة التمهيد لدولة الإمام المعصوم , عبر تهيئة الكفاءات القادرة على ادارة الدولة العادلة .

والشيخ اليعقوبي هو (محمد بن الشيخ موسى بن الشيخ محمد علي بن الشيخ يعقوب بن الحاج جعفر الاوسي الانصاري) . وللشيخ (اليعقوبي) علاقة طيبة بالأمير الحاج (جاسم محمد راضي الأوسي) الشيخ العام لقبيلة (الأوس) . ولد في النجف الأشرف فجر يوم المولد النبوي الشريف عام ١٣٨٠ هجرية الموافق أيلول ١٩٦٠م . حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية من كلية الهندسة في جامعة بغداد عام ١٩٨٢ .

والده الشيخ (موسى اليعقوبي) كان مديراً لإدارة جمعية الرابطة الأدبية في النجف لدورتين , ومؤسس لمجلة (الايمان) النجفية , عمل وكيلاً لمرجعية السيد (محسن الحكيم) في بغداد التي انتقل اليها بتوجيه من مرجعيته , ثم ظل وكيلاً فيها عن مرجعية السيد (أبو القاسم الخوئي) . وجدّه الشيخ (محمد علي اليعقوبي) اديب الخطباء وخطيب الادباء , نشأ في

مدينة (الحلة) , وحين بدأ الجهاد في مدن العراق وعشائره لاسترجاع البصرة بعد سقوطها بيد الانكليز بقيادة المجاهد السيد (محمد سعيد الحبوبي) في المحرم سنة ١٣٣٣ هـ كان يومئذ في مدينة (الساوة) زوّده السيد (الحبوبي) بكتاب يأمره فيه بتحريض عشائر (الساوة) و(الرميثة) على الانضمام في صفوف المجاهدين , وبعد استيلاء الانكليز على (الناصرية) ووفاة المجاهد السيد (الحبوبي) فيها كان لا يزال مرابطاً مع القوم , إلى أن وردت الانباء من (الحلة) بدخول (عاكف) التركي إليها وما ارتكبه جيشه فيها من الفظائع التي أوغرت صدر الشعب العراقي على الأتراك وانتهت بجلائهم عن العراق , فلم ير بدأ من الرجوع إلى (الحلة) فوجدها محاصرة بالجيش التركي في الداخل والخارج , وبعد سقوط بغداد في أواسط سنة ١٣٣٥ عاد الى النجف الأشرف , إلى أن شبت نيران الثورة العراقية في الفرات الأوسط , فكان يخوض غمارها , حيث شهد معارك (الهاشمية) ونواحيها , وكانت مواقف الثوار يومئذ في الجهة الغربية على الضفة اليمنى من فرات (الحلة) , وتقابلها جماهير الثوار المرابطة حول قرية (الحصين) على الضفة الشرقية اليسرى التي كان يتوسطها السيد (أبو القسام الكاشاني) والشيخ (محمد جواد الجزائري) وغيرهما من رجال الدين لتنظيم الهجوم على مراكز العدو في (الحلة) , وبعد انكسار الثوار والشروع بالمفاوضات وتأسيس المملكة العراقية غادر من النجف إلى الكوفة بحكم مهنته المنبرية , فألزمه المرجع الديني السيد (أبو الحسن الأصفهاني) بالنزول إلى مدينة (الحيرة) , ثم الزمه السيد (أبو الحسن الاصفهاني) بالرجوع الى الجف الاشرف بعد ان صار خطيب العراق الأول لمواجهة الأفكار المنحرفة هناك , فأسس مع جماعة من علماء وادباء العراق "جمعية الرابطة الأدبية"

سنة ١٣٥١ هـ , وانتخبه أعضاؤها عميداً لها حتى وفاته . اما جدّه (يعقوب) فقد حضر فترة من الزمان في مجلس العالم الرباني الأخلاقي الشهير الحاج (ملا حسين قلي الهمداني) و الواعظ الشيخ (جعفر الشوشترى) , وسكن فترة في (السماوة) وفي (الحلة) , كان شاعراً موالياً لأهل البيت , اذ له ديوان جمع بعضه ولده الشيخ (محمد علي) . وجدّه الحاج (جعفر بن الشيخ حسين بن الحاج إبراهيم النجفي) رأس أسرة (آل اليعقوبي) ولد نحو سنة ١٢٠٠ هجرية (١٧٨٥ ميلادية) , كان من وجهاء النجف ومن رجالاتها الذين عملوا في التجارة , كان من ثقة الشيخ (موسى بن الشيخ الأكبر جعفر آل كاشف الغطاء) , ساهم في بناء سور مدينة النجف الاشرف , صاهر أبناؤه (آل الحكيم) و (آل الغريفي) و (آل الغبان) و (آل زاهد) .

ارتدى الشيخ (محمد موسى اليعقوبي) الزي الديني مطلع عام ١٩٩٢م □ شعبان ١٤١٢ هـ , وتوجّه بالعمامة زعيم الحوزة العلمية السيد (الخوئي) . وابتدأ دراسته العلمية الدينية في " جامعة النجف الدينية " التي كان عميدها السيد (محمد كلانتر) . التحق ببحوث الخارج , فحضر بحث " الأصول اللفظية " عند السيد الشهيد (الصدر الثاني) من شوال ١٤١٤ حتى استشهاده في ذي القعدة /١٤١٩ هـ , وطبع من تقريراته مبحث " المشتق " في جزئين , وحضر بحوث " الأصول العملية " عند الشيخ (محمد إسحاق الفياض) في الفترة (١٤١٧-١٤٢١ هـ) , وحضر في " الفقه " عند السيد (علي السيستاني) في (١٤١٥-١٤٢٠ هـ) , وعند الشهيد (الميرزا علي الغروي) (١٤١٦-١٤١٨ هـ) , وقرّر تلك البحوث .

بدأ الشيخ (اليعقوبي) بتدريس المقدمات قبل مرور سنة على التحاقه بالحوزة العلمية في جامعة النجف الدينية . ثم في تدريس " السطوح المتوسطة " , وهي كتب (اللمعة) و (أصول الفقه) , و " السطوح العالية " بكتب (المكاسب) و (الكفاية) , وكانت حلقاته العلمية من أوسع الحلقات حضوراً إذ كان يدرس عنده (الكفاية) نحو ٢٠٠ من الفضلاء في مسجد (الرأس) الشريف المجاور لحرم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب . ثم بدأ بإلقاء محاضراته في " البحث الخارج " في " الفقه " في (شعبان ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦م), في المسائل الخلافية , حيث يختار مسائل ذات عمق علمي ومثار جدل بين الفقهاء , ويحضر بحثه أكثر من (٢٠٠) من فضلاء وأساتذة الحوزة العلمية , حُرِّرت وطُبِع بعضها في كتاب عنوانه (فقه الخلاف), وقد صدر منه اثنا عشر مجلداً , ومن مميزات بحثه تعرّضه لآراء أساطين القدماء وأعلام المعاصرين من مدرستي النجف الأشرف وقم المقدسة.

وكان مسؤولاً عن الاستفتاءات في مكتب المرجع الديني السيد (محمد صادق الصدر) , واحد طلبته في بحثه الخارج , والشخصية العلمية والإدارية الأولى في مكتبه , والعميد □ بأمر الشهيد (الصدر) في شهر صفر عام ١٤١٩ هـ □ لجامعة (الصدر) الدينية , التي هي الثمرة الدينية والعلمية والاجتماعية الأبرز في مسيرة المرجع الشهيد , وهي ملتقى المنهجين الجامعيين الديني والاكاديمي في العراق . فيما كان الاسم الأول الذي احتج به السيد (محمد الصدر) في اثبات اجتهاده وأعلميته على باقي المراجع الدينيين , وذلك حين أورد اسمه في مجلة (الهدى) التي كان يصدرها الشهيد (الصدر) حينذاك .

وعلاقة الشيخ (محمد اليعقوبي) بالشهيد (الصدر) عريقة بدأت في ثمانينات القرن الماضي ،
أي قبل تصدي الشهيد (الصدر) للمرجعية الدينية ، ان كان خاضعاً للإقامة الجبرية بعد
استشهاد المرجع الديني السيد (محمد باقر الصدر) في بداية الثمانينات . وبعد مبايعة ثوار
الانتفاضة الشعبانية في العام ١٩٩١ م للسيد الشهيد الصدر الثاني قائداً للثورة – قبل اعتقاله
بيوم واحد – شكّل السيد (الصدر) خمس لجان لقيادتها، وجعل الشيخ (اليعقوبي) رئيساً
للجنة السياسية والإعلامية . وفي /جمادى الثانية/١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/٩/٢٧ م، رشّح السيد
الشهيدُ (الصدرُ) الشيخَ (اليعقوبيَ) لخلافته ، بقوله لطلبة جامعة الصدر الدينية (...
والآن أستطيع ان أقول إن المرشح الوحيد من حوزتنا هو جناب الشيخ محمد اليعقوبي الى
وقت امد الله لي في العمر وشهد باجتهاده .. انن هو الذي ينبغي أن يمسك الحوزة من بعدي
وانا لا اعدو عنه)^{٤٤} . ومنذ توصلهما الأول في العام ١٩٨٥ م بقي الشيخ (محمد اليعقوبي)
مع السيد الشهيد (الصدر) حتى استشهاده في ذي القعدة / ١٤١٩ هـ الموافق شباط /١٩٩٩ م ،
وتولى الصلاة عليه وعلى ولديه وواراه الثرى مع عدد طلبة العلم . وقد أشار السيد الشهيد
(الصدر) في احدى لقاءاته المسجلة ان الذي ناصره في مجمل حركته الإصلاحية ونهضته
الإسلامية هو الشيخ (محمد اليعقوبي) .

^{٤٤} لقاء مسجل مع طلبة جامعة الصدر الدينية في ٥/جمادى الثانية/١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/٩/٢٧ م



الشيخ محمد اليعقوبي يتولى دفن السيد الشهيد الصدر الثاني



الشيخ محمد اليعقوبي يتولى حفر قبر السيد الشهيد الصدر الثاني

وقد قال فيه السيد الشهيد (الصدر الثاني) ما نصه (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين. اما بعد, فمن نعم الله سبحانه على الدين والمذهب عامة وعليّ خاصة وأنا العبد الخاطئ الذليل ان يرزقني عدداً لا يستهان به من الطلاب الفضلاء المخلصين وأهل المهمة المجدين جزاهم الله جميعاً خير جزاء المحسنين. ومن أهمهم هذا الشيخ الجليل والعلامة النبيل الفضال الشيخ محمد موسى اليعقوبي دام عزه , فقد التزم دروسنا في علم الأصول وأنالها العناية الكافية فهماً وكتابةً ومدارسةً, وها هو يقدم لنا في هذا الكتاب نموذجاً من جهوده وليالي تفكيره. وقد قمت بمراجعته وتدقيقه فوجدته وافياً بالغرض ملماً بالمطالب حسب الأصول. ولكنني اعتبرته هو المؤلف وله حرية التعبير وان كانت المطالب بالأصل صادرة مني بطبيعة الحال. ولكنني أجزته في ذلك بعد حفظ المعنى ووضوح المبنى. ولاشك انه بهذا الجهد الجهيد يسير بخطو حثيث نحو الاجتهاد ومعرفة السداد. أتمنى له المستقبل الزاهر في خدمة العلم والعمل وان يكون من المراجع المخلصين والقادة الطيبين جزاه الله خير جزاء المحسنين. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين. حرره بتاريخ التاسع من شهر رمضان المبارك عام ٥١٤١٨ هـ . محمد الصدر) ^{٤٥} .

وقال الشهيد (الصدر) ايضاً في رسالة وجهها الى الشيخ (اليعقوبي) ما نصه (بسم الله الرحمن الرحيم . شيخنا الأجل دام عزك بعد التحية والسلام. انت تعلم انني كنت ولا زلت اعتبرك افضل طلابي واطيبهم قلباً واكثرهم انصافاً للحق بحيث لو دار الامر في يوم من الايام

^{٤٥} مقدمة القسم الأول من بحث "المشتق"

المستقبلية بين عدة مرشحين للمرجعية ما عدوتك لكي تبقى المرجعية في ايدي منصفين وقاضين لحوائج الاخرين لا بأيدي اناس قساة وطالبين للدنيا. حتى انني فكرت في درجة من درجات تفكيري انني اقيمك للصلاة في مكاني عند غيابي تمهيداً لذلك ولازال هذا التفكير قائماً، ولم تمنع عنه رسالتك الصريحة هذه. كما لم اجد في طلابي إلى الآن على كثرتهم وتنوع اتجاهاتهم وادواقهم من هو جامع للشرائط التي اتوقعها اكثر منك، فحقق الله رجائي فيك بعونه وقوته. ١ جمادى الثانية ١٤١٨ (٤٦).



السيد محمد الصدر والشيخ محمد البيهقي

٤٦ رسالة مصورة في مقدمة كتاب "قناديل العارفين" من "سلسلة مالم ينشر من تراث الشهيد الصدر الثاني"، الطبعة الثانية ٥١٤٢٨،



السيد الصدر يقيم صلاة الجمعة في مسجد الكوفة بحضور الشيخ يعقوبي



الشيخ محمد يعقوبي في مكتب السيد محمد الصدر



صور للقاء الجامعة الذي أوصى فيه الصدر الشهيد بالمرجع اليمعوبي

وبالفعل ، بعد رحيل الشهيد (الصدر) ، تصدى الشيخ (محمد اليعقوبي) لقيادة الخط (الصدري) الحركي في العراق بصورة مباشرة ، ودافعية الحركة الإسلامية عموماً بصورة غير مباشرة . ان ظل يدرس الفقه والأصول في مسجد (الرأس) الشريف المجاور للمرقد العلوي المبارك ، ويلقي المحاضرات الأخلاقية والاجتماعية التي يتم نشرها عن طريق اشربة مسجلة في عموم العراق ، رغم التضيق الأمني الشديد من جلاوزة الامن في العهد الديكتاتوري البائد . وكانت محاضراته متنوعة وسابقة ، تتحدث في المجالات الدينية والسياسية والشبابية والتنظيمية وقضايا المرأة وغيرها . فيما تصدى كثيراً للمشاريع الفكرية الغربية التي اريد لها ان تحاصر الشعب العراق قبيل الغزو الأمريكي وبعده . وكان ولازال مكتبه ينظم الدورات الصيفية للطلبة والشباب ، ويحاول بهمة ربط المنظومتين الدينية والأكاديمية .



الشيخ محمد اليعقوبي يلقي الدرس في مسجد الرأس عند الحرم العلوي بعد شهادة استأذنه الصدر



الشيخ اليعقوبي في مجلس عام بعد شهادة استاذہ الصدر

ومنذ عام ١٤٢٠هـ بدأ الشيخ اليعقوبي بنشر بحوثه الاستدلالية الكاشفة عن اجتهاده . حتى أعلن اجتهاده في خطبتي صلاة الجمعة في الكاظمية المقدسة في صفر عام ١٤٢٤هـ الموافق نيسان ٢٠٠٣ م . وكان المرجعية الدينية الوحيدة في العراق ربما التي خرجت تبايعها نخب جماهيرية وتطالبها بالتصدي . فشهد له بالاجتهاد عدد من مراجع الدين والعلماء بعد الاطلاع على بحوثه الاستدلالية سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م , منهم آية الله الشيخ (محمد علي الكرامي) المجاز بالاجتهاد من قبل آية الله الشيخ (حسين المنتظري) , وآية الله المرحوم الشيخ الدكتور (محمد الصادقي الطهراني) المجاز بالاجتهاد من قبل السيد (الخوئي) في العام ١٣٨٦هـ . وقد خرجت جماهير كثيرة وكبيرة تطالب الشيخ (اليعقوبي) بإعلان مرجعيته العامة بعد سقوط النظام الديكتاتوري , في ظاهرة كانت فريدة حينها . ومن الذين شهدوا باجتهاده وفضله من العلماء المجتهدين والفضلاء من طلبة البحوث العالية : آية الله السيد (محمد حسين فضل الله) , آية الله السيد (محمد مفتي الشيعة) , آية الله السيد

(علي الحلو) , آية الله الشيخ (قاسم الطائي) , آية الله الشيخ (حيدر اليعقوبي) , العلامة الشيخ (فاضل البديري) , العلامة السيد (حسن الحسيني) , العلامة الشيخ (ميثم الفريجي) , العلامة الشيخ (يوسف الكناني) , العلامة الشيخ (حسين الطائي) , العلامة الشيخ (حسن الطراد العاملي) . فيما أشار آية الله السيد (هادي المدرّسي) □ في احد برامجہ الاذاعية كما نقل من سمعه مباشرة من الذوات الموثقين – الى ان الشيخ (اليعقوبي) اهم ثمرة لمدرسة السيد الشهيد (الصدر الثاني) المباركة . واوصت شخصيات منبرية معروفة الناس بالالتفاف حول مرجعية الشيخ اليعقوبي , مثل الخطيب والمحقق في تاريخ المرجعيات لنصف قرن السيد (محمد حسن الكشميري) , مثل الشيخ الخطيب (جعفر الابراهيمى) , والسيد الواعظ (محمد الصافي) الذي كان من المقربين الى مرجعية الشيخ اليعقوبي كثيراً ومن الداعين الى قيادتها بحماسة . فيما يكتفي الفقه الإسلامي الشيعي بشهادة اثنين من المجتهدين او من اهل الخبرة الفضلاء لإثبات الاجتهاد . كذلك الشيخ (حسن الصفار) تفاعل مع البعد الواعي لمرجعية الشيخ محمد اليعقوبي .



جانب من وفود البيعة الجماهيرية للشيخ محمد اليعقوبي ابتداء من ٢٠٠٣ م



الشيخ محمد اليعقوبي يزوم المصلين في جمعة العتبة الكاظمية ويعلن تصديه للمرجعية الدينية في
م ٢٠٠٣



الشيخ محمد الصادقي الطهراني



السيد محمد حسين فضل الله



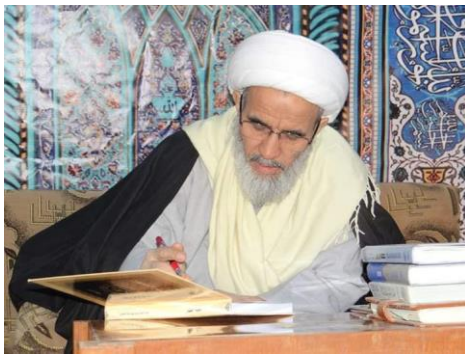
السيد محمد مفتي الشيعة



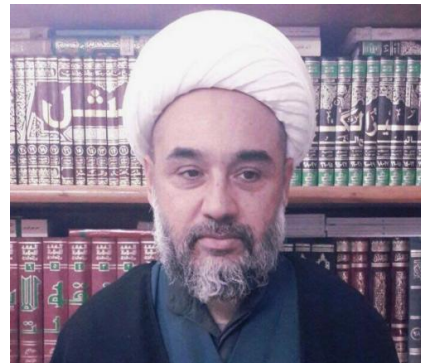
الشيخ محمد علي كرامي (جالساً)



لقاء الشيخ محمد اليعقوبي والشيخ محمد علي الكرامي



الشيخ قاسم الطائي



الشيخ حيدر اليعقوبي



الشيخ قاسم الطائي أثناء شهادته باجتهد الشيخ محمد اليعقوبي في ذي قار



السيد هادي المدرسي



الشيخ حسن طراد العاملي



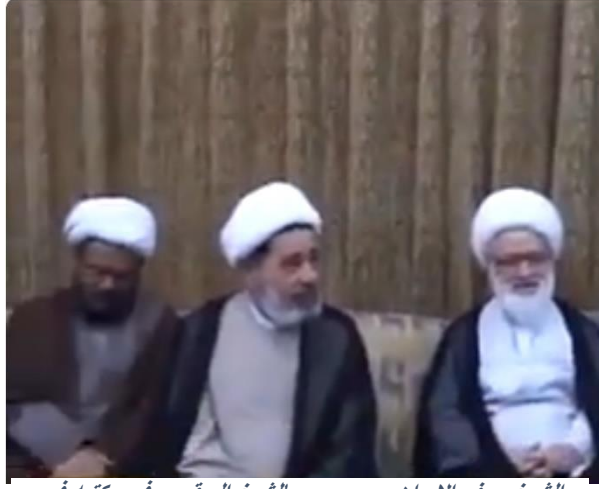
السيد محمد تقي المدرسي والشيخ اليعقوبي



السيد علي الحلو



الشيخ فاضل البديري في ضيافة
الشيخ يعقوبي



الشيخ جعفر الابراهيمي يوصي بالشيخ يعقوبي في مكتبه في
٢٠١٣م

محاضرات
في شرح كتاب
دروس في علم الأصول
للسيّد الشّهيد
محمّد باقر الصدر (رض)
الجلقة الثالثة - القسم الأول
لفضيلة الشيخ يوسف الكاني



السيد محمد الصافي خطيباً في صلاة
جمعة مسجد الرحمن ببغداد نيابة عن
المرجع اليقوبي في ٢٠٠٦ م



السيد محمد الصافي ناعياً عند دفن السيد الشهيد الصدر
الثاني في ١٩٩٩ م



السيد محمد الصافي في مكتب المرجع اليقوبي

وقال سماحة الشيخ الصفار أنه حرص في هذا الاتصال على مؤازرة سماحة الشيخ اليعقوبي في تصديّه لإصلاح الشعائر الحسينية وتهذيبها من الطقوس الدخيلة عليها، وأثنى على شجاعة الشيخ المرجع وهو يطلق هذا النداء من نفس مدينة النجف الأشرف، وان واجب المرجعية الرسالية دائماً هو تحمل مسؤولية المحافظة على الدين نقياً من الشوائب والتحرك به لإقناع الناس بهذا المشروع الإلهي. وقال انه اتصل بجملة من العلماء في إيران والعراق والخليج ولبنان لنصرة مواقف سماحة الشيخ المرجع واستنكار المهزّجين والمحزّزين ضد سماحته.

من كلمات الشيخ حسن الصفار بحق المرجع اليعقوبي في اتصال هاتفي في ٢٠١٢م



الشيخ حسن الصفار يحاضر في مركز عين للدراسات في النجف الأشرف برعاية
وحضور المرجع اليعقوبي



انكم بدعمكم للمرجعية العاملة كأنكم في خنادق القتال تدافعون عن رسالة الإمام الصادق (عليه السلام)، وان حضوركم هنا وما يترتب عليه بعد ذلك جزء من العمل برسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالة الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)).

من كلمات الخطيب الباحث في تاريخ المرجعيات لأكثر من نصف قرن السيد محمد حسن الكشميري للشباب بحق الشيخ يعقوبي

بدأ الشيخ (محمد اليعقوبي) بإلقاء البحث الخارج في علوم الفقه في ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م^{٤٧}. وقدّم رسالته العملية (سبل السلام) للطبع عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م . معطياً الاذن للمؤمنين بالرجوع إليه تقليداً , بعد أن كانوا يرجعون إليه قيادة . وكان رجوع المؤمنين الشيعة اليه قيادة يستند الى وصية السيد الشهيد (الصدر الثاني) في احدى لقاءاته ان قال " يحتاج الشعب العراقي إلى قيادة لا تمثل التقليد , يقلدون شخصاً ويأتمرون بأمر شخص آخر بعنوان الوكالة , أو بأي عنوان آخر ... فإن أمد الله تعالى في عمري وبقيت عدة سنوات أخرى فيوجد بالتأكيد هناك من طلابي ممن أتوخى منهم الإخلاص والتعب على نفسه والاجتهاد , طيب القلب وخبير وورع ونحو ذلك , قابل لأن تحوّل عليه القيادة الحوزوية , ولربما في ذلك الحين يكون هو الأعلم " . ثم توسعت مرجعيته عالمياً , فصار ل مكاتب وممثلات في اكثر من ثلاثين دولة آسيوية وافريقية وأوروبية , مسلمة وغير مسلمة .



الشيخ محمد اليعقوبي يلقي درس البحث الخارج

^{٤٧} قرر المرجع الشيخ محمد اليعقوبي الشروع ببحث الخارج في علم الأصول في ١٤ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ □ ٢٠٢٣م



١٧٠ حضور طلبة العلم في درس البحث الخارج للشيخ اليعقوبي

وعلى المستوى المؤسسي فقد انشأ او ساهم الشيخ (محمد موسى اليعقوبي) في قيام وعمل :
جامعة الصدر الدينية - جامعة الزهراء (عليها السلام) النسوية للعلوم الدينية - مَجْمَع
المبلغات الرساليات - مؤسسة البيت السعيد - مجلس الحكماء والأعيان - مركز عين
للدراسات والبحوث المعاصرة , الذي يصدر مجلة تخصصية في العلوم الدينية باسم
(الاستنباط) وأخرى في الوعي الإسلامي باسم (الإيمان) - مدرسة الأبرار الدينية للدراسات
القرآنية والحديثية والأخلاقية والدراسات المعاصرة - مؤسسة ملتقى العلم والدين , الفاعل
بين المؤسسات الدينية والأكاديمية والمجتمعية - مؤسسة الجمعة , مهمتها تأسيس ونشر
وإدارة صلوات الجمعة في العراق - مؤسسة فيض الزهراء (عليها السلام) لرعاية الأيتام
والفقراء - مركز الإمام الصادق (عليه السلام) للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية ,

ويتفرع الى قسم الدراسات القرآنية وقسم الدراسات العقديّة والفكرية وقسم الدراسات التخصّصية في الامام المهدي (عليه السلام) وقسم الفقه الإسلامي وقسم فلسفة الفقه. - مكتبة شيخ الخطباء - مدرسة أعلام الهداية الدينية , تقبل فقط الطلبة الأكاديميين الخريجين لكي تعدّهم ويتقبّلوا أكثر لاستيعاب العلوم وتطبيقها على الواقع عند بلوغهم رتبة (الاجتهاد) - المركز الفاطمي للدراسات والتنمية البشرية - المعهد الإسلامي للتطوير والدراسات , لتوفير استشارات إدارية وإعداد خطط إستراتيجية وإقامة برامج إعداد قادة وتصميم برامج تدريبية □ نقابة السادة الأشراف - المؤسسات الإعلامية , قناة (النعيم) الفضائية , قناة (بيّنات) الفضائية , إذاعة (البلاد) من بغداد , إذاعة (الأمل) من البصرة , إذاعة (سبل السلام) من الناصرية , إذاعة (الرميثة) من محافظة السماوة . بالإضافة لرعايته المباشرة للزيارة الفاطمية الكبرى في النجف الاشراف , حيث كان الصوت الأقوى للتحقيق في ظلامتها عليها السلام .

كما قام الشيخ بتأسيس حزب (الفضيلة) الإسلامي , ليكون ناطقاً عن العراقيين في الداخل , بعد ان قام الامريكان بتوزيع السلطة على الكيانات السياسية والافراد من الذين قضوا مجمل أعمارهم او كلها خارج العراق , دون الالتفات الى حقوق ومعاناة غالبية العراقيين الذين رزحوا تحت حكم الطاغوت الديكتاتوري , وهو الامر الذي ولّد فجوة معرفية وسياسية لازالت قائمة حتى اليوم بين الشعب العراقي والمنظومة السياسية التي كانت تجهل متطلباته . وفعلاً كان الحزب الأكثر استقلالية عن الشرق والغرب في المنظومة السياسية العراقية , حيث كان الصوت الأكثر فاعلية وقوة في معارضة السياسات الاقتصادية والإدارية

المؤذية للشعب العراقي , حين عارض قانون إدارة الدولة المؤقت الذي وضعته الحكومة الامريكية المؤقتة في العراق , والذي كَبَل مفاصل الدستور العراقي الدائم , وعارض التمييز والتفضيل الذي حظي به المكون الكردي على حساب المكونات الأخرى , وهاجم الوزراء والساسة الفاسدين بالأسماء , وعارض جولات التراخيص النفطية وحده التي رهنت الثروة العراقية لعدة عقود باليد الأجنبية , وعارض نظام الانتخابات النسبي غير الديموقراطي , وعارض سياسة المحاور الدولية وطالب بنأي العراق عنها , وهاجم فوضى السياسات الاقتصادية المتهالكة والمزاجية للحكومات العراقية وطريقة عمل الموازنة الاتحادية , ودعا الى تحرير مفوضية الانتخابات من السلطة السياسية , وكذلك تحرير المنظومة القضائية , وعمل جاهداً على تحريك ملف المصانع العراقية المعطلة , ونجح في تشغيل القليل منها , ورفض تسييس المنظومة العسكرية والأمنية , وطالب بتفعيل وانشاء منظومة اتصالات وطنية , والوحيد الذي قدّم مجموعة قانونية من التشريعات المستندة الى الفقه الإسلامي الشيعي الجعفري في الأحوال الشخصية والقضاء , وكتبت كوادره مجموعة خطط ورسائل تفصيلية للبناء السياسي والاقتصادي والثقافي بعثتها للحكومات العراقية المتعاقبة , واصرّ على خروج جميع القوات الأجنبية المحتلة للعراق , بما فيها التركية , والى رفض وكشف جميع الديكتاتوريات الفئوية والعائلية والقبليّة في المؤسسات العراقية , وتفرد بالمطالبة بقانون يشرعن وجود قوات (الحشد الشعبي) لحمايتها من الغدر الدولي , وهو ما كان لاحقاً بالفعل , وسعى في جميع المناسبات للتوفيق بين الكتل السياسية والاجتماعية المتصارعة في العراق , واستمر في مطالبة البرلمان باحترام الحقوق الثقافية والسياسية والاقتصادية للأغلبية

الشيوعية في العراق . الى ان قام بحلّه الشيخ اليعقوبي قبل تظاهرات (تشرين) بعام , بعد
يأسه من توافق المنظومات السياسية العاملة في العراق في ظل مفوضية انتخابات متحزبة
ومخرقة .

ولرجعية الشيخ (محمد اليعقوبي) الدينية خصائص إنسانية عامة , وخصائص إسلامية
خاصة , وخصائص شيوعية علوية إمامية فريدة . فهي عالمية الطابع , تتحدث في قضايا
بشرية مشتركة , ترى ان الإسلام قادر على تغطية كافة جوانبها وسبر اغوارها بما يملك من
عمق سماوي مسدد وشامل , رافضة لنظريات (المصالح) الانانية الضيقة , وملتزمة برؤية
(المبادئ الثابتة) النظيفة والقيم الأخلاقية العليا , في اطار رؤيتها المدنية للحياة التي ترى
ضرورة اعمارها مع ضبطها بأسس الشريعة الإسلامية , معتمدة في كل ذلك على لغة الحوار
التي تحاول نشرها والمشاركة في منتديات تنميتها , لأنها ترفض اللغة غير الشفافة للسياسة
المعاصرة وكل وسائل التضليل والتجهيل التي تستخدمها لخداع الجمهور .

ومنطلقها في هذه الرؤى ما تراه من وظائف للمرجعية الدينية , تتمثل في تصديها للشؤون
الاجتماعية العامة , ورعاية افراد ومؤسسات الامة وحقوقهم السياسية والاجتماعية
والاقتصادية , وتشخيص الشبهات الموضوعية التي قد يقعون فيها والتي غالباً لا يتدخل
الفقهاء في تشخيصها , والاشراف على قواعد حفظ النظام العام , والتأكد من وحدة الامة
وتماسك كيانها , لتصل بها في كل ذلك الى الكمال المنشود عبر الخيارات الصحيحة .

فيما عملت على الفات النظر الى قصور الحضارة المادية عن البلوغ بالإنسان الى مرتبة الكمال
والسعادة الحقيقية . والتعريف بالإسلام , بما هو دين سماوي انساني يحترم معايير

الفلسفة الأخلاقية السليمة للبشرية , وتنقيته من شوائب التدخلات المادية الغريبة فيه وإظهار معالم عظمته وقوته . وتركيز العين على منهج الإخلاص لله الخالق الباري في كل عمل . ومحاولة تخليص الامة من الجهل والتخلف , ودفعها باتجاه الوحدة والتآلف , مع الدعوة الى اعتماد العمل المؤسساتي المنظم , وحسن اختيار الكوادر الوسطية والقيادية لتلك المؤسسات , حيث تكون معروفة بالتهذيب وطهارة القلب , متأسية برسول الله واهل بيت النبوة , تحترم قيمة الانسان , وتكون في اشد واصلب مظاهر مقاومة الانحراف والمغريات .

بينما عملت على المستوى الديني والعلمي والاجتماعي على تعزيز الاستفادة من العلوم العصرية في المجال الفقهي , فاستقطبت حملة الشهادات الجامعية الاكاديمية الى المؤسسة الدينية . وعملت على نشر فروع جامعة (الصدر) الدينية وجامعة (الزهراء) النسوية الدينية على مستوى العراق جميعا . وعملت على احياء التراث الكبير للشهيد (الصدرين) , ومجمل التراث المرجعي الديني لأساطين الشيعة من خلال درسها العلمي او من خلال مطبوعات المراكز البحثية . بالإضافة الى تأسيسها ل (جماعة الفضلاء) كذراع ديني اجتماعي مشترك للمرجعيات الدينية لمواجهة خطر الغزو الثقافي والسياسي الأجنبي . وعملت جاهدة على ربط العشائر والقبائل العراقية بالحوزة العلمية الدينية وكيانها الشريف , والحث على ترويح (سنينة = تشريعات) عشائرية تراعي مبادئ الإسلام .

والشيخ (اليعقوبي) □ الذي يؤسس لكل شيء تحت ظل الوعي القرآني □ القى الدروس والمحاضرات في جوانب أخلاقية واجتماعية متعددة ومتنوعة ومهمة ومفصلية , مستنيراً بما كان للأئمة المعصومين من دور في التاريخ , لبث الوعي والثقافة الإسلامية الصحيحة ,

وحماية المسلمين من شرور الإعلام المؤدلج غير المهني والغزو الثقافي الأجنبي , مع التركيز على زيادة وعي المرأة وحمايتها من خلال المحاضرات وتأسيس الروابط النسائية ومجتمع المبلغات , وكذلك الشباب والطلبة الذين عملت مرجعيته على التواصل المباشر معهم , وكان اهم المؤازرين للمدارس في حملة (الحسين بسمة تلميذ) لتوفير الكتب والمناهج التي تقاعست وزارة التربية عن توفيرها للطلبة , وتوجيه الناس للخروج من مآزق الفتن السياسية والاجتماعية , ومنعها من الدخول في مضلتها , كدوره ورجالاته في منع الناس من سرقة المال العام عند دخول القوات الامريكية المحتلة الى العراق وإباحتها لمؤسساته , ثم حمايته الشعائر الدينية الاصلية من عبث العابثين والنزقين , مع تبنيها للمناسبات الدينية ورعايتها وتعزيز ذاكرة الامة بفضلها , لا سيما قضية الإمام المهدي عليه السلام , ودعوته الى التركيز على المناسبات الخاصة بالنبي الأعظم (محمد) , حتى ربط بين المناسبات الدينية والمجتمع الجامعي , فيما كان مرشدو الحجيج من مقلديه على مستوى عالٍ من الوعي العلمي والعملية , كذلك دعا الى الاهتمام بالثقافة العقائدية الدينية للقوات الأمنية لتعزيز ثقافتها الوطنية , وكان اول الداعين الى تشكيل " جيش رديف " عقائدي لمساندة الجيش العراقي , كان من نتائجها تأسيس (الحشد الشعبي) , الى جانب دعوته الى تأسيس ورفع وعي منظمات المجتمع المدني والنقابات التي اعتبرها من مصاديق (نظم الامر) الذي أوصى به أئمة اهل البيت شيعتهم , كما تصدى للدعوات العقائدية المنحرفة فكريا , وكشف واقع الادعاءات الكاذبة و (المزارات الوهمية) المستخدمة لأغراض تجارية , ونهى عن سير النساء مشياً للعتبات المقدسة دون وجود من يراعهن من رجالهن , ونهى عن الطقوس الدخيلة على

الشعائر الدينية الحسينية مثل " التطبير " بضرب الرأس بالآلات الحادة , في الوقت الذي دعا الى تشكيل وزارة خاصة لرعاية المناسبات الدينية , فيما طالب بإغلاق البارات والملاهي التي تتعارض وقيم وثقافة المجتمع العراقي , في الوقت الذي يرمى العشرات من المؤسسات التطوعية لمساعدة العوائل الفقيرة . هذا بالإضافة الى تبنيه ودعوته لتأسيس وتفعيل (البنك الإسلامي) و (الذاكرة الوثائقية) وتفعيل ملف (المقابر الجماعية) وتنشيط فاعلية (اللغة العربية) و (علوم القرآن) , و (فتح باب الاجتهاد) في المجتمع الإسلامي السني لحل مشاكله الاجتماعية والسياسية والخروج من اطر السلفية , وقد اقام صلاة الجمعة في مكة المكرمة والتقى بالمجتمعات الشيعية والسنية المتعددة , لدراسة وتعزيز قيم اللقاء المشترك بين المسلمين , بل خاطب (بابا الفاتيكان) برسالة خاصة .

وفي المجال السياسي كان له الدور الأبرز في العراق , على مستوى رجال الدين والمرجعيات الدينية . فكان دائم المطالبة بإصلاح العملية السياسية , ويدعو الجمهور العراقي للضغط على السياسيين , ابتداءً من نقده لظروف وآلية تشكيل (مجلس الحكم) العراقي تحت ظل الاحتلال الأجنبي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية , وسعيه لتثقيف الجمهور العراقي بمعلومات ما يجري وما يراد على المستوى السياسي , ودعوته للتظاهر ضد المحتل الأجنبي حين نصب حاكماً اجنبياً , ومروراً بتقديم المشروع السياسي للفترة الانتقالية برؤية حوزوية , ونصائح لفريق عمل الأمم المتحدة في العراق , ونقده للقوانين التغييرية غير المحترمة لثقافة وتاريخ العراقيين التي سنها مجلس الحكم مثل قانون الجنسية العراقية , ثم مراقبته لعملية كتابة الدستور الدائم وتعليقه على بعض مواده ومطالبته بتعديل بعض فقراته ,

ومقترحاته التي يوصلها لرئاسة مجلس الوزراء لحل مشاكل الحكومات العالقة , وموقفه من الاتفاقية الأمنية العراقية - الامريكية , ونقده المستمر للأداء البرلماني السيء وللوزراء وأعضاء البرلمان لتقويم وإصلاح عملهم , وذكره لأسماء صريحة لمسؤولين فاسدين , ومراقبته لميزانيات الحكومات العراقية ونقد سلبياتها , واقتراحه تشكيل كيان رديف للائتلاف الشيعي في العملية السياسية , وتفاعله مع المطالبات والحاجات المناطية المحلية والنقابية والفئوية , ومحاولته المستمرة لتفعيل دور العشائر السياسي باعتبارهم اعرف بما كان في داخل العراق واثق في حركتهم ودعوته لضمهم في مجلس الاعيان والحكماء الذي أراد تأسيسه لمراقبة المشهد السياسي , ودعوته للفيدرالية الإدارية وتوسيع صلاحيات المحافظات لا الفيدراليات الطائفية والقومية المجزئة , ودفاعه عن حقوق المكونات المستضعفة والمغيبة مثل (الشبك) , وعمله على اخراج العراق من عصف رياح الحرب الطائفية بحكمة لا تسلب الأغلبية حقوقها وامنها , مع دعوته العملية للمصالحة الوطنية , ورفضه وانتقاده لمشاريع الأقاليم الانفصالية , ونجاح رجالات مرجعيته في التوفيق بين القوى السياسية والفصائلية المتخاصمة لحفظ النظام العام وتحقيق الامن والإسراع في تشكيل الحكومات لاسيما ان الشيخ (اليقوبي) تدخّل بصورة مباشرة لإنجاح (مؤتمر مكة) للقوى والمكونات العراقية , والمطالبة بالإسراع في انزال العقوبات بالإرهابيين , ودفعه المباشر وغير المباشر باتجاه إقرار القوانين التي تحترم ثقافة وعقيدة الأغلبية في العراق مثل قانون الأحوال الشخصية الجعفري والمحكمة الجعفرية ودفاعه عنهما امام الناقدین الأجانب , واصراره على تعديل قانون الانتخابات العراقي لجعله اكثر انصافاً وواقعية واحتراماً لأصوات الناخبين , بعد ان

حث الناس على المشاركة الفاعلة والدائمة في الانتخابات لتعزيز المصالح الجماهيرية بالطرق السلمية , ونقده الصريح للسياسيين الذي كافئوا جلاوزة النظام الديكتاتوري السابق وفرطوا في حقوق الضحايا , ودعوته لتفعيل دور القطاع الخاص اقتصادياً للمساعدة في حل المشاكل التي يعاني منها العراق , ودعمه للانتفاضات والاضرابات والتظاهرات الشعبية ضد الحكومات الفاسدة ومحاولة توجيهها لما يصلحها ويحقق مطالبها , وطرحه الحلول المنطقية الواقعية لمشاكل الفساد الإداري والمالي في العراق , وشريكه الفساد الأخلاقي كذلك الذي كان كثيراً ما ينتقد مظاهره الاجتماعية , بل وصل الى ان افتى بمنع التدخين المضر في الأماكن العامة .

والشيخ اليعقوبي رغم تحريكه أولى التظاهرات الشعبية في عام ٢٠٠٥م ضد الابتزاز الذي يمارسه الساسة الاكراد لنهب ثروات الجنوب العراقي , الا انه دعا الى توسيع قنوات الاتصال وتوثيق الأواصر مع الأخوة المؤمنين الساكنين في المناطق الكردية من دول المنطقة والمهاجرين منهم في دول العالم , ويلتقي بعدة وفود نخبوية وشعبية من كردستان .

ورغم مطالبة الشيخ محمد اليعقوبي بتفعيل القطاع الاقتصادي الخاص لحل مشاكل البطالة , الا انه كان يراقب عمل الشركات الوهمية التي هدفها نهب وتخريب الاقتصاد الوطني العراقي مثل شركات " التسويق الشبكي " . وفصل ايضاً قضايا بيع العملة ووضع لها نظاماً فقهيّاً يمنع من خلق رأسمالية ربوية عملياً تحاول الظهور بمظهر شرعي نظرياً , بالإضافة الى تناوله نظام المصارف الاهلية الشرعي . كما افتى بحرمة بيع السلاح لشخصيات مجهولة , في بادرة استشرفت ما يحاك للجنوب العراقي من هجمة إرهابية شرسة , سبقت هجمتها

بمحاولة افراغ ساحة الجنوب العراقي من سلاحه الذي يدافع به عن نفسه وعرضت مقابله مبالغ كبيرة , فأفتى قبل أي مرجعية دينية شيعية بتحريم بيع السلاح رغم ان كل الأطراف مسلمة . ومع ذلك افتى ايضاً بحرمة سب رموز المذاهب الإسلامية الأخرى .

وقضية استشراف الشيخ محمد اليعقوبي للمستقبل تكررت عدة مرات . فهو سعى الى تأسيس حزب إسلامي يحفظ حقوق العراقيين في داخل العراق قبل سقوط النظام البعثي الديكتاتوري , وأوضح ما سيحدث في العراق عند عدم التزام الأطراف الطائفية والقومية والحزبية المتصارعة في العراق بوثيقة (مكة) , وايضاحه صفات بعض الحكومات العراقية قبل ممارسة مهامها , و اشارته الى الفتن والمؤامرات التي تتم حياكتها ضد الشعب العراقي قبل وقوعها , خصوصاً حين يقوم السياسيون المتحزبون بخذلان الشريعة الإسلامية عند سن القوانين الوضعية , وحديثه عن ثورات الشعوب العربية ضد أنظمة الحكم فيها قبل قيامها . فيما كان له تعبير مهم جداً ومعبر عن احدى الحكومات العراقية التي كانت في بداية ولايتها , حين قال " أنها تملك شرعية الانتخاب , لكنها لا تملك شرعية الإنجاز " . بمعنى انها حظيت بأصوات الناخبين العراقيين بناءً على ما تعهدت به من برنامج انتخابي , فاذا لم تنفذ هذا البرنامج لن تكون حكومة شرعية , بل تكون قد خدعت الجمهور . الا ان رئيس الحكومة حينها زار بعض المرجعيات الدينية الكبيرة في النجف الاشرف في نفس الأسبوع , واقام مؤتمراً صحفياً في مدخل زقاقها ليصرّح انه " يستمد شرعيته من المرجعيات الدينية المعروفة في النجف الاشرف " . ليرد بذلك على ما قاله الشيخ محمد اليعقوبي , دون

ان تكون هناك تحركات مرجعية لردعه , فألت أوضاع البلاد عموماً والشريعة خصوصاً الى ما آلت اليه من فساد وخراب نعانيه اليوم .

وهو على المستوى العربي والدولي اهتم كثيراً بالقضية الفلسطينية ودعم حق الشعب الفلسطيني في ارجاع ارضه , وتحذيره من المشاريع الشيطانية التي تتراد للعالم الإسلامي وللناطقين بالعربية , ودعمه للحقوق السياسية والثقافية للغالبية من الشعب البحريني ودفاعه عن قيادتهم الدينية والاجتماعية امام جور الجائرين , ودعمه للمستضعفين من شيعة اهل البيت في باكستان وغيرها من بلاد المسلمين الذين يتم تفجيرهم بلا ذنب سوى انهم يوالون آل بيت النبي محمد ﷺ صلى الله عليه وآله ﷻ ويرفضون ان يكونوا مستعبدين للخارج , ونصرته لجهود وجهاد الشعب اللبناني في تحصيل حقوقه الوطنية . فيما يبدي عناية خاصة بطلبة العلم والشعوب من الدول الافريقية ويحثهم على الالتحاق بصفوف الحوزات الدينية ونشر علوم وثقافة اهل البيت , في الوقت الذي يبعث البعثات العلمية والدينية من الحوزة العلمية النجفية لزيارة عدة دول في غرب افريقيا .

وقد نجحت كوادر مرجعية الشيخ (محمد اليعقوبي) بقيادة الشيخ (سامي المسعودي) في إعادة العتبة العسكرية للإمامين (علي الهادي , الحسن العسكري) إلى شيعة أهل البيت بعد سنين من استلابها , كما قدّموا الدماء في سبيل حمايتها قبل تشكيل كتائب الحشد الشعبي . ونجحت تلك الكوادر ذاتها في الوصول بهيئة الحج العراقية إلى المرتبة الأولى عالمياً في تفويج وخدمة الحجاج العراقيين , ونالت جائزة الدولة السعودية , وتم الطلب إليها تدريب كوادر عدة دول إسلامية .

واليوم مرجعية الشيخ (محمد اليعقوبي) واسعة عالمية , ويحضر درسه (الخارج) مجاميع كبيرة من طلبة العلم ورجال الدين الذين يحضرون دروس غيره من المجتهدين والمراجع . ورغم صعوبة الاحاطة بكنه هذه المرجعية الدينية الإسلامية الشيعية الضخمة فكراً , لكن يمكن الايجاز بما يلي :

– ان مرجعية الشيخ (محمد موسى اليعقوبي) الدينية مزجت بين نخبوية حركة السيد الشهيد (الصدر) الاول وبين جماهيرية حركة السيد الشهيد (الصدر) الثاني , لتبدأ مرحلة الجماهير الواعية الرسالية .

– وصنفتُ المواجهة الحضارية مع الآخر على انها مواجهة فكرية , يتداخل معها العامل الاقتصادي , اكثر من كونها مواجهة عسكرية .

– ورفضت استغلال منصب المرجعية الدينية الإسلامية الشيعية بالصور الفردية الكاريزمية الفئوية غير المنتجة .

– وساهمت وتساهم في تغيير النهج الديني الحوزوي العلمي والاجتماعي , ليكون اكثر اندماجاً مع المجتمع الحديث .

– وعملت وتعمل على الانتقال بالعقل الشيعي الى مرحلة الوعي الرسالي . ويُعدّ كتاب المرجع الديني الشيخ (اليعقوبي) المعنون (دور الائمة في الحياة الاسلامية) سبيل ارتقاء

بالأمة من مرحلة الوعي الرسالي الى مرحلة بوادر دولة الإمام المعصوم , من خلال العيش مع النفس العام لتحركات الائمة المعصومين .

- وكذلك كانت مرجعية الشيخ (اليقوبي) الدينية مرحلة الالتقاء بين الافكار الاسلامية , بعيداً عن الخطوط الحمراء والاسوار الحجرية التي وضعها من يخافون المواجهة من الطرفين .

- ان حركة المرجع اليقوبي حاولت المزوجة بين مثالية المبادئ الاسلامية وواقعية الحركة والتغيير , أي انها خطوة في الاتجاه الصحيح , ومحاولة لإعادة الامة الى المسار الآمن , قبل الانطلاق بها نحو الامام .

الا ان هذه الحركة الاصلاحية بقيادة المرجع الديني الشيخ (محمد اليقوبي) عانت - كغيرها من حركات التغيير - من التغييب الاعلامي , والحرب الناعمة التي يشنها اصحاب العقول المتحجرة , بالتحالف مع المنتفعين من الوضع الراهن واصحاب المصالح الشخصية , وكذلك من قبل الذين اختلطت عليهم الاوراق فاعتبروا انتقاد المعمم كفراً . وبين هؤلاء يتوزع غالبية وسائل الاعلام وامبراطوريات المال ! .

ان حركة المرجع الديني الشيخ (محمد موسى اليقوبي) انتقال بالفكر الشيعي والفكر العام □ غير الديني □ نحو عالم النوع لا الكم , باعتماده التحليل الواقعي , والإنصاف العلمي , والحوار الانساني , وتأكيدده على التلاقي لا الاختلاف .

وقد لعبت استقلالية الشيخ محمد اليعقوبي عن الشرق والغرب دوراً في محاولات لعزل مرجعيته الكبيرة عن الاعلام والتأثير الاجتماعي , وتعرض لضغط مضاعف مركب من الغرب والشرق , ومن الحلفاء الإقليميين لكل محور , ومن قبل الوكلاء المحليين للدول الأجنبية والمشاريع الدولية , وكذلك من المتأثرين من عامة الناس بالحرب الاعلامية الموجهة ضد مرجعيته . وبذلك لم تنهياً لمرجعيته ولؤوساتها واذرعها ما تهيأ لغيرها من فرص التأثير والظهور , ورغم ذلك نجحت بقوتها الذاتية في الوصول الى مستوى ومرتبة كبيرة في العالمين الشيعي والسني من الكون الإسلامي .

فيما ذكر كتاب (الوجهة كربلاء) الصادر عن " المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية " في " العتبة العباسية " في ص ١٥٢ الى ان مرجعية الشيخ (محمد اليعقوبي) عملياً تأتي بعد مرجعية السيد (علي السيستاني) في العراق .



الشيخ محمد اليعقوبي في لقاء عام لبعض وجهاء العشائر العراقية



المرجع اليعقوبي خلال لقائه بوفد من الكرد الفيليين



المرجع اليعقوبي خلال استقباله عدة وفود كردية من تركيا وشمال العراق ودول أوروبية



ممثل المرجع اليعقوبي في باكستان الشيخ هادي حسين يقيم صلاة الجمعة في إسلام آباد



المرجع اليعقوبي يستقبل آية الله الشيخ محمد هاشم الصالحي
رئيس شورى العلماء في أفغانستان



مجلس شورى العلماء في أفغانستان في ضيافة المرجع اليعقوبي



المرجع اليعقوبي خلال لقائه بوفد من علماء الدين المقاومين من فلسطين ولبنان وسوريا



المرجع اليعقوبي خلال لقائه الشيخ حميد شهرياري أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية



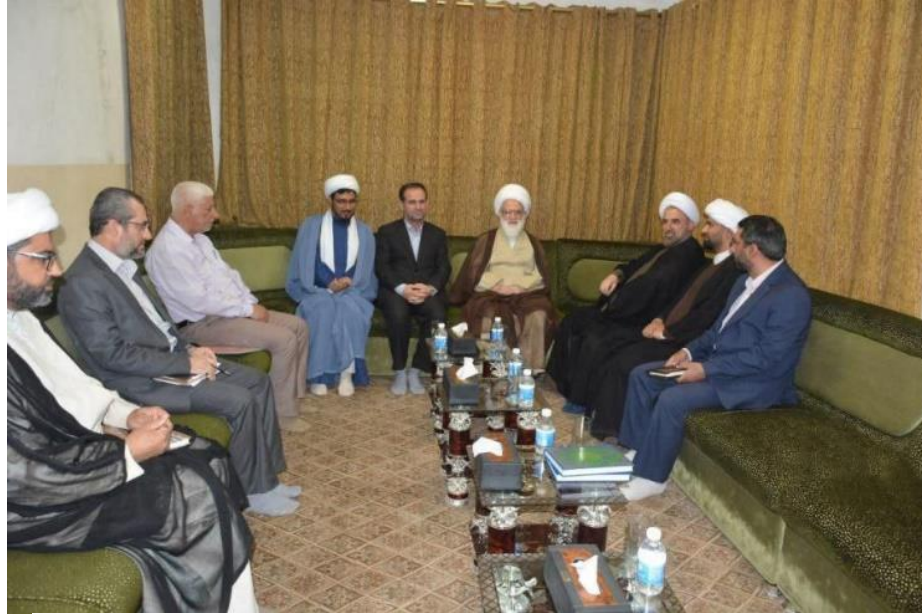
زعيم المسلمين الشيعة في نيجيريا الشيخ ابراهيم الزكراكي في ضيافة المرجع اليعقوبي



المرجع اليعقوبي خلال لقائه الشيخ رضا رمضان الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت



المرجع اليعقوبي خلال لقائه آية الله الشيخ محسن الأراكي رئيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وعضو مجلس خبراء القيادة في الجمهورية الإسلامية



المرجع اليعقوبي خلال لقائه آية الله مختاري رئيس جامعة المذاهب الإسلامية في إيران



الشيخ اليعقوبي خلال لقائه مع وفد من علماء المذاهب الإسلامية في اليمن



المرجع اليعقوبي وقائد الحشد الشعبي ابو مهدي المهندس ورئيس هيئة الحج العراقية وممثل المرجع والقائد السابق لقوات وعد الله ورئيس هيئة الحج والعمرة العراقية الشيخ سامي المسعودي



الشيخ محمد باقر الايرواني

والشيخ (محمد باقر بن محمد صادق بن عبد الحسين الإيرواني) , عالم وشاعر وفقيه من أساتذة العلوم الدينية في حوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة , ولد في النجف الأشرف من أسرة علمية عريقة برز منها العديد من الأعلام وينتهي نسبها إلى جدها الأعلى الشيخ محمد بن محمد باقر الإيرواني المعروف بـ (الفاضل الإيرواني) (١٢٣٢ - ١٣٠٦ هـ / ١٨١٦ - ١٨٨٨ م) والمولود في (إيرون)

والمتوفى في النجف وقد درس فيها على يد الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر, والشيخ مرتضى الأنصاري, والشيخ حسن كاشف الغطاء.



الشيخ الايرواني يوم المصلين



الشيخ الايرواني محاضراً في مؤتمر مبلغى الحج الذي تشرف عليه مرجعية السيد السيستاني من خلال ادارة العتبات



الشيخ الايرواني في الدرس

و (الفاضل الايرواني) الجدّ ولد حدود عام ١٢٣٢ هـ في (إيروان) من تركستان (قفقازيا) □
أرمينيا - . أول من هاجر الى النجف الاشرف من هذا البيت, بل هو المؤسس لكيانه, أقام
أول مرّة في كربلاء حيث أدرك بحث العلامة السيد ابراهيم القزويني صاحب(الضوابط)
المتوفى سنة (١٢٦٢ هـ) وحضر عليه حوالي أربع سنين فقهاً وأصولاً, ثم هاجر الى النجف
وأقام بها, وحضر على علمائها, وكان معروفاً بالفضل بين معاصريه حتى اشتهر بـ (الفاضل
الايرواني). انتهت إليه رئاسة الترك, وكان المرجع العام لبلاد (القفقاز وأذربيجان) في
التقليد بعد وفاة السيد (حسين الكوهكمري) . وكان استاذ العلوم العقلية ومن الاساتذة
العظام المرغوب فيهم في الفقه لطول باعه وكثرة استحضاره لمداركة, وكان حسن الاخلاق ,
جيد المحاضرة, كثير الصلاة, عليه آثار السلف الصالح من العلماء. يدرّس نهاراً الفقه في
جامع الشيخ (الطوسي) في النجف, وليلا الاصول, ويحضر مجلس درسه جلّ الفضلاء في
النجف, وله النصيب الوافر في جملة من العلوم العقلية سيما الرياضيات . وكان الشيخ إماماً
للصلاة جماعةً في (الصحن الغروي) , يأتّم به الكثير من أهل العلم والوجهاء . حضر أول
أمره على السيد (ابراهيم القزويني) صاحب (الضوابط) في كربلاء , ومنها الى النجف
الاشرف حيث حضر على الشيخ (مرتضى الانصاري) والشيخ (حسن كاشف الغطاء) صاحب
(أنوار الفقاهة) والشيخ (محمد حسن) صاحب (الجواهر). ويروي بالإجازة عن مشايخه
المذكورين , حيث أجازه أستاذه شيخ الفقهاء صاحب (الجواهر) وكذا الشيخ (الانصاري) .
من آثاره إشرافه على المدرسة العلمية المسماة بـ (مدرسة الايرواني) وهي من مدارس
النجف الاشرف الدينية , أسسها الحاج (مهدي الايرواني) تحت إشراف الشيخ (محمد)

المعروف بـ (الفاضل الايرواني) . وتقع في محلة (العمارة) , على مقربة من بيت المرجع الراحل السيد (أبو الحسن الاصفهاني) , مؤلفة من طابقين , وفيها تسع عشرة غرفة , وكان ختام بناء الطابق العلوي سنة ١٣٠٧ هـ . ولما توفي الواقف دفن فيها مع (الفاضل الايرواني) . وله مصنفات معظمها خطية , منها : أصول الفقه , واجتماع الامر والنهي , والاستصحاب , وإصالة البراءة , ورسائل كثيرة في الفقه والاصول , وتعليقة على رسائل استاذة الشيخ (الانصاري) , وحواش على (قواعد العلامة) , وعلى (تفسير البيضاوي) , ورسالة عملية (فارسية) في العبادات , وأخرى في المعاملات . توفي في النجف الاشرف يوم الخميس , الثالث من ربيع الاول سنة (١٣٠٦هـ) , وقد جاوز عمره السبعين عاماً , وورثته الشعراء^{٤٨} . قال عنه تلميذه السيد (علي البروجردي) في كتابه " طرائف المقال " ما نصه (عالم عامل جليل مجتهد مدقق مدرس في الأرض الغري , أدركت خدمته حين المسافرة إلى مكة المعظمة , فوجدته أهلاً للفتوى والقضاة) . وقال عنه الشيخ (القمي) في كتابه " الكنى والألقاب " ما نصه (العالم الجليل والفاضل النبيل المولى محمد □ أتته شهرة طائلة وزعامة دينية كبرى , فطفق يعول الأفاضل بعلمه الجم , ووفره الواسع فصاروا ببركته من كبار العلماء □) . وقال عنه السيد (الأمين) في كتابه " أعيان الشيعة " (□ كان عالماً فقيهاً رئيساً جليلاً , أنهت اليه رئاسة الترك , وصار المرجع العام في تلك البلاد في التقليد □) . وقال عنه (عمر كحالة) في كتابه " معجم المؤلفين " (فقيه , أصولي , مفسر) .

^{٤٨} الموقع الالكتروني للشيخ (حسين انصاريان) □ □ وقد احتجنا الى المصادر عن الشيخ (محمد باقر الايرواني) بسبب عدم شيوع معرفته في المجتمع العراقي , على العكس من سيرة المرجع الديني الشيخ (محمد اليعقوبي) الذي نعرفه بتفاصيل سيرة مشهورة بين العراقيين .

ومدينة (ايروان) ارمنية , وهي ذاتها (يرفيان) عاصمة (أرمينيا) , هاجر أهلها الى ايران والعراق بعد الحروب (القيصرية الروسية □ القاجارية الإيرانية) قبل نحو قرنين , وبعد قيام الشيوعية السوفيتية الملحدة قبل نحو قرن .

أنهى الشيخ (محمد باقر الإيرواني) دراسته الأكاديمية في مدارس " منتدى النشر " , كما درس عند أعلام الفقه في النجف أمثال السيد (أبو القاسم الخوئي) والسيد (محمد باقر الصدر) , كما درس فترة عند السيد (علي السيستاني) والسيد (محمد سعيد الحكيم) .

وهاجر من العراق إلى إيران , وشرع هناك في التدريس والتأليف . ومن أبرز تلامذته الشيخ (حسن أبو خمسين) , والسيد (هاشم محمد الشخص) . وبعد سقوط النظام البعثي البائد عاد إلى مسقط رأسه في النجف ولا يزال يواصل التدريس .



الشيخ حسن بوخمسين



السيد هاشم محمد الشخص

وللشيخ الايرواني من المؤلفات (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي) , (شرح الحلقة الثالثة) , (دروس تمهيدية في القواعد الرجالية) , (دروس تمهيدية في القواعد الفقهية) , (دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام)^{٤٤}. وكل كتبه تقريباً في المجال التدريسي الفقهي والاصولي .

وترى شبكة (الحل) الالكترونية المملوكة لـ (Reporter Shield LLC) في الولايات المتحدة , والتي تقف بالضد من الموقف الشيعي العقائدي والسياسي العام , أن مرجعية دينية شيعية مثل (الايرواني) تؤمن بـ (السلم الأهلي) وترفض الإرهاب والعنف والإسلام السياسي , سينظر إليها بارتياح من قبل الحكومات العربية في الخليج , وهو الأمر الذي من شأنه أن يخفف الصدمات السياسية الطائفية ويجعل هدف (الاندماج الوطني) قابلاً للتحقيق , وأن مقاربة (الايرواني) السياسية تقارب آراء أستاذه (الخوئي) مع آراء (علي السيستاني) , مما يوحي بأنه لن يصدر أي تصريحات أو يتخذ أي مواقف سياسية ما لم تخدم مصالح الناس وتحميهم من الإرهاب والعنف وتدعم تماسك الدولة . معتمدة على رأيه المنقول في مقابلة نشرت على موقع (شفقنا) ما نصه (إن التدخل السياسي يتحدد بمدى الاهتمام . وهنا في العراق يجب الابتعاد قدر المستطاع عن السياسة باستثناء توجيهه وقيادة الشعب) , ويضيف قائلاً (ربما كان آية الله الخوئي يعتقد أن علماء الدين يجب ألا يتدخلوا

^{٤٤} العتبة الحسينية □ كربلاء في الشعر العربي □ ت : ٣٧٥ □ بقلم : محمد طاهر الصفار □ ١٣-٥-٢٠٢١م

في السياسة في البداية ، وما زلت أعتقد أنه لا ينبغي لنا ذلك إلا إذا كان ذلك ضرورياً .
وترى شرعية ترشيحه مع أسماء أخرى غير معروفة للعامة من الشيعة مثل الشيخ (هادي
آل راضي)^{٥٠} ، على الرغم من ان الأخير مستبعد ربما لأنه عربي من نسل (مالك الأشتر
النخعي) ، أو الشيخ (حسن الجواهري) ، وهو شخصية غير معروفة في الوسط الاجتماعي
الشيوعي ، رغم عراقية عائلته الدينية ، ورغم استاذيته ، لكنه في النهاية لن يكون أكثر من
مجازفة للقوى الخارجية بسبب عراقيته وإمكانية سلوكه مسلك المرجعية الميدانية . والذي
خلق كل هذه الازمة في خلافة المرجعية الدينية المدرسية هو السيد (محمد محمد صادق
الصدر) ، الذي رفع مستوى الوعي في الوسطين الحوزوي والشعبي ، ولم تعد تمرّ المرجعيات
المدرسية بعده دون انتباه ودراسة من قبل الناس .

والرجلان الشيخ (محمد هادي آل راضي) والشيخ (حسن الجواهري) أصلح من غيرهما
لقيادة المرجعية الدينية المدرسية ، وهم الأقرب الى نقلها الى عالم آخر أكثر واقعية مما هي
فيه ، لا سيما الأخير .

لكن من المؤاخذات التي تقلل حظوظ الشيخ (حسن الجواهري) في الوصول إلى منصب
المرجعية الدينية كونه درس شيئاً في المدرسة الولائية ، عبر السيد الشهيد (محمد باقر
الصدر) والسيد (كاظم الحائري) ، بالإضافة إلى دراسته على المرجعية المدرسية كثيراً ، كما

^{٥٠} تخفيف الصدمات السياسية الطائفية” .. باقر الايرواني بديلا لـ علي السيستاني □ ٣ ديسمبر ٢٠٢١م

أنه يعتقد بكون المرجعية الدينية ملزمة بالعمل السياسي ضمن حدود , كما أنه درس في كلية الفقه , وهذا يعني تأثره بنفس تلك المجموعة العلمائية .

وهذا يشمل الشيخ (محمد هادي آل راضي) , الذي مر بنفس مسيرة الشيخ (حسن الجواهري) , ودرس في مدارس منتدى النشر . وهي مؤسسات كان يشرف عليها الشيخ (محمد رضا المظفر) , وقد تخرج منها جملة من المراجع والخطباء الكبار مثل الشيخ (أحمد الوائلي) والسيد (محمد محمد صادق الصدر) .

وإن كانت هذه القضايا في النظر العلمي لهم لا عليهم , إلا أنها في الواقع النجفي العراقي المدرسي تُعد سلبية في شخصية المرجع الديني . فتلك المؤسسات الأكثر عصرنة في زمانها أرادت من ضمن مقرراتها تحديث اتجاه المرجعية الدينية المدرسية نسبياً , فاستشعرت الأخيرة بالخطر من جهودها على الدوام واعتبرتها خصماً من الناحية العملية .

كما أن الازمات تستمر لوجود رغبة عقلانية لصناعة مرجعية دينية مؤسساتية قاندة , تتصارع مع رغبات بإبقاء المرجعية (الصفيرية) التي يبتدأ فيها كل مرجع جديد من الصفر , لا من حيث انتهى سلفه , بوجود رغبة ثالثة بالكون بين بين .



الشيخ حسن الجواهري (آل صاحب الجواهر)



الشيخ هادي آل راضي



الشيخ هادي آل راضي بحضور الشيخ محمد باقر الايرواني

الرئيسية الاخبار السعودية اسواق رياضة العربية TV البرامج منوعات مقالات الاخيرة فيروس كورونا بودكاست



الشيخ محمد باقر الايرواني

خاص

هل يكون آية الله الإيرواني الخليفة الأوفر حظاً للمرجع السيستاني؟

"العربية.نت" في تقرير حصري مفصل، تقدم معلومات عن مستقبل المرجعية في حوزة النجف

العراق

تابع +

نشر في: 23 نوفمبر، 2021، 12:10 م GST
أخر تحديث: 23 نوفمبر، 2021، 12:56 م GST

دبي - حسن المصطفى

تقرير قناة العربية (السعودية) عن خلافة الشيخ الايرواني للسيد السيستاني

والخلاصة : ان الإصرار على ترشيح الشيخ (محمد باقر الايرواني) لخلافة السيد (علي السيستاني) في منصب المرجعية العامة للشريعة من قبل الإعلام العربي الخليجي والمؤسسات الغربية ناشئ عن مقدمتين , انه لا يؤمن ب " ولاية الفقيه " , وبالتالي يسير على منهج (المرجعية المدرسية) التي تترك الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية للناس , والناس في فوضى يسهل اختراقهم والتلاعب بمصالحهم , ومن ثم تستطيع المشاريع الخارجية إيجاد موطن قدم ثابت لها في العراق وهي تملك أدوات الاختراق اللازمة من وسائل اعلام ومال , والثاني ان المؤسسات العربية والغربية لا تفضل وجود شخصية عربية من اصل عراقي في منصب المرجعية العامة بسبب تجربتهم مع تلك الشخصيات التي كانت في الغالب إصلاحية ميدانية تؤمن بولاية الفقيه , على عكس ما يروج له الإعلام العربي الغربي من تبعية العراقيين الشيعة لمرجعيات معينة , كان هذا الإعلام هو من يعمل على منع وصول المرجعيات ذات الأصل العربي العراقي .



السيد منير الخباز

أما الشخصية الأخرى التي تم طرحها بطريقة دراماتيكية , تزامنت مع بدء العلاقات (السعودية □ النجفية) , من خلال كلمة قديمة تم نشرها حديثاً , استفزت السيد (مقتدى الصدر) وتياره , لكنها كانت تحمل بالضبط ما يريد الكثير من مقلدي السيد

(السيستاني) سماعه , من كون كل المرجعيات على نسق

واحد , وليست هناك مرجعية (ساكتة) دون أداء دورها , وأن قول غير ذلك من (الظلم) , وهي شخصية السيد (منير الخباز) . تبعها حركة من الاضطراب السياسي والاجتماعي , بتدبير علني من قيادي في (حشد العتبات) التابع لمكتب مرجعية السيد (السيستاني) , في مدينة (الساوة) , التي صادف أنها الوحيدة التي كان محافظها الجديد من مقلدي الشيخ (محمد اليعقوبي) . وكانت تلك الأحداث كلها في شهر واحد .



السيد منير الخباز في مرحلة سابقة

والسيد (منير عدنان الخباز) من مواليد مدينة (القطيف) السعودية في منتصف ستينات القرن العشرين الميلادي , من عائلة ذات أصل مكّي . درس في العراق وسوريا وإيران , على يد جملة من المجتهدين , أشهرهم السيد (علي السيستاني) , حيث كان السيد (منير الخباز) صاحب كتاب (الرافد في الأصول) الذي كان تقريراته لبحث استاذة السيد (السيستاني) , وهو الكتاب الذي صادف أن يعتبره السيد الشهيد (محمد محمد صادق الصدر) دليلاً على ضعف أصول الفقه لدى الأستاذ , وتم انكاره حينها من قبل بعض وكلاء السيد (السيستاني) , وتغييبه , ثم عاد الى الظهور بعد ٢٠٠٣ م . وهو □ من خلال موقعه الرسمي □ كثير التعظيم لمرجعية استاذة السيد (علي السيستاني) , ويصفها ب(الشخصية العظيمة) , وقد كتب فيها بحثه (معالم المرجعية الرشيدة) . وهذا التعظيم من السيد (منير الخباز) لمرجعية السيد (السيستاني) يكشف جوانب مهمة من شخصيته , حيث أنه بحسب المنشور بدأ بتدريس البحث الخارج منذ عام ١٤١٨ هـ , وأنه نال إجازة الاجتهاد

من أستاذه (التبريزي) , ونال مثلها من السيد (الروحاني) , إلا أنه لم يتساءل لماذا لم يعترف له أستاذه السيد (السيستاني) بالاجتهاد , رغم أنه مقرر أصوله؟! , هل هو مسلك متعمد , فيكون يسير بحوزة النجف الأشرف إلى الموت المحتوم , إلا بحبل من حوزة قم المشرفة , ويضع الفقه النجفي في مسار المذاهب السنية الأربعة التي لا حياة حقيقية فيها اليوم , أم أن القضية ناشئة عن لا مبالاة غير متعمدة ؟ , فتكون هذه المرجعية غير مؤدية لدور من أدوارها , وبالتالي لا يتم كلام السيد (الخباز) من كون كل المرجعيات الدينية مؤدية لدورها تماماً . فتكون شخصية السيد (الخباز) محصورة بين المجاملة أو الخوف , مروراً باللامبالاة , ومن ثم يشرع السؤال عن مدى صلاحيتها لمقام المرجعية الدينية النائية للإمام المعصوم عليه السلام في مثل هذا العصر الخطير .

كذلك كان أهم استاذته في ايران الشيخ (الوحيد الخراساني) , والراحل الشيخ الميرزا (جواد التبريزي) , اللذين كانا من طلبة السيد (الخوئي) ومدرسته , كما كانا يميلان في التأليف الى المنهج المدرسي كثيراً . كذلك السيد (محمد صادق الروحاني) , الذي كان من طلبة السيد (الخوئي) , لكنه يميل نسبياً الى الفكر السياسي .

وكان السيد (منير الخباز) من أشهر وجوه الخطابة والمنبر الحسيني , لا سيما في دول الخليج . وهو من خلال ذلك المنبر كان أكثر شهرة بين العوام , كما أنه كان أكثر نشاطاً توعوياً . وقد تمتع بثقافة تناسب الكثير من المستمعين الى منبره .

وهو أوسع في مؤلفاته من باقي المرشحين لخلافة السيد (السيستاني) , لا سيما من الناحية النوعية . بل هو أكثر ارتكازاً حضارياً من باقي مرشحي المرجعية المدرسية . ويتمتع بنشاط أكبر .

كما أن السيد (الخبّاز) صاحب شبكة علاقات مؤسساتية واسعة , وله جولات مكوكية بين أوروبا والخليج والعراق , حيث زار برلين وباريس ولندن , والتقى بشخصيات إسلامية ومسيحية . وترتبط به شبكات إعلامية واسعة , لا سيما في الوسط الشيعي , وقد تبنته كذلك (العتبة العلوية) المرتبطة بمكتب السيد (السيستاني) , كما تبنت الشيخ (محمد سند) , لا سيما إعلامياً . كما ترتبط بنشاطه التبليغي مجموعة من الحوزات العلمية الدينية .

وقد حاز السيد (الخبّاز) على خبرات كثيرة , حتى تلك التي تتعارض مع منهج المدرسة المرجعية التي ينتمي إليها , بسبب حركته بين دول وحوزات ومرجعيات عديدة مختلفة في البلدان العربية وإيران , كذلك تواصله الثقافي في أوروبا . وللسيد (الخبّاز) دورس في الفقه والتفسير والعقائد , وكتابات ثقافية كثيرة ومتنوعة , في الشأن المهدي والشبابي والمعاصرة .

لذلك , وعلى ما يبدو , هو الأكثر قبولاً في الوسط الإقليمي , وفي الوسط القائم على الترويج للمرجعية البديلة , بسبب إمكانية قبوله شعبياً بالتدريج , وتمتعه بجوانب أكثر واقعية مما يتمتع به الشيخ (الايرواني) , وأكثر عقلانية وعلمية مما يتمتع به الشيخ (السند) , مع الامكانية العالية لقبوله خليجياً . فالسيد (منير الخباز) أقل (مدرسية) من الشيخ (الايرواني) , وأقل (أخبارية) من الشيخ (السند) . لكنه أقل واقعية في قراءة تاريخ المرجعية الدينية , وبالتالي أقل فهماً لدورها المطلوب في نيابة المعصوم عليه السلام .

وشخصيته تحل الإشكال الكبير القائم بعد تحوّل العالم الى قرية صغيرة فعلياً وعملياً , وعدم واقعية الطريقة القديمة في تنصيب المرجعية الدينية المدرسية من خلال (وكلاء المرجعية السابقة عليها) أو بدعم مؤسسة مالية ضخمة مثل مؤسسة (الخوجة) .

وفي ظل غياب الوجوه الرئيسية للمرجعيات الدينية المدرسية , مع كبر السن وبدء الرحيل , وعدم وجود شخصيات بديلة تتناسب مع ضخامة حجم مؤسسات المرجعية المدرسية الموروثة , ومع ما أوجدته المرجعية الولائية في إيران بعد الثورة الإسلامية من واقع حركي ثوري , وما أوجدته المرجعية الميدانية في العراق بتأثير حركة الصدرين الشهيدين ومدرستهما من واقع ميداني , وما فرضته الحركة الاجتماعية والسياسية في العقود المعقدة الأخيرة من معادلات اجتماعية وسياسية ودينية متداخلة , وما أثبتته الأحداث المتزاحمة والمتعاقبة والمؤثرة في العالم والمحيط من ضرورة وجود مرجعيات ميدانية وعدم واقعية ابتعاد المرجعية الدينية عن السياسة أو المجتمع الحقيقي الواقعي , يبدو أن هناك شعوراً بالاضطراب والقلق يساور مراكز صناعة القرار في مؤسسات المرجعية الدينية المدرسية , ناشئ من الخشية على المنصب من زحف المرجعيات الميدانية إليه بسرعة حثيثة , وعدم توفر وسائل الإقناع المناسبة , لا من خلال الشخصيات المرشحة ذاتها , التي لا تكافئ حتى إمكانية ما موجود من مرجعيات ميدانية , ولا من خلال وسائل الوصول الكلاسيكية القديمة , بعد أن صار بإمكان كل مجتمع الوصول مباشرة. الى أجزاء واسعة من الحقيقة مباشرة . وعلى الأرجح أن منصب المرجعية الدينية سيكون في جزء واسع من انتمائه في ساحة المرجعيات الدينية

الميدانية , بسبب ذات المنهج الإعلامي المختلق الذي قضى بأن (المرجعيات أربعة , لا خامس لها) , ولم يحسب حساب الزمن , وكاد يوقع الناس بمعضلة (المذاهب الأربعة) .



الشيخ حسن الجواهري

وعند الإيمان بكون المرجعية الدينية الإسلامية الإمامية قيادة وريادة , لا أنها مؤسسة جامعية أكاديمية , وأن الكفاءة والرؤية تتساوى في أهميتها مع الضرورة العلمية عند تشخيصها , يمكن القول أن انساب المرشحين من داخل

عالم المرجعية الدينية المدرسية في النجف هو الشيخ (حسن الجواهري) , لتمتعه النسبي بمعايير المدرستين , حيث ينتمي إلى المسلك المدرسي في المرجعية الدينية , قدر إيمانه بضرورة الأخذ ببعض مناهج المرجعية الدينية الميدانية . كما أنه شخصية أكثر كاريزيمة وقدرة على الحوار , وله عمق فكري , وربما تصور حضاري لم تعهده جماهير مرجعية السيد (علي السيستاني) من السيد نفسه . والشيخ (حسن) يتمتع بارتكاز العقل الاجتهادي , حيث هو مجتهد , ابن مجتهد هو الشيخ (محمد تقي) , ابن مجتهد هو الشيخ (عبد الرسول) , ابن مجتهد هو الشيخ (شريف) , ابن مجتهد هو الشيخ (عبد الحسين) , ابن مجتهد فقيه علامة مفصلي هو الشيخ (محمد حسن) صاحب الموسوعة الفقهية الاستدلالية (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) . وللشيخ (حسن) ارتباط اجتماعي بنشاط أسرة (آل الجواهري) الثقافي , الأمر الذي يكسبه المزيد من الواقعية , ويخرجه من جدران الانعزال المعهودة . وجمع الشيخ في دراسته بين عوالم مختلفة , فهو من طلبة الدراسات الحوزوية

وكذلك الدراسات الأكاديمية , ودرس عند السيد (الخوئي) وعند السيد (محمد باقر الصدر) , في العراق , ودرس في إيران في حوزة (قم) عند السيد (كاظم شريعتمداري) والشيخ (جواد التبريزي) والشيخ (الوحيد الخراساني) , من مسلك المرجعية الدينية المدرسية , وعند السيد (كاظم الحائري) من مسلك المرجعية الدينية الميدانية , وكان الشيخ جمعت بين الأصل العاملي والهجرة إلى أصفهان والجنسية العراقية , فيما طلبته من الخليج بنسبة معتد بها . وتمتع الشيخ (حسن الجواهري) بنتاج جيد من الكتابات أكثر عصرنة من نتاجات المرجعيات الدينية المدرسية , بالإضافة إلى معرفته بجوانب الفقه المقارن . كما ارتبط بعدة حوزات وجامعات ومعاهد ومراكز بحثية دينية عراقية وإيرانية لمختلف المرجعيات , وحاضر في المؤتمرات الإسلامية الدولية لمختلف المذاهب . وهو أستاذ للبحث الخارج منذ سنين . وبذلك هو الانفع في إطار المرجعية الدينية المدرسية , بالمعنى النسبي , بحسب الظاهر والمُدرك من الوجوه والمعايير . فالشيخ (الجواهري) رغم رؤيته المتقدمة عن أقرانه في المنظومة المرجعية المدرسية عن العلاقة بين الحوزة العلمية وعالم السياسة , واعتقاده بأن الحوزة يجب أن يكون لها منهج سياسي , إلا أنه يراه بقيود وحدود وظروف , أقل مما يراه رجالات المرجعية الدينية الميدانية كالسيدين (الخميني) و (الصدر) . وفي الوقت الذي له موقف من الظواهر السلبية السياسية والاجتماعية , إلا أنه أقل وضوحاً في تشخيصه لتلك السلبيات وهي تقترب من النجف الأشرف عبر قواها الناعمة . كما أنه يحسن الظن بمواقف المرجعية الدينية المدرسية تجاه ما يجري داخل المجتمع العراقي سريعاً من تغيير جوهري , في الوقت الذي لازالت المرجعية الدينية المدرسية على ادواتها القديمة . وفي الوقت الذي

يصف فيه حوزة (قم) الشريفة بأنها موسعة وتجمع علوماً متعددة كالفلسفة واللغات الأجنبية وغيرها , إلا أنه لم يكن له الموقف المنشود من قصور وتقصير منظومة المرجعية الدينية المدرسية في النجف الأشرف تجاه التوسع والتحديث . مع بقاء السؤال الأكبر : لماذا لم تمنح المرجعية الدينية المدرسية في النجف الأشرف شهادة الاجتهاد لأحد منذ عقود ؟! .

لكن من الناحية النظرية , والعملية , يقع الكلام في الشيخ (حسن الجواهري) من حيث كونه من فقهاء (الخط الثاني) , وبالتالي , وعند تجاوز حقيقة وجود إجازات الاجتهاد الضرورية والمرضية للذوق العام , تبقى المناقشة في أهليته من الناحية العلمية للتصدي بوجود من هو أعلم منه , وهم موجودون قطعاً . وهي مناقشة تشمل باقي المرشحين لخلافة السيد (السيستاني) جميعهم من هذا الرعيل , إذا لم يكن هو متفوقاً عليهم , إذ لا وضوح في الرؤية بسبب ما تعانيه حوزة النجف الأشرف من ركود وضبابية منذ عقود .

والمخلص : ان التشخيص للقيادة هو اول مسار النجاح , وبالتالي طالما بقي الشيعة تحت راية المرجعية المدرسية المنزوية فهم في خطر كبير , يعانون الجهل وضياع الحقوق والدماء .

المرجعية المشرقة

(أولُ الدين معرفته , وكمالُ معرفته التصديق به , وكمالُ التصديق به توحيدُه , وكمالُ توحيدِه الإخلاصُ له , وكمالُ الإخلاصُ له نفيُ الصفات عنه , لشهادة كلِّ صفة أنها غير الموصوف , وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة)^{٥١} .. هكذا قال عليُّ عليه السلام . والأوّل هنا اما يكون الابتداء او القمة , او كليهما , فبمعرفته يبتدأ الدين الواقعي , او انّ تمام الدين بمعرفته جلّ شأنه , او انّ للمعرفة مستويات ومراحل , فيكون الابتداء بها والانتهاى اليها , وهذا ما يشير اليه قوله تعالى ((وما خلقتُ الجنّ والانسَ إلّا ليعبدون))^{٥٢} , حيث جاء في الأثر أنّ (ليعبدون) بمعنى (ليعرفون) , ومنه قوله في الحديث القدسي المشهور (كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف فخلقتُ الخلقَ لكي أعرف)^{٥٣} .

والمعرفة أمّا إشراقية او مشائية . وفي الاولى يشرق الله في النفوس الزاكية والقلوب المنيرة ((وأشرقت الارضُ بنورِ ربِّها ووضعَ الكتاب))^{٥٤} , بعد مجاهدات ورياضات تهذيبية , ترفع الحواجز وتذيب الغرور , وكثافة في الفكرة تجمع أشعة النور , وعندها ((الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور))^{٥٥} .

^{٥١} شرح نهج البلاغة , ابن أبي الحديد , دار إحياء الكتب العربية , ج ١ , ص ٧٢

^{٥٢} سورة الذاريات ٥٦

^{٥٣} بحار الأنوار , العلامة المجلسي , دار إحياء التراث العربي , ج ٨٤ , ص ١٩٩

^{٥٤} سورة الزمر ٦٩

^{٥٥} سورة البقرة ٢٥٧

أما المعرفة المشائية فسييلها العقل والافتداء بأهل العلم والمعرفة , والسير اهتداءً بالموروث المعرفي الإنساني , حتى يرى الانسان ربّه في آياته الأنفسية والآفاقية ((سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق))^{٤٥٦}.

والقرب من الله تعالى في كل عالم معرفي يختلف , من حيث الكلّ ومن حيث الجزء , فالإشراق نورٌ , والنور أسرع وابهج , أما السير فهو أبطأ بحسب الحال , هذا من جهة الكلّ , فيما من جهة الجزء فالوصول في كلا الحالين نسبيّ يعتمد على قدر المعرفة ذاتها .

انّ المعارف الإشرافية كاشفة لغيرها , في الوقت الذي تكون فيه المعرفة المشائية مكشوفة بغيرها في الغالب . من هنا كان الحقّ على أهل الحقّ تعزيز المعرفة الإشرافية في المجتمع , لأنها السبيل الأوفى لتحقيق غاية الوجود والخلق , كما انها العلاج الاتمّ لمشاكل البشرية جميعاً .

((ولا تدع مع الله إلهاً آخرَ لا إلهَ إلاّ هوَ كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلاّ وجهَهُ لَهُ الحِكمُ وإليه تُرجعون))^{٤٥٧} , حين يدرك الانسان هذه الحقيقة سوف يتيقن إنّه عدمٌ ككلّ ما يراه , وأنّ الوجود الحقيقي واحد , وليس الانسان وكلّ موجود يعلم بوجوده من عالم المادة إلاّ ظلّ قائمٌ بذلك

^{٤٥٦} سورة فصلت ٥٣

^{٤٥٧} سورة القصص ٨٨

الوجود الحقيقي لا بنفسه ((ربّ السمواتِ و الأرضِ و ما بينهما إن كنتم موقنين * لا إله إلا هو يحيي و يميت ربكم و رب آبائكم الأولين))^{٤٥٨}.

والتدرج البشري من الوحشية الى الانسانية كان بفضل سلسلة النبوات السماوية و تهذيبها , للطف الله ببني الانسان , وهذا ما نراه واضحا من وجود الكتب المقدسة و تعاليمها , وكذلك من المكتشفات الاثرية التعليمية و التوجيهية , التي غالبا ما تبدأ بعبارة (قال حكيم ...) , وبقينا ان ذلك الحكيم لم يكن بدعاً من البشر , إلا بفضل توجيهه خارجي لطيف , ومن هناك يُعلم ان ذلك الحكيم كان نبياً ما . و يوجد ذلك مثلاً في كتيب (الإرشادات الزراعية) السومري , او في رحلة بحث (كلكامش) الملك الخالد عن (اوتونبشتم) , أو الحكيم جداً (اتراحاسيس) بالأكدية , ليسأله عن سرّ الخلود , ولم يكن (اوتونبشتم) سوى (نوح) النبي . وهذا المعنى التربويّ و التعليمي التطوريّ نقلته النصوص المقدسة ايضا , فقد ورد في قصة النبي داوود ((وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون))^{٤٥٩} , وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا))^{٤٦٠}.

وعند السير في احدى الطريقتين يجد الانسان نفسه اقرب الى مولاه , لكنّ الفرق فيما يمكن تسميته (اللذة) , حيث هي في عالم الإشراق أعمق وأكثر تشبّعاً . غير انّ في طريق الإشراق

^{٤٥٨} سورة الدخان ٧ □ ٨

^{٤٥٩} سورة الأنبياء ٨٠

^{٤٦٠} سورة الشورى ٥٢

مشكلة تحتاج الى التفات , تتلخص في لحظوية الفكرة , حيث يمكن ان تضيق كثافتها وتتشبت عند غياب الانسان بعيدا في انانيته , انها معادلة تحتاج الى توازن , وتزول المشكلة تدريجيا عند بلوغ الاستسلام التام للمولى .

ان لحظات القرب من الله ليست مكانية او زمانية , فلا مادية في هذا العالم القربي الفريد , لكنّها معرفية , بمعنى ان كل لحظة اقتراب هي عالمٌ معرفيٌ جديد , يفتح أبواباً تليه .

ليست العلاقة بالله سوى المعرفة , وليست المعرفة إلاّ النور ((الله نورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نوره كمشكاة فيها مصباحُ المِصْبَاحُ في زُجاجةٍ الزُّجاجةُ كأنّها كوكبٌ دريُّ يُوقَدُ من شجرةٍ مُباركةٍ زيتونَةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكادُ زيتها يضيءُ ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء))^{٤١} , لذلك سيجد الانسان حينئذ الكون منيراً مكشوفاً , وسيرى حتى الروابط الدقيقة بين الأشياء ((قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبينٌ * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيلَ السلامِ ويُخرجهم من الظلماتِ إلى النورِ بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مُستقيمٍ))^{٤٢} , ليصل في النهاية الى حقيقة المعرفة وبساطتها الاجمل .

ان كل ذلك مشروط بايجاد مفتاح البوابة الاولى , ألا وهي النفس , اي معرفة الانسان لذاته , ففيه انطوى العالم الاكبر . ومعرفة النفس تتم من خلال القراءة الصحيحة للإنسانية وقيمها

^{٤١} سورة النور ٣٥

^{٤٢} سورة المائدة ١٥ □ ١٦

, وعندها سيعرف الانسان كرامته التي تميّزه عن باقي المخلوقات ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاہُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))^{٤٦٣}, ويدرك وظيفته كخليفة لله في الارض ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً))^{٤٦٤}, فيعود الى رشده , وينضج سريعا , باحثا عن الكمال , ومستعينا بآليات التهذيب والرقي .

ان الإدراك الأهم الذي يجب ان يصله الانسان هو العدمية , وذلك أن الله هو كل الوجود , وبالتالي فالإنسان نسبة وافتقارا ليس سوى العدم المحض الذي يقوم بالفيض الرباني , ويوجد بسيولة النور . ومن هناك عليه الالتفات الى أمرين مهمين : الاول : هو أنه بمحضر الوجود المطلق دائما , ذلك الوجود الكريم الحقيقي , لذلك لا يجوز عندئذ اتيان المنكر وإساءة الأدب . والثاني : هو أنه به يقوم ويكون ويتحرك ويدرك , ولا ينفك عن هذا الفيض بأي مقدار يتصوّره , لذلك هذا هو الدليل على سعة الرحمة والحب من الله لخلقه , رغم ان منهم تصدر الاساءات , كما ان التبرئ من الله هو الطلب بقطع الفيض .

من النقطتين أعلاه يُعرف كيف ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))^{٤٦٥}, ويفهم اختيارية ((إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))^{٤٦٦}, فهل هناك عذاب أشد من الممكن تصوّره اذا ما تبرأ الانسان من الله .

^{٤٦٣} سورة الاسراء ٧٠

^{٤٦٤} سورة البقرة ٣٠

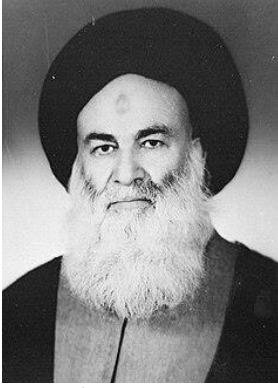
^{٤٦٥} سورة لقمان ١٣

يقود كل ذلك الى أن الدين الحقيقي هو الاستسلام التام للخالق , والخضوع سجوداً بين يديه , كما خضعت القوانين لمشيئته وحكمته , فكانت هي الملائكة التي تدير الوجود بأمره . ومن هذا ندرك كيف يمكن للإنسان أن يصبح من سنخ الملائكة بسجوده المطلق لله , وهي مرتبة سقط عنها ابليس بمحض ارادته , لأنه استشعر أنانيته في لحظة كبر .

وبذلك يُعرف أيضاً كيف صارت ارواح المعصومين الأربعة عشر مدار الوجود , وحقيقة الروايات التي تحدّثت عن سموّ ارواحهم وهيمنتها على عالم الوجود , ولن نجد من صعوبة في قبولها , لأنّ هذا الامر يكون لكلّ بشر يخضع ساجداً بين يدي الله , فكيف بمن هم في سجود دائم منذ خلّقوا. وكذلك كانت ارواح الأنبياء السابقين , والتي تهيمن بمقدار قربها من مولاها الحق . لذلك كان لسليمان القدرة على التحكم بعوالم بُعديّة خارج عالمنا المنظور , وخضعت له الظواهر الطبيعية , والكائنات الحية , وحاز ملكاً عظيماً بأعين المخلوقات , لكنّه ليس سوى صدى لنور كلمة (كُنْ) في حقيقته . ((وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ))^{٤٦٧}.

^{٤٦٦} سورة آل عمران ١٧٧

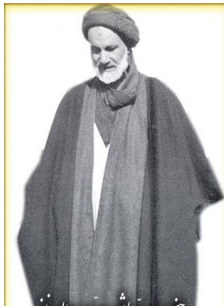
^{٤٦٧} سورة سبأ ١٢



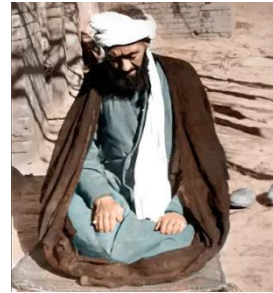
السيد محمد الحسين الطهراني

وأرواح الأولياء أيضاً تكون مهيمنة ومشرفة في حدود يأذن بها الله تعالى . يروي السيد (محمد الحسين الحسيني الطهراني) في كتابه (الروح المجرد) ما نصه (لقد سافر المرحوم آية الحق والعرفان آية الله الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني أواخر عمره الى باكستان

بالرغم من توارد الضعف الشديد ووهن القلب , وكان ذلك أمراً شاقاً وعسيراً لعدم توفّر وسائل النقل آنذاك كما هي عليه اليوم . ولم يذكر المرحوم علّة سفره لأحد , فجرى الحديث عن سبب سفره في محافل الأصدقاء ومجالسهم , فكان كلُّ يتكلم بحدسه وظنّه , حتّى سألتُ عن ذلك يوماً من سماحة السيد الحدّاد بعد مرور سنين طويلة وبعد وفاة ذلك المرحوم فقال : إنّ سفر أمثال هؤلاء الأجلاء لا يخلو من احد أمرين : الأول : ان يكون هناك في تلك النواحي والديار عاشق والهّ ومتحمس ومتحرر , فيكون علاج داء هجرانه في عالم التوحيد على يدي هذا الرجل , فيأمره الله تعالى بالذهاب الى ذلك العاشق للأخذ بيده ومساعدته ومعالجة دائه . والثاني : ان يكون الله قد قدر , وفق المقدّرات العامة والكلية , إنزال عذاب على تلك النواحي , فيأمر الله عبده هذا بالعبور الى جميع تلك النواحي , ليرفع الله بأثر بركة ورحمة النفس الرحمانية لهذا العبد عذابه عن أولئك القوم) .



السيد هاشم الحداد



الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني

في الازمان المتأخرة تمّ تحويل الدين الى ما يشبه الرياضيات المجرّدة , وفي بعض مدارسه الى صورة لا روح فيها . فيما كان الدين في عهود المعصومين ينبض بالحياة ويسير باتجاه الله , وكان العلم يُلقى من القلب الى القلب مباشرة , ويجد الانسانُ اللّه في كلّ كلمة جديدة يتعلّمها . لكننا ربما نجد للفقهاء عذراً في بعض هذا الحال , حيث اختلفت النفوس البشرية في العصور المتأخرة تدريجياً , وتأثرت بالفوضى السياسية والاجتماعية والاحتلال والاستعمار والفئات السلطوية النفعية , ولم نعد نرى النفوس القوية الربّانية بحجم ما كانت ايام المعصومين . وفي احيان كثيرة كان الفقهاء يخشون اندثار العلم , لشدة الضربات التي تتلقاها معاهده عن قصد وغير قصد . وهم جزاهم الله خيراً أوصلوا لنا العلم والدين بجهد جهيد , وعلى مستوييه الإشراقي والمشائي .

لكن ذلك لا يعفي الفقهاء من مسؤولية تعقيد الكثير منهم لدين الله , حتّى وصل الامر الى وجود العلم وغياب الدين . بل صار حال الأغلب من الناس كمن يركّز في افعال وكلمات الصلاة وينسى الله .

الامر الاخر المثير للتساؤل هو عن واقع وصول العلم المشائي وتطوّره , وسعي الفقهاء لإيجاد القواعد البشرية التي تحمله , فيما ضعفت انسيابية وصول العلم الإشراقي , وتقاوس الغالب من الفقهاء عن السعي في إيجاد قواعد مناسبة لحمله , رغم أنّ الدين الحقّ يتمثّل فيه .



السيد حسن المسقطي

بل وصل الامر الى عمل بعض الفقهاء على تغييب رجالات هذا العلم النوراني , وإغلاق حوزاتهم , كما حدث مع آية الله (حسن المسقطي) , حيث تمّت الوشاية به الى المرجع الديني الموجود في زمنه - السيد (ابي الحسن الأصفهاني) - بدعوى انّ حوزته

التوحيدية تخالف سيرة المدارس الدينية المعاصرة له , فأمره السيد (الأصفهاني) بالسفر الى (مسقط) , لنشر علوم أهل البيت هناك , وكان رافضاً لذلك في نفسه , لما تحقّق على يديه من



السيد علي القاضي

نور التوحيد في الحوزات العراقية , فرجع الى أستاذه العارف الكبير السيد (علي القاضي) , فطلب اليه السيد (القاضي) اجابة الامر والسفر , فاستجاب , وكان له نورٌ محمّديّ هناك في (مسقط) , لكنّ أمراً مرجعياً آخر جاءه يطلب منه السفر الى الهند , فاستجاب , ولأنّ آية الله (المسقطي) كان لا يسكن الفنادق والخانات بل كان يلجأ الى

المساجد فقد وُجِدَ ميّتاً في احدى المساجد هناك قدّس الله نفسه الزكية , وقد خسرت الحوزة العالمية النجفيّة , وخسرت ذلك النور التوحيدي الراقي كما يصفه السيد (محمد الحسيني

الطهراني) .

انّ الإشكال الحقيقي في منهج الغالب من الفقهاء هو فقدانهم روح المعصوم وجهلهم بحقيقة الدور القيادي الذي كان يشغله , حيث كان بين الناس , يسافر بهم من الخلق الى الحق , ويسافر بالزاكين منهم في الحق . وهذا الدور غاب عن وعي الكثير من فقهاء الإلقاء , فضلاً عن معرفة الكيفية التي يتمّ من خلالها ذلك السفر , وفاقد الشيء لا يعطيه .

وفشل الكثير من فقهاء المسلمين في الإحاطة بالدور المشترك للمعصومين الأربعة عشر , من حيث هم كلُّ واحد , يسير بالناس نحو الله , ضمن منهج الهي محدد , وفشلوا كذلك – وربما تبعاً للفشل الاول – في تفسير الكثير من تحركات المعصومين الفردية . ومن يفشل في هضم هاتين القضيتين لن يفهم حتماً السفر الإشراقي لمدرسة المعصومين . ((وَجَعَلْنَاَهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ))^{٤٦٨} . ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ))^{٤٦٩} .

لكنّ ذلك لا يعني إطلاقاً أنّ الطريق الى الله يتمّ دون الشريعة العملية , من فرائض وسنن وتهذيب , فلا يُطاع الله من حيث يُعصى . بل لابدّ من التزام أوامر الله الواردة في كتابه الكريم , وما جاء على لسان رسوله الأمين ((وما اتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))^{٤٧٠} , وما وصل من تراث المعصومين عليهم السلام (عن أبي عبد الله عليه السلام

^{٤٦٨} سورة الأنبياء ٧٣

^{٤٦٩} سورة السجدة ٢٤

^{٤٧٠} سورة الحشر ٧

قال : لا يسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم)^{٤٧١}. فالله تعالى هو الغني عن خلقه , وبالتالي فكلّ ما ورد في شرعه الكريم إنّما هو لصالح العبد , وتهذيباً لنفسه الحيوانية , وتنميةً لقواه العقلية , وتزكيةً لقواه القلبية . وكلّ من لا يعمل بما انزل الله فهو عاملٌ بلا دليل , وسائرٌ بلا مرشد , ويضلّ حتماً . لذلك لا بدّ من رائد يسير به , من كتاب ونصّ , وترجمان , وصدق من قال (انّ مَنْ لا شيخَ له فشيخُه الشيطان)^{٤٧٢}. (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا, فإنّهم حجّتي عليكم, وأنا حجّة الله عليهم)^{٤٧٣}.

انّ الله فيض الرحمة ليس إلّا الحبّ , ولا يمكن لعاقل حصيف أن يعقله بغير ذلك , ولا يصدر عن الكامل نقص , ولا يُتصوّر خلوه منه أبداً . من هنا كان كلّ الذي فاض عنه محضّ الحبّ والاحسان , وعلى ذلك فرسالة القران الكريم هي تلك المحبّة النازلة والسارية والصاعدة . فهي من الله الى الخلق , وبين الخلق , ومن الخلق الى الله .

وانّ أخذ القران الى الدرس المجرّد من الروح والنبض , او اخذه الى الفولكلور والاستعراض الصوري , او استخدامه في خدمة الظلمة , او تبرير جرائم الإرهاب الاعرابي الصحراوي , لا يعدو كلّ ذلك الجهل به , بل هو دليل على فقدان الصلّة بمصدره . ((اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ

^{٤٧١} الكافي , الشيخ الكليني , دار الكتب الإسلامية , ج ١ , ص ٤٠

^{٤٧٢} لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية , عبد الوهاب الشعراني , ط: مصطفى البابي الحلبي , ص ٨٧٤

^{٤٧٣} الاحتجاج , الشيخ الطبرسي , دار النعمان , ج ٢ , ص ٢٨٣

الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ
وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ))^{٤٧٤}.

حتى أهل القرآن لا يجوز لهم احتكار الله وادعاء انهم شعب الله المختار , فيستلب الله عنهم
راية التوحيد والإيمان , كما جرى لبني اسرائيل . ان كل مخلوق لله يمكنه أن يجده , فالله
نور السماوات والأرض . بل ان الخالق الذي يفيض الحياة على كل خلقه - دون تمييز -
لهو محبٌ لهم , منعمٌ عليهم , لكن الانسان هو من يختار خلاف لغة الوصل والحب , فيبقى
الله مُحبباً , مفيضاً للوجود , حتى يجحد الانسان وجود الخالق , عندها يفترقان .

لذلك لا يجوز التهكم والاستهزاء بممارسة يريد بها انسان ما وجه الله , وبيحث من خلالها
عن رضاه وقربه , فلعل الله اقرب اليه ساعتئذ من غيره . وتتعدد تلك الممارسات بتعدد
الأديان والاعتقادات , وتختلف باختلاف ثقافات الشعوب . من هنا نفهم كيف يتحصل كل
صاحب ملة على اجابة لدعائه بين يدي الله , رغم وثنية بعضها , كالهندوسية او غيرها .

ان الذنب الوحيد الذي يقطع صلة الانسان بالله هو الجحود وانكار وجوده جلّ وعلا , رغم ان
الله يبقى على الاحسان والفيض حتى في تلك الحال . ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا))^{٤٧٥}.

^{٤٧٤} سورة الزمر ٢٣

^{٤٧٥} سورة النساء ٤٨

والحقيقة ان مخلوقاً في الكون لا يمكنه إلا الشعور بالله في كل كيانه , حتى الملحدين , لأن الله فيهم وبه يقومون , واليه يسرون , ودليله يستدلون .

انّ الأزمة الاكبر , وهي أمّ الأزمات البشرية الاخرى , ليست إلاّ الأزمة الاخلاقية , ولا يمكن إطلاقاً حلّها برؤى بشرية ناقصة نفعية , ولا حتى بمشاريع دينية جافة الروح ضعيفة النبض . انّ الحلّ الاسمى لإعادة الانسان الى ساحة الكرامة , وتهذيبه بنقله من عالم الحيوانية الى عالم الملكوت , لن يكون سوى بالله , حين يُشرق في النفوس من جديد .

ملحق : العمامة الأميرية والمرجعية الحزبية

الشرائع الدينية خرائط للطريق نحو الله , وضعها الرب وأجراها على ايدي الصالحين من خلقه وهم الأنبياء , للأخذ بيد البشرية , وبالتالي الخليقة , نحو مسار النجاة وحفظ الكرامة . والكرامة تكون عادة الضحية الاولى حينما يسلك البشر طريق البهيمية . ولأن الشرائع مشاريع بناء كبيرة , كان اختيار القائمين على ايصالها يقع دائماً على الافضل والأزكى من البشر , الذين زادهم الله بسطة في العلم والجسم .

واقراراً بخاصية المجتمع الايماني وتطوره تربوياً وتدرّجه في النضوج , كانت القيادات الاصلاحية الكبرى تخرج من رحم مجتمعات خاصة , الا انها لا تعتمد آلية الوراثة العشائرية , سوى في سلسلة المعصومين الخاضعة لفلسفة عقائدية خاصة , لها بحث منفصل . اما القيادات الاصلاحية دون المعصومين فكانت تعتمد مبدأ الكفاءة والقدرة والنضوج المعنوي , كما في اختيار (يوشع) مع النبي موسى صاحب الحركة الاصلاحية العظمى والمفصلية , والذي ورث قيادة مجتمع بني اسرائيل بعد الأنبياء موسى وهارون .

والمجتمع الإسلامي الشيعي الإمامي - بسبب حركيته وظروف المواجهة والتحدي التي عاشها تحت راية الاصلاح والحرية , والتي فرضت عليه ان يكون في الجانب المعارض باستمرار - استلزم ان تتوفر لقيادته مميزات وخصائص نوعية فريدة .

وبمرور الزمن اتسعت ظاهرة (البيوتات والعوائل الدينية) , على هامش المدارس العلمية , التي كانت ظاهرة إيجابية بقدر حملها روح ورسالة الإسلام واحترامها قواعده ونبذها القبليّة .

فوجود مجموعة من البيوتات العلمية والعوائل العلمائية امر لطيف ومقبول جدا , ويكون احياناََ مهماً في ايجاد عوامل دفع للمشروع الديني , كما تم ذلك في المثال العائلي الناصح والمنتج ومثار الفخر ل(آل كاشف الغطاء) ومن قبله عوائل مدرسة (الحلة) الدينية الكبيرة والمؤثرة .

لكن بعد موجة خلط الاوراق وتعويم المفاهيم والانقطاع التاريخي , التي قادتها بريطانيا في المنطقة مستغلة البداوة والتصحر الفكري ومستفيدة من التجمعات والمؤسسات والكيانات النفعية والسطحية الساذجة وتوالي الأنظمة السياسية اللادينية , صار من الطبيعي ان تتحول موضوعة البيوتات الدينية الى ظاهرة ذات طابع سلبي في كثير من الاحيان .



السيد محمد تقي الخوني

فبرزت في العقود الاخيرة ظاهرة ابناء السيد (الخوئي) , الذين تسببوا في فوضى ادارية ومالية عند وفاة والدهم المرجع , وساروا خلاف ارادة المرجع الجديد السيد (السبزواري) , وقام احدهم بنقل اموال ضخمة

خارج اطار المحيط الشيعي صاحب الاحتياج كما تم تداوله . كما تسبب بأول خيوط الازمة المرجعية في العراق .



توني بليز خلال زيارته مؤسسة الخوئي الاسلامية يبدأ الى يساره الشيخ عبد المجيد الخوئي وفي أقصى اليمين الشيخ فاضل شهلائي من مؤسسة الخوئي في نيويورك هذا

وقد كان لهذه الظاهرة الغربية دوراً كبيراً في تشتيت جهود الاحزاب الاسلامية الشيعية



السيد محمد باقر الحكيم في فترة النضال

التي قارعت نظام الهمجية البعثية , حيث تم الاستحواذ على منظومة (المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق) , والذي كان يمثل اطاراً جامعاً للأحزاب

الاسلامية وبرلماناً للشخصيات الفكرية

المعارضة , وتم تحويله الى مؤسسة تُدار كلياً من قبل ابناء السيد (محسن الحكيم) وعائلته , تحت تأثير حسن ظن القيادة في الجمهورية الاسلامية في ايران بهذا البيت العلمائي , مما ادى الى انهيار (المجلس الأعلى) عملياً , وانفراط عقد احزابه وشخصياته . والحقيقة ان

ذلك كان بداية انهيار جبهة المعارضة الاسلامية في العراق ونهاية عهد الانضباط الاخلاقي والقيمي في عالم السياسة العراقية .



السيد صدر الدين القبانجي

واستمرت هذه المعضلة داخل كيان (المجلس الأعلى) , لتتم - في خطوة متوقعة - ازاحة القيادي البارز السيد (صدر الدين القبانجي) عن

صدارة الزعامة , تمهيداً لصعود نجم السيد (عمار

الحكيم) , بعد ان تولى زمام القيادة الفعلية والده السيد (عبد العزيز الحكيم) . وكانت هذه العملية الاستحواذية سابقة مهمة للإعلان عن انتقال هذه الظاهرة المرضية - نفوذ البيوتات - من المؤسسة الدينية الى المؤسسة السياسية , خصوصاً ان العمل السياسي الاسلامي الشيعي الإمامي لا يمكنه الابتعاد عن الاطار الشرعي الحوزوي كثيراً . ومن ثم بدأت مرحلة الصور واللافتات والقائد الضرورة ورجل المرحلة , كنتاج طبيعي ومنتوق لسياسة الاستحواذ العائلي المرتبط بمفهوم القداسة .



السيد عمار الحكيم



السيد عبد العزيز الحكيم



السيد مقتدى الصدر

ورغم اختلاف المدرسة المرجعية (الصدرية) فكرياً وعملياً داخل الكيان الشيعي , الا ان سريان ظاهرة البيوتات وأفتها تسرب تحت ضغط المصالح الشخصية الى هذه المدرسة , وتم

توريث السيد (مقتدى الصدر) واستدراجه نحو هذه المساحة . فالسيد (مقتدى) هو ابن السيد (محمد محمد صادق الصدر) , والشهيد (الصدر) حاز بصدقه ونبله ومسيرته العملية للإصلاح والنهوض بالأمة على جماهيرية كبيرة جدا , خصوصا لدى المستضعفين من الناس الذين وجدوا فيه صورة لناصر المستضعفين (علي بن ابي طالب) , لاسيما بوجود قيادات دينية معاصرة له غير فاعلة . ولقد كانت العاطفة – فضلا عن الايمان الواعي – احد اسباب الالتفاف حول الشهيد (الصدر الثاني) , وهي الوتر الذي عزف عليه صانعو شخصية السيد (مقتدى الصدر) , مستغلين اسم الشهيد (الصدر) , رغم ان السيد (مقتدى) كان بعيداً جداً عن خصائص القيادة الشيعية التي اولها (الاجتهاد) كما عبّر والده الشهيد (الصدر) نفسه , حيث قال (.. وأشياء كثيرة تحتاج إلى تعديل وإلى تقويم وإلى عدل ... وهذا لا يكون إلا بفتوى حقيقية وقضاء حقيقي وولاية حقيقية , وهذا إلا بالاجتهاد , أول درجاته الاجتهاد ... أما أنه تستطيع أن تعمل شيئاً من ذلك بدون اجتهاد؟ فهذا دونه خرط القتاد ولا يمكن أصلاً , ومن يخالف ذلك إنما يتبوأ مقعده من النار وليس بحجة ولا تجب طاعته حتى لو كان أفضل فضلاء الحوزة , مالم يحصل على درجة الاجتهاد ... المجتهد فقط فقط من له

حق قيادة الناس في الفتوى والقضاء وكل شيء ، أما غيره أياً كان فلا يجوز له ذلك وليس على الناس طاعته) ^{٤٧٦} .

لذلك كان تمزق تياره وتشتته وفشله ، وعلى يد مؤسسيه من صغار طلبة العلوم الدينية ، امراً متوقعا ، رغم ما يحاول بعض انصاره من محاولات الدفاع عنه ، تحت عنوان المقاومة للاحتلال او مجموعة من القضايا المقبولة المفاهيم لكنها غير تامة المصاديق في مسيرة التيار . فانشق التيار انشقاقياً تاريخياً بخروج ابرز رموزه الصدرية الشابة ، والتي هي من صنعت ظاهرة اسمها السيد (مقتدى الصدر) في الحقيقة ، لتؤسس تيارات اخرى ترتبط بمرجعية



السيد مقتدى الصدر وأهم المساهمين في نشوء تياره

دينية وليس بظاهرة البيوتات . ولعلّ هذا الانشقاق التاريخي والاعلان المتكرر للسيد (مقتدى الصدر) بحل الكثير من المؤسسات التابعة له ، فضلاً عن مجمل المسيرة والقرارات المتناقضة والتحالفات المتغيرة

^{٤٧٦} مواعظ ولقاءات ، محمد الصدر ، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلام ، لبنان-

بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩

التي تخالف المبادئ المعلنة للتيار يشكلان اهم الادلة على سلبية الخضوع لظاهرة البيوتات والنفوذ العائلي الاسمي .



السيد علي فضل الله

فيما لم يكن متوقفاً ان تتأثر المدرسة الفكرية والعملية المتحضرة لمرجعية السيد (محمد حسين فضل الله) بزحف ظاهرة البيوتات تلك , حتى

دخل ولده السيد (علي فضل الله) دوامة عالم (العمامة الاميرية) وأصبح امتداداً آخر لظاهرة البيوتات .

ووصلت الأمور , بسبب التشطي الشيعي بعد غلبة المرجعية الدينية المدرسية لفترة طويلة , وانتشار ظاهرة العمامة الاميرية ومضاعفاتها , أن يصير واحد من أقدم الأحزاب التي ارادت إشغال المسرح الميداني بدلاً عن ذلك النوع من المرجعيات (حزب الدعوة الإسلامية) بؤرة لمهاجمة عمل المرجعيات الدينية الميدانية , لا سيما بعد سنين من التشطي المضاعف الذي قضته قياداته في دول عديدة بعيدة عن خط أهل البيت وعن قيادة المرجعيات الدينية الميدانية . وخلاف سنن التطور الطبيعي والنمو الافقي والعامودي انحدر الحزب الى انتظار انخفاض مؤشر الوعي الاجتماعي ليتحصل على أعضاء جدد من الشباب , والى انتظار سطوة السلطة ليتحصل على أعضاء جدد من الباحثين عن النفوذ . فحصل التحالف الضمني الخطير بين المرجعيات الدينية المدرسية وبقايا الأحزاب المنهارة ودوائر الإعلام الرأسمالي .

فراح (سليم الحسني) أحد قيادات حزب الدعوة , المنهار سياسياً ونفسياً بعد تجربته الحكومية الفاشلة , هاجم الشيخ (محمد اليعقوبي) ومرجعيته , وتبني اتهامات كان مصدرها هو وحده , بعد أن شعر حزبه بالضيق من تبني الشيخ ملف كشف ومضادة الفاسدين والفاشلين . فكانت بداية حديثه الخلط في نسب وعلاقة ابن عمه الشيخ . وقد اعترف في حديثه بسذاجة أن مسؤول حزبه ورئيس حكومته (أحد قيادات الحزب الكبار والقدماء) أخذ مبلغ أربعة ملايين دولار هدية غير معروفة المقابل من الكويت .

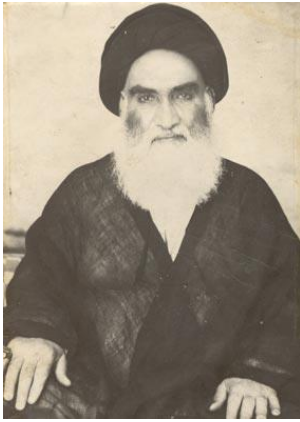
فيما شكك (الحسني) نيابة عن قيادة حزبه باجتهاد الشيخ (اليعقوبي) , مستنداً في رأيه إلى عدم حصوله على إجازة اجتهاد خطية , متغافلاً عن كون زعماء المدرسة المرجعية التي يدعي الحزب الرجوع الى فكرها وهما السيدان الشهيدان (الصدران) لم يحصلوا على مثل تلك الإجازة أيضاً , لأسباب عديدة لا علمية , كذلك لم يحصل عليها مرجع الحزب لفترة طويلة السيد (محمد حسين فضل الله) , ولم ينلها إلا السيد (محمود الهاشمي الشاهرودي) من أستاذه السيد (محمد باقر الصدر) لتوثيقه عند إرساله كمبعوث عنه إلى إيران .

فضلاً عن أن انسحاب السيد (محمد باقر الصدر) نفسه من الإشراف على الحزب لم يؤثر في حركة قياداته التي ظلت تعمل بلا مرجعية لفترة من الزمن , فيما حذفت تلك القيادة الحزبية مرجعية السيد (كاظم الحائري) عن سلطة اتخاذ القرار داخل الحزب . بل قاموا بفصل الشيخ (عبد الهادي الفضلي) حين طالب بأن تكون للحزب مرجعية دينية تضبط حركته^{٤٧٧} .

وحيث الجمع بين اشتراط السيد الشهيد (الصدر الثاني) ملكة الاجتهاد في القائد , وبين إشارته إلى عدم قدرة الاعلم بعده (السيد كاظم الحائري) على قيادة المجتمع العراقي , وبين

^{٤٧٧} حزب الدعوة من المهدي الى اللحد , مقال لمناقشة ادعاءات سليم الحسني , الشيخ عباس الزبيدي ٢٠١٥ م

قوله بضرورة الرجوع الى قائد يضبط حركة المجتمع الإسلامي فيه بأي عنوان , وبين كون أحد طلبته سيكون الاعلم مستقبلاً , وبين أن تلميذه الشيخ (محمد اليعقوبي) يسير حثيثاً نحو الاجتهاد , تكون النتيجة أن أحد طلبة السيد الشهيد (الصدر الثاني) كان " مجتهداً غير مقلد " في نظره حينها , وهو الشخص الذي اختاره مرشحاً وحيداً (الشيخ محمد اليعقوبي) , لا سيما بعدما شهد للشيخ (اليعقوبي) بالاجتهاد من جهات دينية أخرى كما اشترط السيد (الصدر الثاني) ليعلنه المرجع القادم للشيعة بعده , في ظل توقعه عدم قدرة السيد (كاظم الحائري) على الرجوع الى العراق أو التأثير في حركة ذلك المرشح محلياً , والذي رشحه باعتباره سيجذب أنظار الحكومة العراقية الديكتاتورية إليه بعيداً عن المرشح الحقيقي , وهو ما يستفز الحكومة الطائفية المعادية لإيران ويجعلها تغض الطرف عن أي قيادة عراقية غير مهمة في نظرها , وفي ظل عدم قناعة (الصدر) بالمرجعيات الموجودة في النجف الأشرف , سوى الشيخ (محمد إسحاق الفياض) لطيبة قلبه لا لصلاحه للقيادة , فيصلح أن يكون مرفأً مؤقتاً ريثما تنبلج الأمور .



السيد مهدي بن حبيب الله
الشيرازي

اما عائلة (آل الشيرازي) فهي مصداق واضح جداً للعمامة الاميرية , حيث تخضع هذه المدرسة كلياً لبيت السيد (مهدي الشيرازي) , ولا يملك طلبتها الآخرون من الامل الكثير ليصبحوا مرجعية دينية لها , بل لا يملكون حق الاعتراض واقعاً على البيت الشيرازي . وقد وصل الامر الى ظاهرة تقديس هذا البيت .



السيد محمد رضا السيستاني

لكن العمامة الاميرية الاقوى واقعاً والاكثر قدرة على التأثير كانت هي العمامة الاكثر سرية والاكثر نفوذاً , انها عمامة السيد (محمد رضا السيستاني) ابن السيد (علي السيستاني) , حيث يعلم المطلعون والمراقبون ان السيد (علي السيستاني)

ليس قائداً عملياً , كما ان زائريه لن يحظوا بأكثر من تقبيل يده في أكثر الاحيان , فتخضع ادارة امور المرجعية الضمة تلك ليد السيد (محمد رضا) وحده . ويمكن القول انه يستحوذ على التأثير المنفرد على معظم قرارات المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية في العراق لو شاء . ولا تملك باقي المرجعيات الدينية المدرسية النجفية مواجهة ارادته , فهو مصدرها بعضها المالي الرئيس , كما انه يملك اسقاط أغلبها اجتماعياً من خلال المؤسسات المحلية والدولية التي يمولها او ترجع الى مرجعية والده او تؤيدها . وتعدده الاحزاب السياسية العراقية خطراً اكبر واماناً اوفر في ذات الوقت , حيث بسكوته تأمين جانب السخط الشعبي , اذ كان كل سياسي حين يريد تلميع صورته يلجأ الى الظهور في زيارة الى مكتب المرجع السيستاني , ولا يُنسى تصريح رئيس الوزراء الأسبق عند رأس تلك (الدربونة) انه (يستمد شرعيته من المرجعيات الكبرى في النجف الاشرف) , لتسقط على يد رئيس الوزراء ذاك ثلث مساحة العراق وآلاف الشباب ويتأسس بسبب تقصيره (الحشد الشعبي) .



السيد احمد الخميني

لكن لم تكن هذه الظاهرة بالقوة التي تؤثر في اهل الله حقاً وحماية الدين واهل الورع واقعا , فكان ابناء السيد (الخميني) مثلاً للزهد بكل بهارج النفوذ , وأبوا ان يتسلطوا على الناس باسم الدين ووتر العاطفة , وكان ان سلّموا كل متعلقات المرجعية من

اموال وغيرها الى المرجع الجديد بعد رحيل والدهم السيد الخميني . كذلك فعل ذلك الرجل الورع السيد (علي السبزواري) بعد وفاة والده المرجع السيد (عبد الاعلى السبزواري) , واتجه لنفع المدرسة الدينية علمياً .



السيد علي السبزواري

ان العمائم الاميرية وسيطرة ابناء المراجع على مقدرات المؤسسة الدينية القيادية في العراق والعالم ظاهرة دخيلة وغريبة ومستهجنة , كما انها لا تنسجم مع القواعد الشرعية الاسلامية وفق مدرسة اهل البيت , ومخالفة للمنطق العقلي الانساني القويم , بل هي معرقله للعمل الممهد لدولة العدل الالهي .

وعلاج هذه الظاهرة يقع على القيادة المرجعية الدينية داخل الكيان الإسلامي الشيعي الإمامي باعتبار مسؤوليتها في نيابة المعصوم , لكن باعتبار ان بعضها مقصرة في اداء حقوق هذه النيابة فيقع العلاج اليوم على الامة , لتقويم عمل المرجعية واعادة المسار الصحيح , خضوعاً لبدأ الشهادة المتبادلة بين الامة والمرجعية .

ملحق : المدرسة الشيرازية



السيدان مهدي الشيرازي ومحسن الحكيم



السيد صادق الشيرازي



السيد محمد الشيرازي

وهي التي تنتمي في فكرها الى السيد (محمد بن مهدي بن حبيب الله الشيرازي) , وفي مرجعيتها الى قيادة اسرته بعده , وهي اليوم بقيادة شقيقه السيد (صادق الشيرازي) .

والسيد (مهدي بن حبيب الله الشيرازي) , بحسب ما منشور من سيرته , من مواليد الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي , ومن تلامذة (الآخوند الخراساني, السيد محمد كاظم اليزدي, الميرزا النائيني, السيد حسين القمي, الميرزا محمد تقي الشيرازي, الشيخ ضياء الدين العراقي, علي بن محمد حسن الشيرازي) , وهم تلامذة مدرسة الميرزا (محمد حسن الشيرازي) في سامراء . وكان يقيم صلاة الجماعة في كربلاء . وبحسب عناوين مؤلفاته كان كما يبدو على مسلك المرجعية المدرسية . والشيخ (محمد تقي الشيرازي) صاحب فتوى ثورة العشرين في العراق صهر هذه العائلة , فزوجته اخت السيد (مهدي الشيرازي)^{٤٧٨} .

له من الأولاد الراحل السيد (محمد) , وهو مؤسس المدرسة الشيرازية الواضحة المعالم الطائفية , هاجر إلى سوريا عام ١٩٧٠م في خضم الصراع بين شيعة العراق ومنظومة (البعث) الطائفية الفاسدة , ثم إلى الكويت , ثم الى ايران عام ١٩٧٩م مع انتصار الثورة الإسلامية فيها , حيث تكشف هجرته من المناطق الساخنة الى المناطق الباردة عدم قدرته على قيادة المجتمع الشيعي عمليا , واعتماده الخطاب الطائفي البعيد الآمن له والخطير على غيره , حتى وفاته في ٢٠٠١م , وليس له باع علمي , سوى كتابات كثيرة عامية في الغالب , لكنه

^{٤٧٨} الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠ دراسة تاريخية , جاسم محمد إبراهيم اليساري , مجلة أهل البيت

ساهم بإنشاء وتمويل العديد من المؤسسات من المساجد والحسينيات والمدارس الدينية والمكتبات والمستوصفات ودور النشر والصيدايق , وكان السيد (محمد الشيرازي) قد ذهب الى نظرية شورى الفقهاء , كتوجيه اكثر ديمقراطية لنظرية ولاية الفقيه , ولئلا ينفرد احد غير المعصوم برأيه , حيث كان مدركاً لضرورة تصدي الفقيه كما هو واضح , لكن بلا آلية الثورة الإسلامية في ايران , (.. إن الدولة الإسلامية رئيسها الأعلى هو الفقيه الجامع للشرائط, سواء كان بصورة فردية أو بصورة جماعية- حسب اختيار الأمة أحد الأمرين ..)^{٤٧٩} . والراحل السيد (حسن) , من أساتذة البحث الخارج في حوزة السيّد زينب , وله نشاط مشابه لنشاط شقيقه السيد (محمد) مع المؤسسات . والسيد (صادق) , من أساتذة البحث الخارج في حوزة (قم) , ويرعى بشكل مفرط الخطاب الطائفي إسلامياً والخطاب الشعبوي العامي شيعياً . و(مجتبى) , المقيم في لندن تحت رعاية ضبابها وخطابها .



السيد حسن الشيرازي

^{٤٧٩} مجلة النبأ , عدد ٥٧ , من هدي المرجعية

وهي مدرسة طائفية بامتياز ، ومن انشط حركات العصر الراهن إعلاميا ، وفنوية الى حد منقطع النظير ، وتركز على عزل المجتمع الشيعي عن غيره . لذلك هي مثالية لتأجيج الاحداث السنية الشيعية ، باعتبارها لا تهتم بالقضية الاسلامية . وهي مثل شريكها الطائفية السلفية متميزتان عن كلا المذهبين السني والشيعي ، ويشتركان في جذورهما ونتائجهما اللتين تقر بانهما من بعض ، رغم ظاهر الصراع بينهما .

وهي مشابهة للسلوك الذي نتج عن جو الصراع الصفوي □ العثماني ، من استغلال قيادتي الدولتين للورقة المذهبية في تقوية كيانهما او ضرب خصومهما ، من حيث استخدامهما للورقة ذاتها في تحقيق كيانهما المرجعي ، بعد أن فشلت في تحقيقه علميا .

(لقد أخرجت الصفوية فجأة النهضة الشيعية من مخابئها إلى العلن، لكن لم يكن للأقلية الشيعية آنذاك طقوس محددة أو رموز وعلائم ومراسم اجتماعية. لهذا عولجت هذه القضية بتأسيس وزارة لهذا الأمر، وكلف شخص باسم «وزير المراثي» بهذه المهمة. جاء هذا الوزير أولاً بتحف الغرب إلى إيران في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث اقتبس من أوروبا الشرقية - بعد زيارتها - رموز المراسيم الدينية وآلاتها وتصاميمها والمراثي المعمول بها في الكنائس، ثم أضفى عليها - بمعونة رجال الدين - طابعاً شيعياً إيرانياً؛ فظهرت طقوس ورموز لم يسبق لها مثيل لا في إيران ولا في الإسلام ولا حتى عند الشيعة، مراسيم كالتمثيل والتشابه والتشيع الرمزي ورفع الأعلام الحديدية وخدمة الستارات ورسم الصور والمبارزة

وتعليق الأقفال بالأجسام والضرب بالسلاسل أو الموسيقى والعزف والطبول و...^{٤٨٠} . وهو بالضبط ما تركّز وتقوم عليه المدرسة الشيرازية داخل الكيان الشيعي الإمامي .

ان المنهجين السلفي والشيرازي يشتركان في نقاط تكاد تكون موحدة لعملهما , لولا اختلافهما في الجهة التي يدعيان تمثيلها , لتشابه مناشئهما واسبابهما .

حيث (إن العداء الظاهري بين الأطروحتين, السلفية السنية والسلفية الشيعية, يمثل القاعدة أساسية التي استخدمها التياران للبقاء وإضفاء المشروعية والقدسية على ما تروجانه من أفكار تحت عنوان الحفاظ على المعتقد والمذهب, على أن هذا العداء المعلن □ بشكل صاخب - يُخفي تشابهاً وتوحداً واضحاً في الأهداف والغايات التي يسعى إليها كل منهما, كما يوجد تشابهاً كذلك في الأساليب التي يلجأ إليها الطرفين في مواجهة خصومهما سواء بين أبناء المذهب أو في المذاهب الأخرى . إن الدور الذي يلعبه الطرفين السلفيين في هذه المرحلة كشف بوضوح طبيعة الأهداف التي يسعيان لتحقيقها في المنطقة, ففي مرحلة سابقة لم تحقق المحاولات السلفية لاستفزاز الشيعة ودفعهم لدخول معركة تكفيرية مذهبية أي نجاح, وقد تعامل علماء ومثقفي الشيعة مع هذه المحاولات بقدر كبير من الوعي ... وأوجه الشبه بين المنهجين كثيرة , منها الاستعلاء الفكري واعتبار أطروحتهم الفكرية كمعيار معصوم لقياس مصداقية الآخر , وتضخيم قضايا الخلاف الصغرى - التاريخية على سبيل المثال - واعتبارها كقضايا دينية وعقائدية وبالتالي فإن عدم الإيمان بها يمثل نوع من

^{٤٨٠} الوحدة الإسلامية، تحليل خطابي ومعالجة سييسولوجية، د. صادق حقيقت، ع ١١ ، السنة الثالثة، صيف ٢٠٠٧م، ١٤٢٨هـ، ص ٦٤

الهرطقة أو الردة , ونشر نصوص الآخر بطريقة مبتورة ومشوهة بحيث يتم إظهاره كخارج عن مسلمات المعتقد الديني أو المذهبي , والصخب والإثارة الإعلامية والذي يعتمد على إعادة صياغة نفس الأفكار بطرق متنوعة غير مختلفة من ناحية المضمون) ^{٤٨١}.

ان المدرسة الشيرازية تمثل اليوم الوجه الآخر للسلفية داخل مذهب الشيعة الإمامية , وهذا لا يعني شمول المدرسة جميعها بهذا الاتهام , حيث يمكن بالتأكيد اخراج الكثير من الشخصيات ذات الفكر الاسلامي الراقى , والتي تخرجت او تأثرت بمناهج هذه المدرسة .

الا ان هناك شخصيات لازالت تدعي بقوة تمثيل المدرسة الشيرازية , وانها الجهة المخولة بالنطق عنها , صارت تمثل اقبح صور المنهج الطائفي والفئوي النرجسي , ولعل اهمها (مجتبى الشيرازي) شقيق مؤسس المدرسة السيد (محمد الشيرازي) ومرجعها السيد المعاصر (صادق الشيرازي) , والبريطاني (ياسر الحبيب) . والرجلان من سكنة عاصمة الضباب (لندن) .

وقد حاول بعض الباحثين النأي بمرجعية عائلة السيد (مهدي الشيرازي) ^{٤٨٢} عن سلبيات الممارسات التي يقدم عليها أتباع المدرسة الشيرازية , عبر الفصل بين المرجعية وانصارها

^{٤٨١} السلفية الشيعية والسلفية السنية (مقارنة الهدف والأسلوب والمنهج) , باباك خورمدين , شبكة العراق الثقافية , ٢٠٠٥م

^{٤٨٢} والد المرجعيات التي قادت هذه المدرسة عملياً , وهم (محمد الشيرازي) و (صادق الشيرازي) و (حسن الشيرازي) و (مجتبى الشيرازي)

وقواعدها^{٤٨٣}. الا ان هذا الامر ليس بواقعي , لعدة اسباب , اهمها ما ذكره من ركافة المدرسة وتساهلها في منح الالقاب والدرجات العلمية , وكذلك كون مجمل منظومة العمل داخل المدرسة الشيرازية وطرق ومناهج التربية فيها افرزت لغة حادة وحجج ضعيفة , واختزال المرجعية □ النائبة عن الإمام □ في ثوب عائلي افقد المدرسة سمة الحياة , وركّز الامراض الداخلية , وعدم نبذ المرجعية الشيرازية للأصوات الشاذة والمسيئة داخل التيار الشيرازي , وتمايز المدرسة عن باقي الخطوط الشيعة بنحو قريب من الحزبية , والتركيز العقائدي □ لا سيما في الخلافات – مما ساهم في خلق اجواء مشحونة كلياً داخل التيار الشيرازي كانت تحتاج الى شرارة صغيرة فقط لتنفجر . ولذلك فإنّ المرجعية الشيرازية تتحمل جزءاً كبيراً من السلبيات التي افرزها تحرك المدرسة الشيرازية اسلامياً .

وقد تشابهت المدرستان السلفية الوهابية والشيرازية , لا سيما اللندنية , حتى كأنهما تخرجتا على معلم واحد , لكنهما □ ظاهراً □ افترقا في المقاصد العلنية . ومن ابرز نقاط الالتقاء بين المدرستين , او صفات المدرسة الشيرازية , الضعف والركافة العلمية , حيث ان المنهجين يلتزمان ضعيف الروايات والغث منها , بل ويسينان فهم متن تلك الروايات الضعيفة , فالسلفيون يكفي في تصديهم لتدريس الناس او تكفيرهم قراءة بعض الكتب لفترة وجيزة .

^{٤٨٣} ازمة التيار الشيرازي , حافظ بناني

ويكاد الباحث ينبهر عند سماعه لسعة مؤلفات مؤسس المدرسة الشيرازية السيد (محمد الشيرازي) وعددها الضخم , دون أن يكون قرأ شيئاً منها بعد , لكنه □ لا سيما اذا كان من مدرسة النجف العلمية □ يتفاجأ بمستوى بعض تلك الكتب عند قراءتها , والتي يمكن وصفها بعبارة واحدة "انها لا تعدو احاديث العوام شيعياً" .

و في سؤال تم توجيهه لمرجع المدرسة المعاصر السيد (صادق الشيرازي) حول ظاهرة (التطبيق) وشجّ الرأس بالآلات الحادة وعن مستندها الروائي كان يجيب برواية (ضرب زينب بنت علي بن ابي طالب رأسها بالمحمل) الضعيفة متناً , لتعارضها مع الثوابت الشرعية , وسنداً , بسبب الارسال والانقطاع , ويقويها هو عبر استدلاله ببكاء بعض العلماء الذين يعرفهم هو عند استماعهم لها في العزاء ! . وهذا نحو من الاستدلال عجيب . ويكتب احد ابرز الرموز العلمية للمدرسة الشيرازية واستاذ للبحث الخارج فيها كتاباً استدلالياً عن نفس الظاهرة , مستدلاً على شرعيتها بروايات غريبة , مثل جرح ارجل الانبياء وتعثرهم في كربلاء , ! .

وفي استدلال غريب لابن هذه المدرسة (ياسر الحبيب) على ايمان احد المجوس الذي لم يأت نص بإسلامه فضلاً عن ايمانه يذهب يميناً وشمالاً , ويستدل بالمقلوب , لا لشيء سوى ان هذا المجوسي اغتال احد الصحابة الذين يجاهر (الحبيب) بعدائهم ! , رغم انه يعلم كما يعلم الجميع ان هذا المجوسي كان غلاماً لاحد اعداء اهل البيت , ويسير في ركابهم , معتمداً على كتاب مثل "الهداية الكبرى" ل(الخصيبي) الذي قال عنه علماء الإمامية أنه "فاسد

المذهب^{٤٨٤}، وتاركاً الكتب المعتبرة لدى الإمامية . وهو استدلال غريب وعقيم ، لم يكن القصد منه الا اثاره المدرسة الاسلامية الاخرى المقابلة للمدرسة الاسلامية الشيعية .

ومن صفات المدرستين تكفير عامة المسلمين ، والطريف ان الجهتين يكفر كل منهما نصف المسلمين ، فالسلفية تقول بكفر الشيعة وضلال باقي المسلمين ممن يخالف منهجهم كالأشعرية والماتريدية ، والشيرازية المنهجية تقول بكفر السلفية وعموم من شابههم في الاعتقاد ، حيث يقول (الحبيب) ما نصه (في الجانب العلمي النظري، لا ننفي إطلاقاً أن نظرنا تجاه غير الشيعة من الطوائف هي نظرة أئمتنا الأطهار وعلمائنا الأبرار من أنهم كفار ضالون ، ومآلهم إلى النار ، إلا الجهلة المستضعفون منهم)^{٤٨٥} ، وبضلال من يخالفهم منهجهم ، حتى وإن كان شيعياً ، كما يُنقل عن الشيخ (عباس موسى)^{٤٨٦} بقوله (مجتنبى الشيرازي ، أحد المنسوبين للتشيع ، لم يبق إلا أن يكفر الشيعة قاطبة ، ويبقى هو الشيعي الوحيد في العالم ، لقد كفر علماءنا ولا من متحدث)^{٤٨٧} . وبحسبة بسيطة تكون النتيجة أن الشيعة كفار وضالون ، والسنة كفار وضالون ، فجميع المسلمين كفار وضالون ، وهو المطلوب والغاية النهائية ، بعد ان ادّى كل واحد منهما دوره . وقد ذمّت الشيرازية اللندنية مجموعة من الاسماء التي يرون ضلالها من الشيعة ، من رموز الشيعة مثل (محمد بن الحنفية ، المختار الثقفي ، ابراهيم بن مالك الاشرى) ، ومراجع الشيعة (محمد باقر الصدر ،

^{٤٨٤} رجال النجاشي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ص ٦٧

^{٤٨٥} موقع (قطرة) التابع له

^{٤٨٦} عالم دين شيعي يسكن القطيف

^{٤٨٧} مجتنبى الشيرازي بين نقدين ، خالد بن محمد البديوي ، موقع الشيخ حسن الصفار ٢٠١٠م

محمد الصدر , محمد اليعقوبي , محمد حسين فضل الله , كاظم الحائري , روح الله الخميني , علي الخامنئي , حسين المنتظري , ناصر مكارم الشيرازي , محمد تقي بهجت , الفيض الكاشاني) , والاصلاحيين والمفكرين من الشيعة (مرتضى المطهري , علي شريعتي , حسن الصفار , موسى الصدر , ملا صدرا , جمال الدين الافغاني , هادي المدرسي) . وكما هو واضح فالعملية اسقاط لمجمل مذهب الشيعة الامامية , وبالجملة , والغريب ان كل ذلك يتم على يد مجاهيل في عالم المعرفة ! .

ومن صفات المدرستين الاهتمام بالصور الشكلية للدين , حيث يركّز الجانبان بصورة حدية على دين المظهر , اذ صار بإمكان من اطال لحيته وقصّر ثوبه وتكلم ببعض الاحاديث التي لا يعرف كنهها ان يحظى بثقة السلفيين , بينما تلتزم الشيرازية بتوفير ما يشبه طقوس المعابد الوثنية , ولعل ابرزها (التطبير) , الذي اصفوا عليها لقب "الشعيرة المقدسة" , بجرأة غير معهودة , فهي ظاهرة لا يتجاوز عمرها المائة عام , فمن اين حظيت بالتقديس ؟ وهي لم تشرع من قبل المعصوم , ولم يمارسها السابقون من شيعة اهل البيت , بل ويحرمها اغلب العلماء المعاصرين , او ينهون عن ممارستها بنحو احترام سمعة المذهب . كذلك يلتزم الشيرازيون بصور عزائية مستوردة من ثقافات اخرى , كشرط من شروط التدين , ينفقون عليها سيلاً من الاموال المهذورة .

ومن صفات المدرستين الغلظة والفظاظة , حيث ان القذف والطعن والتشويه للخصوم ابرز مظاهر الجدل مع السلفيين او الشيرازيين , مما ساهم بنفرة المثقفين والاكاديميين بعيداً عن الكثير من المظاهر الدينية . وهذا بارز في حوارات امثال (ياسر الحبيب) و(مجتبى بن

مهدي الشيرازي) شقيق مرجع المدرسة الشيرازية (صادق الشيرازي) , وغيرهم الكثير المستجد كل فترة , حيث تبرز بسرعة عبارات مثل (بتري , بكري , ضال , كافر ...) الى آخره من العبارات التي لا يستقيم معها الحوار الاسلامي . فيما جاء في بعض ادعية مجاميع بعنوان "محبى آية الله السيد مجتبى الشيرازي" على الانترنت جمل لا تحمل سوى الاساءة المتعمدة وغير العلمية لبعض الرموز الاسلامية , لا يمكن قراءة آية فائدة فيها سوى اثاره الآخر , بل هي اقرب لعبارات الشارع غير الملتزم وغير المحتشم , وبصيغ طفولية مراهقة !

ومن صفات المدرستين الحدة والسلبية في الحوار , اذ يتميز الطرفان بأتهما سريعا الانفعال ومن ثم الهجوم على خصومهما , ويلجئان غالباً الى علاج الكي قبل تجريب آية دواء آخر . فالسلفية تفضّل دائماً تطهير ارض المسلمين من اهل البدع المخالفين لهم عبر آية القتل او السجن , فيما تفضّل الشيرازية سبيلي قطع الارزاق والقتل المعنوي لشخصية المخالف .

ومن صفات المدرستين خلق اصول جديدة للدين , وهي مجموعة اضافات فرعية اجتهادية شاذة يتم احتسابها على الاصول المقدسة للدين والشريعة , نابعة عن الفهم العنصري لكل من السلفية والشيرازية . مثل "التطبير" و "جهاد اهل البدع" , وهم المخالفون لهم بأحد الآراء , و "الاحتفال بموت مخالف" سابق او معاصر شيعياً ام سنياً واتخاذ عيدا سنويا .

ومن صفات المدرستين التركيز على نقاط الخلاف وترك المشتركات , وهو منهج خالفوا فيه جميع علماء الامة السابقين من السنة والشيعه , والذين كانوا يلتزمون في اغلب الاحيان التركيز على المشتركات ونبذ المسائل الخلافية . ففي مضمون احد الروايات ان مجموع من

اهل السنة في بغداد دخلوا على (الحسين بن روح النوبختي) , وهو احد السفراء الاربعة للإمام الثاني عشر الحجة , شاكين في انتسابه الى الشيعة ام الى السنة , فخرجوا وهم يظنون انه منهم . ومن هنا يفهم مدى حرص علماء السلف المؤسسون على حصر النقاش في الخلافات على الكتب العلمية وتجنّبها عن العامة . فيما تركّز القنوات الفضائية للسلفيين والشيرازيين , كذلك مؤلفاتهم على القضايا الخلافية حصراً , والعمل ليلاً ونهاراً على دفع اعين العامة عما تشترك فيه مع بقية المسلمين من عقائد . والامر هذا لم يأت من فراغ بكل تأكيد , بل هو يكاد يكون منهجاً مرسوماً موجهاً من جهة مشتركة .

ومن صفاتهما الأثر اللندني , اذ لا يشك عاقل مطلع ان الفضل الاول □ بعد البداوة □ في تأسيس الوهابية , وهي النسخة المحدثّة للسلفية التاريخية , يعود الى الجهد الاستخباري البريطاني المباشر عبر الدعم اللوجستي والمباشر , من خلال مجموعة كبيرة من الضباط البريطانيين , مثل (فيلبي) , فيما يدرك المتابع للأحداث مقدار الدعم القانوني والمالي الذي توفره بريطانيا لساكنيها من الشيرازيين , امثال (الحبيب) و(مجتبى الشيرازي) والفئة الجديدة المستحدثة .

ومن مشتركات المدرستين تبني إعلام اللطم والقتل وتغييب اصحاب الفكر والنهضويين , حيث تكاد تكون قنوات الشيرازيين مخصصة للطم والصور الدينية الشكلية , وسلفياً لشرعة سفك الدماء والتحريض على القتل شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . في حين يغيبون عن قنواتهم ما يمتلك قطبا الامة من السنة والشيعة من مراجع ومفكرين وعقلاء وفلاسفة ومصالحين .

ومن مشتركاتهما أيضاً التوجه الى العوام بالخطاب والتهرب عن مواجهة العلماء , حيث مستوى الخطاب السلفي والشيرازي بعيد جداً عن المنهج العلمي , وهو متوجه كلياً نحو العوام , لدغدغة العواطف واللعب على وتر شد الاعصاب . او كما يصف (د. علي شريعتي) بقوله (إن رجل الدين الصفوي, وإن كان يرتدي في الظاهر نفس الزي الذي يرتديه علماء الشيعة, إلا أن المخاطب عنده دائماً هو عوام الناس حتى في مجال البحث العلمي. وهو يتهرب من مواجهة العلماء وأهل التخصص, ومع أنه يزعم إنه عالم شيعي ويدّعي أنه مرجع للعوام في معرفة أمور دينهم, فإنه في الحقيقة مقلد لعوام الناس وليس سوى أداة رسمية لإصدار الأحكام على ضوء ما استنبطه مريدوه تبعاً لأهوائهم ومزاجهم, وبالتالي فهو ببغاء تردد ما يقوله العوام حتى في مجال الاعتراض على نظرية واردة في بحث وكتاب, فتراه يصرّح بأن النظرية الفلانية في الكتاب الفلاني باطلة ومخالفة لموازين الشرع المقدس, وعندما يُستفسر منه عن الموضوع الذي استند إليه في إصدار فتواه يقول إنه لم يطلع على تفاصيل الكتاب ولكن عدداً من الوجهاء المعروفين وفدوا عليه وقالوا له ان الكتاب الفلاني ينطوي على أفكار ضلال ويجب أن تفعل شيئاً يحول دون أن يقرأه عوام الناس)^{٤٨٨}.

ومن نقاط تشابه المدرستين التسامح في منح الألقاب العلمية دونما ضوابط أو معايير , ففي المدرسة الشيرازية يكفي في ذلك الانتساب الى البيت الشيرازي , او بلوغ مستوى معين من الدراسة لا يمكن مقارنته مع السطوح المتوسطة للحوزة النجفية . اما السلفية فهي كما وضع الشيخ (د. علي جمعة) أنه يكفيهم في ذلك دراسة بعض الكتب البسيطة والمختصرة . كذلك

^{٤٨٨} التشيع العلوي والتشيع الصفوي

تلعب العوامل الاعلامية والشعبية والعملية لدى السلفية دوراً كبيراً في منح الالقباب التي هي اصلاً متميعة لدى المدرسة السلفية عموماً .

وتعادي المدرستان الفلاسفة والعارفين والمتصوفة , ان من عجيب ما اطبقت عليه السلفية والشيرازية هو ضلال وكفر جميع العارفين والمتصوفة , ونبذهم للمنهج الفلسفي , وسريان مقولة (من تمنطق تزندق) بين الكثير منهم . حيث يقول الشيرازي (ياسر الحبيب) في جوابه على سؤال عن الفرق بين العلم و الفلسفة بقوله (الفرق الجوهرى هو أن الفلسفة ليست بعلم , بل هي تخرصات اكتسبت ثوب العلم بتوسط بعض المبادئ العقلية الصحيحة , إلا أنها لا توصل إلى شيء من الحقائق كالعلم , ولهذا نهى عنها الأئمة الأطهار -عليهم السلام- وتبرأوا ممن يميل إليها) . فيما كان ولازال الشيعة منذ زمان الائمة المعصومين هم سادة الفلسفة واشهر من اضاف اليها ونور طريقها . والاسباب التي تدفع المدرستين الى معاداة المناهج العرفانية والفلسفية تتلخص في أن المدرستين ماديتان تعملان وفق منهج الأنا لذلك , لم يكن باستطاعتهم ان يدخلوا او يستوعبا المنهج العرفاني الرباني , كذلك ضعف المدرستين علمياً , مما اعجزهما عن استيعاب الفلسفة الاسلامية العالية , فاختصرا الامر برفضها كلياً , وأن المدرستين يشكل التأثير اللذني جزءاً كبيراً من ذاتهما , لذلك هما يقفان دائماً ضد من يشكل خطراً كبيراً على منهج التخريب الغربي , وهذا ما يخفى على الكثير من بسطاء المسلمين . فها هو (ياسر الحبيب) و(مجتبى الشيرازي) يصرحون في جملة من كلماتهم , مثل تلك التي على موقع (ياسر الحبيب) الالكتروني , بقاعدة كلية يُقاس عليها الجميع , مفادها أن (العرفان انحراف وضلال) , لذلك هم يعدّون جميع العارفين واصحاب

منهج السلوك القلبي ضالين ومنحرفين , بل عدّوهم في بعض الاحيان كفرّة . في حين انهم يجهلون كلياً ما يعني العرفان , ففي سؤال ل(ياسر الحبيب) عن رأيه حول شخصية (احمد القبانجي) , وهو رجل معمم علماني النزعة مادي الاتجاه مختلط التفكير , اجاب بكلام عجيب غريب لكنه مقصود بقوله (هو عرفاني منحرف يُضحك الناس عليه)^{٤٨٩} , بينما "العرفان" من وجهة نظر الشيعة الإمامية هو كمال الأخلاق وتمامها بعد تزكية النفس وإشراق شمس المعرفة والحكمة فيها , و(احمد القبانجي) ابعد ما يكون عن المنهج الديني , فضلاً عن العرفان . فيما تصر السلفية على ضلال منهج التصوف , كقاعدة كلية , وبالتالي انحراف جميع الصوفية او المتصوفة , وكذلك يرى السلفيون ضلال اصحاب المنهج الفلسفي , ويعدونه ضرباً من الالحاد والقول المنكر .

ومن مشتركاتهما التناقض بين الاعتقادات النظرية وبين الممارسات العملية : لأن الطرفين يتحركان وفق الآلية المصلحية فهما سريعاً ما يتناسيان مبادئهما النظرية , التي يدعون اليها بحدة , ففي تناقض تاريخي عجيب تطالب السلفية السعودية بخيار الديمقراطية في سوريا , بينما تعتبر الخروج على (ولي الامر) كفراً في السعودية , وفي حين يحمل السلفيون الوهابيون في مصر حراهم لتطبيق الحدود مارسوا ما اعتبروه كفراً من الديمقراطية . بينما يلتزم أتباع المدرسة الشيرازية مسلماً عنيفاً , أقله الشتائم والقذف ضد خصومهم , في مخالفة جلية لمبدأ (اللاعنف) الذي يدعون اليه , وهي العقلية التي لا تمنع من شقّ هامات محبي اهل البيت بأشدّ العنف بالسيوف .

^{٤٨٩} موقعه (القطرة) ٣٠ شعبان ١٤٣٢ هجرية

كذلك يجتمعان على الكذب الصريح القبيح المساهم في الفتنة , حيث لا يتورع الطرفان عن ادعاء كل ما من شأنه تأييد مسلكهما ودعم مدعاهما . فمن شيخ للسلفية يدّعي انه رأى رسول الله اكثر من ثلاث وخمسين مرة في المنام , وفي كل مرة يوصيه بقضية تخص ما يطرحه في ذات الحلقة التلفزيونية التي يتحدث فيها , الى شيرازي يدّعي تقديس الشيعة لمجوسي , حيث راح يلفق كذباً وزوراً معرفة علماء الإمامية لهذا المجوسي او اعتبارهم لفعلته , عبر سلسلة من الاكاذيب الجريئة والعجيبة , والتي لم يصدر من المرجعية الشيرازية ما يدحضها أو يرد عليها , بينما كان مما جاء في كتب علماء الإمامية من الاحتجاجات ضد الخصوم هو ادخال بعض الصحابة لذلك المجوسي الى (المدينة) رغم حرمة هذا الامر , مما دفع كثير منهم الى اتهام ذلك الصحابي باغتيال أحد الخلفاء على يد مولاة المجوسي ذلك . لكن يبدو ان (ياسر الحبيب) اراد اعطاء نصف المشروع الآخر من السلفية فسحة للاتهامات ضد الشيعة , حيث لم يجدوا من الشيعة ما يعينهم على اثاره الرأي العام الاسلامي ! .

ان الطرفين من السلفية والشيرازية يسيران ضمن مشروع التغيير والعالم الجديد الذي ترسمه ارادات المنظمات السرية , بقصد او بدون قصد , فيما تجهل قواعدهم حقيقة اللعبة , لأنها قواعد عاطفية غير واعية اساسا .

وقد حذر علماء وحكماء الامة وشخصياتها من السنة والشيعة من خطر المدرستين السلفية والشيرازية . حيث عبّر شيخ الازهر (د. علي جمعة) في محاضرات عديدة من خطورة تسلط السلفيين على المجامع الدينية , لركاكتهم وسذاجتهم وفهمهم المحدود والناقص للنصوص , فيما شرح الدكتور الشيخ (عدنان إبراهيم) واقع المنهج السلفي منذ تأسيسه حتى اليوم ,

وبيّن خطورة ما يتبناه , وحذر من مغبة وعاقبة السماح له بالوصول الى مراكز القرار السياسية والدينية . بينما اكدت المراكز الشيعية الدينية والثقافية ان المنهج الشيرازي اللندني لا يمثل الفكر الشيعي الإمامي , وهو يمتد في جذوره الى ارادات الاستعمار السابق . ومن ذلك ما قاله المجمع العالمي لأهل البيت : جذور هذه التصريحات تعود الى المستعمرين^{٤٩} . فيما يقول (د. شريعتي) ما نصه (المسافة بين وجهي التشيع العلوي والصفوي هي عين المسافة بين الجمال المطلق والقبح المطلق)^{٥٠} .

ان ما يذكره التأريخ المحقق يبين بوضوح ان الكثير من الشيعة الإمامية والزيدية كانوا اساتذة للكثير من اساطين العلم لمذاهب السنة , لا سيما في مدرسة بغداد , بينما درس الكثير من علماء الشيعة على يد المحققين من اهل السنة في مدارس بلاد الشام او الازهر .

ان النزاع (السلفي □ الشيرازي) هو صراع بين مدرستين متطابقتين في المناهج العملية , ترعاه الدول الغربية , ويستمد جذوره من حقبة العداة (العثماني □ الصفوي) , وهو عداة تركي بكل أطرافه , ويراهن على سذاجة وبساطة العوام , ويعمل على خدمة مشروع الفتنة الدموي الذي تقوده المنظمات الظلامية في العالم , ويريد تصوير الواقع على شكل العداة المستحكم بين قطبي الاسلام من السنة والشيعة , ويقطع عليهما طريق اللقاء والحوار , ويعتمد على منهج العنف والفظاظة , مستغلاً وجود نقاط خلاف عقائدية بين الفريقين , وقائماً على اساس مادي مالي ضخم ومستمر , ويعيش على شكل طفيلي داخل مدارس سنية

^{٤٩} وكالة أنباء التقريب ٢٠١٠م

^{٥٠} التشيع العلوي والتشيع الصفوي

وشيعية , يعيش قادة هذا النزاع حياة الترف والامان , بينما تعيش ادواته المجتمعية مجازفة ومخاطرة خسارة الدنيا والآخرة .

وتتميز مؤسسات المدرسة الشيرازية بأنها تحاول الظهور بأي عنوان شيعي عام في قنواتها الفضائية , كعناوين (الشعائر) و (المرجعية) و (الإمام الحسين) و (العقيلة) و (فدك) و (١٤ معصوم) و (المهدي) و (الحوزة العلمية) وغيرها , بما يحسبه البعض محاولة للاستحواذ على تلك العناوين قهرا , لكن من وراءهم في الحقيقة يريد نسبة كل ما يظهر منهم من سلبيات أمام الآخر إلى عموم العنوان الشيعي .



استحواد المدرسة الشيرازية الضعيفة على العناوين الكبيرة

الخلاصة

□ المرجعية الدينية هي امتداد شرعي لفترة الإمامة المعصومة , التي هي بدورها امتداد لفترة النبوة , لذلك فالمرجعية الدينية ظاهرة قديمة بقدم الشريعة الإسلامية ذاتها .

□ انقسمت المرجعية الدينية بناءً على فاعلية رجالها إلى ميدانية قيادية وإلى مدرسية منعزلة .

□ إذا كان الشيخ (المفيد) هو المرجعية الدينية الأولى الواضح , وإذا كان تلميذه الشريف (المرتضى) هو المؤسس الحقيقي لملاح مؤسسة المرجعية الدينية , وإذا كان تلميذهما الشيخ (الطوسي) من رفع بنيان هذه المؤسسة , فإنّ العلامة (الحلي) هو المرجعية الدينية الأكثر ميدانية رغم نبوغه العلمي المتفوق على كل من جاء بعده من المرجعيات المدرسية قياساً على زمانه وزمانهم .

□ تأثرت وأثرت المدرسة المرجعية الدينية العاملة في بلاد الشام كثيراً بمدارس العراق الدينية .

□ قامت المؤسسات العلمية والدينية في الدولة الصفوية على جهود العلماء العرب , لا سيما علماء جبل عامل . وكذلك جهود علماء بلاد البحرين والاحساء والقطيف . وامتدت تلك الجهود إلى بلاد الهند .

□ حاولت المؤسسات الدينية العراقية والشامية أن تكون أكثر توازناً في علاقتها بالدولة العثمانية والدولة الصفوية خشية من بطش الأولى الطائفية واحتراماً لجهود الثانية المذهبية , فخسرت فرصة بناء مجتمع شيعي إمامي أكبر وفرصة الخلاص من ظلام وتخلّف العثمانيين .

□ كانت المؤسسة الدينية في العراق والشام والخليج وإيران ممتزجة في أكثر الأحيان .

□ كان لعائلة آل كاشف الغطاء النخعية دور كبير في احياء وقيادة المجتمع الإسلامي الشيعي .

□ كانت أغلب الحركات شبه الدينية المنحرفة تظهر في مدينة كربلاء , لا في مدينة النجف الاشرف , وكانت تظهر وتنتشر على يد رجال دين اجانب , ثم تنمو في بلاد إيران , وتختفي في العراق , لكنها تؤثر كثيراً في الأقاليم الخليجية .

□ منعت ظروف العراق السيئة في قرون الدولة العثمانية المؤسسة الدينية الإمامية من التفرغ لتطوير مؤسساتها وبناء كيائها مادياً ومعنوياً .

□ ساهمت المرجعيات الدينية الميدانية في نشر التشيع لأهل البيت في وسط القبائل الأعرابية التي كانت تهاجر إلى العراق على مراحل . ولولا ذلك لكانت تلك القبائل قد أثرت سلباً في تاريخ العراق وشيعته .

□ انشغل أغلب رجال الدين والمراجع العرب العراقيون في بداية القرن العشرين الميلادي بالمسائل والقضايا الأمنية والسياسية عن التصدي لواقع المرجعية الدينية الواسعة .

□ استغلت المرجعيات الدينية الأجنبية انشغال المراجع العراقيين بالاحداث والثورات التي رافقت القرن العشرين الميلادي وتصدت لمقام المرجعية الدينية .

□ لعب المال دوراً مهماً في تنصيب بعض المرجعيات الدينية وشهرتها , من خلال الإنفاق على الوكلاء والمؤسسات وتوسعتها وطبع الكتب ومساعدة بعض الفئات .

□ ساهم توقيع (ابو الحسن الأصفهاني) و (محمد حسين النائيني) على تعهد بعدم العمل السياسي في العراق لصالح البريطانيين والحكومة الملكية بتأسيس ملامح الوجه المعاصر للمرجعية الدينية المدرسية . كما تسبب في انحدار سياسي واقتصادي واجتماعي خطير في الوسط الشيعي الإمامي .

□ أصبحت الصفة المدرسية للمرجعية الدينية في العراق هي الصفة المألوفة بسبب طول مدة بقائها.

□ فشل السيد (محسن الحكيم) في قراءة واقع العراق , ومن ثم في إيجاد آليات التغيير المناسبة لما ورثه من تأثيرات المرجعيات الدينية المدرسية السابقة عليه , رغم رغبته الأكيدة في التغيير . فخرس العراق خلال فترة مرجعيته الكثير من الدين والرجال النجباء .

□ كانت فترة مرجعية السيد (الخوئي) أشد الفترات المرجعية مدرسية وانعزالاً , وأكثر كارثية على المؤسسة الدينية عموماً وعلى المرجعيات الميدانية خصوصاً .

- كانت مرجعية السيد علي السيستاني في جزء كبير من انتشارها في العراق ردة فعل وخيار ثانٍ بديل عن المرجعية الحركية للسيد الشهيد محمد صادق الصدر يناسب الجماهير التي لا تريد الحركة , بمعنى أنها البديل الموضوعي .
- كانت ظاهرة (العمامة الأميرية) وليدة ظاهرة (شأنية) البيوتات العلمية .
- أن المرشحين للمرجعية الدينية المدرسية يخضعون في فرص بلوغهم ذلك المقام لعوامل خارجية , أكثر من تأثير العوامل الذاتية والعلمية أو الدينية .

البعض من أهم وظائف المرجعية الدينية الإمامية

- بما هي وارثة لمقام الإمامة الوارث لمقام النبوة , بالنيابة العامة , فهي مسؤولة عن تبليغ رسالة الإسلام ونشر تطبيقاتها .
- الحاكمية السياسية , وضرورة السعي لإيجادها في زمان عدمها .
- الحاكمية الدينية , بحق اصدار الفتوى والقضاء .
- الحاكمية الاجتماعية , بقيادة المجتمع سواء توفرت الحاكمية السياسية ام لم تتوفر . فعموماً مجاري الأمور بيد العلماء بالله , الأمناء على حلاله وحرامه .
- نشر العلم والفقہ في المجتمع , بكل الوسائل الممكنة , وإتاحة فرصة التعلم للجميع .
- تنقية العقيدة , والفكر , والشعائر , مما لحق بها من شوائب عامية .
- العمل على تيسير حياة المؤمنين , ويكون هو المنطلق لكل فكرة ومشروع يسهل حركة الناس ويريح بالهم .
- تشخيص المصالح والمفاسد , والصالح من الفاسد , ليسير الناس على هدى , لصعوبة ترك هذه الوظيفة لعامة الناس .

– ترغيب الناس في العمل الصالح ، وإنارة طريقهم إلى الله ، ببيان موجبات رحمته ، وتحذيرهم من المعاصي وعاقبتها .

– أن يكون حصناً للمؤمنين أمام كل غزو غريب يريد بهم شراً .

– إحياء القلوب الميتة عن العلم والهدى ، وحث الناس على العلم والعمل .

– تفقد ورعاية المؤمنين ، من أيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم في زمان الغيبة ، وإكبار رموزهم ونخبهم ، وإعانة محتاجهم ، وإغاثة ملهوفهم ، ومسك قلوب ضعفائهم ، وصد هجمات النواصب عنهم .

– محاربة الفاسدين والمفسدين بما يستطيع العالم من وسائل ، إذا لم يرجعوا عن فسادهم بالحسنى والموعظة . ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦

^{٤٩٢} الأصول من الكافي ، الشيخ الكليني ، دار الكتب الاسلامية □ طهران ١٣٦٧ ، ج ١ ، ص ٣٢ □ ٥١ و ٤١٢

^{٤٩٣} بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، مؤسسة الوفاء □ بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ □ ١٩٨٣ م ، ج ٢ ، ص ٦ و ٢٢

^{٤٩٤} العلم والحكمة في الكتاب والسنة ، محمد الريشهري ، مؤسسة دار الحديث الثقافية ، ط ١ : ١٣٧٦ ، ص ٣٥٠

^{٤٩٥} كتاب المكاسب ، الشيخ مرتضى الأنصاري ، مجمع الفكر الإسلامي – قم ، ط ١٤٢٠ هـ ، ج ٣ ، ص ٥٥١

^{٤٩٦} شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج ١ ، ص ٢٠٢

المصادر

- الاحتجاج ج ٢ , الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي , دار النعمان □
النجف الأشرف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- وسائل الشيعة ج ٢٧ , الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي , مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , ط ٢ - ١٤١٤ هجرية
- الكافي ج ١ , الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني , دار الكتب الإسلامية □
طهران , طبعة دار الحيدري صيف ١٣٦٣ بالتاريخ الإيراني
- اختيار معرفة الرجال ج ١ , الشيخ أبو جعفر الطوسي الطوسي , مؤسسة آل البيت , مطبعة بعثت - قم ١٤٠٤ هجرية

- بحار الأنوار ج ٢ , العلامة محمد باقر المجلسي , مؤسسة الوفاء - بيروت , الطبعة الثانية
المصححة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

- بحار الأنوار ج ٨٤ , العلامة محمد باقر المجلسي , دار إحياء التراث العربي - بيروت ,
الطبعة الثالثة المصححة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ج ٣ , الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري ,
مكتبة اسماعيليان - قم - ١٣٩١ هجرية

- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ج ٧ , الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري ,
مكتبة اسماعيليان - قم - ١٣٩٢ هجرية

- معجم رجال الفكر والادب في كربلاء , سلمان آل طعمة , دار المحجة البيضاء □ بيروت ,
الطبعة الاولى ٥١٤٢٠ □ ١٩٩٩ م

- مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي , د. حسن عيسى الحكيم , منشورات
المكتبة الحيدرية , الطبعة الأولى □ شريعت ١٤٣١ هجرية

- منتظم الدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين , مجلدان , محمد علي التاجر البحراني , مؤسسة طيبة لإحياء التراث - ط ١ ١٤٣٠ هجرية
- مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين , د. رباب الحسيني :
خبيرة المركز القومي للبحوث الاجتماعية في القاهرة , اعداد: مكتبة الروضة الحيدرية -
النجف الاشرف
- موقف المرجعية الدينية في النجف الأشرف من الثورة الدستورية في إيران , د. محمد هاشم خويطر , كلية التربية - الجامعة المستنصرية , مجلة الآداب , ع ١١٥ - ٢٠١٦ م
- مشهد الإمام أو مدينة النجف , ٤ مجلدات , محمد علي جعفر التميمي , المطبعة الحيدرية □ النجف الاشرف ١٩٥٥ م
- موسوعة النجف الأشرف / ج ١٩ / جعفر الدجيلي , دار الأضواء
- شرح نهج البلاغة ج ١ , ابن أبي الحديد المعتزلي , دار احياء الكتب العربية , الطبعة الأولى
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

- لوائح الأنوار القدسية في بيان العهد المحمدية , عبد الوهاب الشعراني , ط: مصطفى البابي الحلبي , الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠ دراسة تاريخية , جاسم محمد إبراهيم اليساري , مجلة أهل البيت عليهم السلام العدد ١٥ , جامعة أهل البيت
- مجلة النبأ (الشيرازية) , عدد ٥٧ , صفر ١٤٢٢ هـ □ ٢٠٠١ م
- تحليل خطابي ومعالجة سيولوجية , د. صادق حقيقت , مجلة الوحدة الإسلامية , العدد الحادي عشر, السنة الثالثة , صيف ٢٠٠٧ م, ١٤٢٨ هـ
- السلفية الشيعية والسلفية السنية (مقارنة الهدف والأسلوب والمنهج) , باباك خورمدين , شبكة العراق الثقافية , ٢٠٠٥ م
- رجال النجاشي , أبو العباس أحمد بن علي النجاشي , مؤسسة النشر الإسلامي - جماعة المدرسين - قم , ١٤٠٧ هـ

– التشيع العلوي والتشيع الصفوي , د. علي شريعتي , دار الأمير للثقافة والعلوم , الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ □ ٢٠٠٢ م

– المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية دراسة في التطور السياسي والعلمي , د. جودت القزويني , دار الرافدين , ط ١ , ١٤٢٦ هـ □ ٢٠٠٥ م

– مواعظ ولقاءات , محمد الصدر , هيئة تراث السيد الشهيد الصدر , دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلام , لبنان- بيروت , ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

– احداث آخر الزمان في روايات اهل البيت , إسماعيل إبراهيم الحريري العاملي , دار المحجة البيضاء , ط ٢٠٠٦ م

– الروح المجرد , دورة العلوم والمعارف الإسلامية , محمد الحسين الحسيني الطهراني , ت: عبد الرحيم مبارك , دار المحجة البيضاء □ دار الرسول الأكرم , ١٤١٥ هجرية

– العلم والحكمة في الكتاب والسنة , محمد الريشهري , مؤسسة دار الحديث الثقافية , ط ١ : ١٣٧٦

- كتاب المكاسب ج ٣ , الشيخ مرتضى الأنصاري , مجمع الفكر الإسلامي - قم , ط ١٤٢٠ هجرية
- تراجم الرجال , احمد الحسيني , ج ١ , الناشر : دليل ما - ١٤٢٢ هجرية - الطبعة الأولى
- تراجم الرجال , أحمد الحسيني , ج ٢ , نشر : دليل ما - قم - ١٤٢٢ هجرية
- تراجم الرجال , احمد الحسيني , ج ٣ , نشر : دليل ما - قم - ١٤٢٢ هجرية
- تراجم الرجال , احمد الحسيني , ج ٤ , دليل ما - قم - ١٤٢٢ هجرية
- ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها , القنصل الروسي : الكسندر اداموف , ت : هاشم صالح التكريتي , دار ميسلون
- تكملة طبقات أعلام الشيعة , السيد محمد علي الروضاتي , إعداد: محمد بركت , مكتبة متحف ومركز وثائق مجلس الشورى الإسلامي , ط ١٣٩١ □ ١٤٣٣ هجرية
- الرواشح السماوية , الميرداماد محمد باقر الحسيني الاسترآبادي , دار الحديث للطباعة والنشر - قم , ط ١ - ١٤٢٢ هجرية

تعريف

علي الابراهيمى : باحث وكاتب وشاعر عراقي , من مواليد ١٩٨٠م , له عدة مقالات وبحوث منشورة في الصحف والمجلات مثل (الايمان) و (الإصلاح) النجفيتين وصحيفة (الزمان) و (الشرق الأوسط) اللندنية , والكثير من المواقع والصحف الإلكترونية المحلية والدولية , وله عدة كتب مطبوعة , مثل كتاب (المثل الأعلى) , وكتاب (صراع الحضارتين) , وكتاب (العلمانية والدين بين التجربة التاريخية والاسس المنطقية للاستقراء) , وكتاب (الكينونة القيادية والوجودية في الفكر الشيعي) , وكتب إلكترونية , مثل (الحسين بن علي , قراءة المنطقة غير المضاعة) , و (أزمة التاريخ اليهودي) , و (عمر بن الخطاب في مذاهب المسلمين) , حامل لشهادة البكالوريوس في الكيمياء , ومهتم بالمساحات الفكرية غير المضاعة لا سيما في المجالين التاريخي والاجتماعي .

الموقع الإلكتروني

aladyaan.com